

سلاسل الرحمن الحنيفية
من علوم لغة العرب الرشيقة

سلسلة علم متن اللغة (ب)

علو الكعب الأدبي

شرح وإعراب قصيدة كعب بن زهير الصحابي

(بانت سعاد)

في مدح الرسول ﷺ وأصحابه الذين هاجروا لأذية المشركين من مكة إلى المدينة

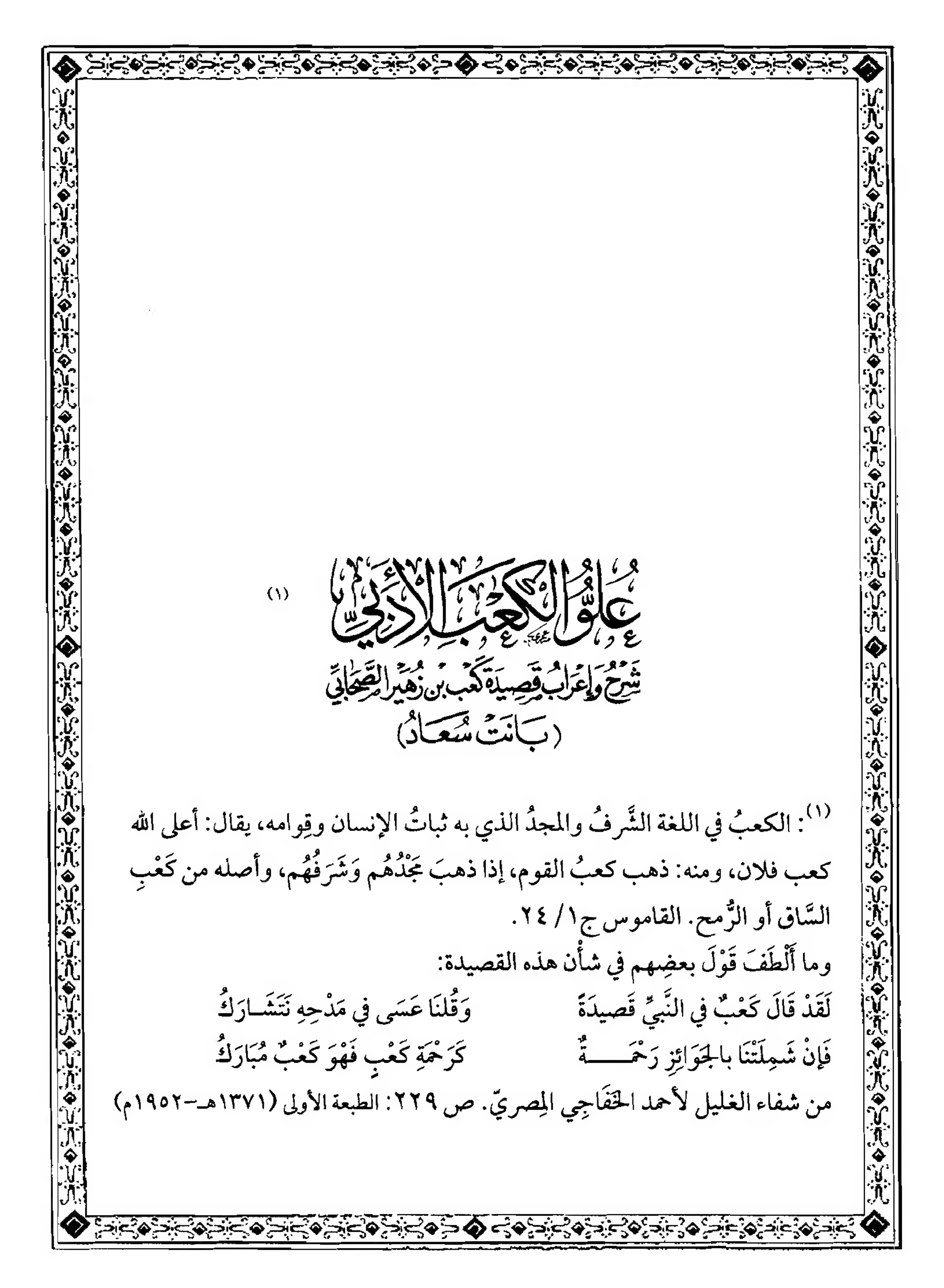
صنعة
العبد المفتقر إلى عون ربه المقتدر:
ابن عوف عمر كوني المعروف بـ
عبد الرحمن بن عوف كوني
بطابة الطيبة
على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم





دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



عُلُوُّ الكَعْبِ الأَدَبِيِّ[1]

شَرْحُ وإِعْرابُ قَصِيدَةِ كَعْبِ بنِ زُهَيْرٍ الصَّحابِيِّ

(بَانَتْ سُعَادُ)

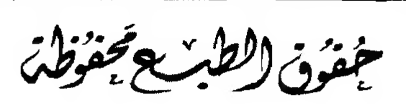
(1): الكعبُ في اللغة الشَّرفُ والمجدُ الذي به ثباتُ الإنسان وقِوامه، يقال: أعلى الله كعب فلان، ومنه: ذهب كعبُ القوم، إذا ذهبَ مَجْدُهُم وَشَرَفُهُم، وأصله من كَعْبِ السَّاق أو الرُّمح. القاموس ج١/ ٢٤.

وما أَلْطَفَ قَوْلَ بعضِهم في شأْن هذه القصيدة:

لَقَدْ قَالَ كَعْبٌ في النَّبيِّ قَصيدَةً ... وَقُلنا عَسَى في مَدْحِهِ نَتَشَارَكُ

فَإِنْ شَمِلَتْنَا بالجَوائِزِ رَحْمَةٌ ... كَرَحْمَةِ كَعْبٍ فَهْوَ كَعْبٌ مُبارَكُ

من شفاء الغليل لأحمد الخَفَاجِي المِصريّ. ص ٢٢٩: الطبعة الأولى (١٣٧١هـ-١٩٥٢م)





Miraath_alnabawi edition 2016
ISBN - 978-9947-48-142-4
DEPOT LEGAL-1ER:2016

دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع: 2016
ردمك: 978-9947-48-142-4
الإيداع القانوني: السداسي الأول، 2016

العلم ميراث النبي كذا أتى ... في النص والعلماء هم وراثه

ما خلّف المختار غير حديثه ... فينا فذاك متاعه وأثاثه





الصنوبر البحري - المحمدية - الجزائر العاصمة
الجوال: 554250098(00213) تلفاكس: 26936739(00213)
البريد الإلكتروني: dar.mirath@gmail.com

سلاسل الذهب المختلفة
من علوم لغة العرب المؤتلفة

سلسلة علم متن اللغة (ب)

علو الكعب الأدبي

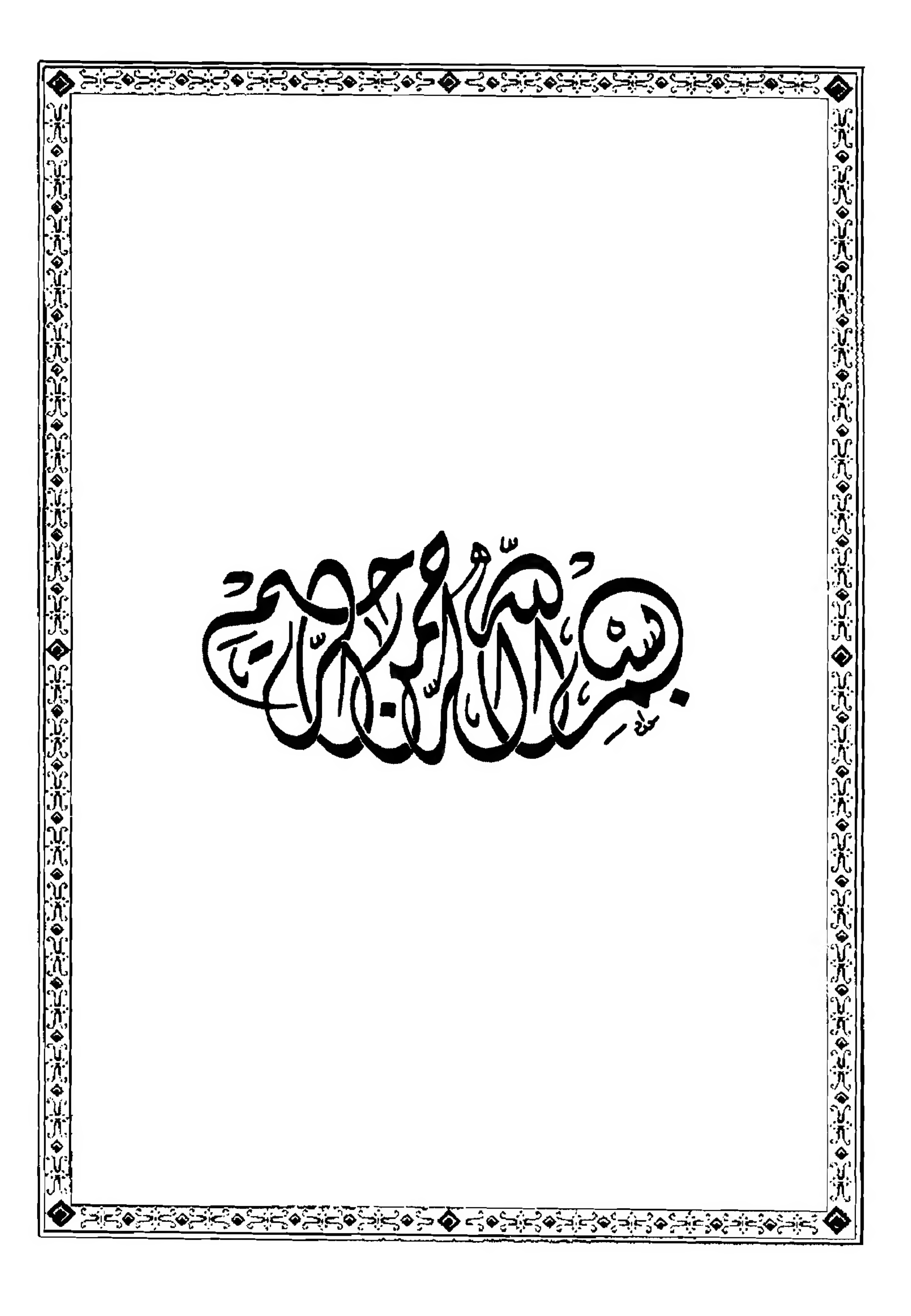
شرح وإعراب قصيدة كعب بن زهير الصحابي

(بانت سعاد)

في مدح الرسول ﷺ وأصحابه الذين هاجروا لأذية المشركين من مكة إلى المدينة

صنعة
العبد المفتقر إلى عون ربه المقتدر:
ابن عوف عمر كوني المعروف بـ
عبد الرحمن بن عوف كوني
بطابة الطيبة
على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم

دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمدُ لله فَالِقِ لِسَانِ العَربِ الفُصَحَاءِ عِندَ نُطْقِهِم عَن فِلْقٍ مِنَ الفَصَاحَةِ والبَلاغَةِ لا نَظِيرَ لَه فِي سَائِرِ لُغَى الوَرَى، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى عَبدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ المُصطَفَى المختَارِ أَفصَحِ العَرَبِ قَاطِبَةً مِن غَيرِ مِرَا، وعَلَى آلِهِ وأَصحَابِهِ أولِي المَكرمَاتِ مَصَابِيحِ الهُدَى فِي حَنَادِسِ الدُّجَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ قَصِيدَةَ[1] «بَانَت سُعَادُ» لِكَعبِ بنِ زهيرٍ شِعرٌ، والشِّعْرُ أَحَدُ نوعَي كَلامِ العَرَبِ، لِانْقِسَامِهِ إِلَى نَثرٍ ونَظْمٍ. والنَّثرُ أَعْلَى دَرَجَةً مِنَ الشِّعْرِ[2].

يُدْرَسُ مِثْلُ هذه القَصيدةِ لِتُعْلَمَ مَعانِي أَلفَاظِهَا، وأَسَالِيبُ تَرَاكِيبِهَا ودَلَالَاتُـهَا، يَستفيدُ طالبُ العِلْمِ الدَّارسُهَا مَعْرِفَةَ أَلْفَاظِ وأَسَالِيبِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ، فيهتَدِي إلى مُرَادِهِما عَلى بَصِيرةٍ. ولا شَكَّ أَنْ لَا أسلُوبَ كَأَسَالِيبِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ في القُوَّةِ والفَصَاحَةِ والبَلاغةِ.

وهذه القصيدةُ مُرَكَّبَةٌ في نَسْجِها مِن ثَلاثِ كَيفيَّاتٍ: كيفيَّةٍ عَروضيّةٍ، وكيفيّةٍ نَحويَّةٍ، وكيفيّةٍ بَلاغيَّةٍ. والسِّمَةُ الغَالِبَةُ عليها كَيفِيَّتَا العَروضِ والنَّحْوِ. وهذه الكيفيَّاتُ الثَّلاثَةُ قَائِمَةٌ عَلى أَلْفَاظٍ فيها كَيفِيَّاتٌ صَرْفِيَّة. فَظَهَرَ التَّلازُمُ بَين الكَيفيَّاتِ الثَّلاثِ وبينَ الأَلْفَاظِ ذَواتِ الكيْفِيَّاتِ الصَّرفيَّةِ في الشِّعْرِ. وهذا التَّلازُمُ

---

(١) القصيدة في اصطلاح العَروضيِّين ما أشارَ إليه صاحبُ «القاموس» (١/ ٣٢٨) بقوله: «ما تمَّ شَطْرُ أبياتِه وليسَ إلَّا ثلاثةَ أبياتٍ فصاعِدًا أو ستَّةَ عشَرَ فَصَاعِدًا. والقصيدةُ من الشِّعْرِ: المنقَّحُ المُجوَّدُ. اهـ.

(٢) «شرح ديوان الحماسةِ» للمرزوقيِّ (١/ ١٧). الطَّبعة الثَّانية (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م)، القاهرة.



في النّشر أيضًا. وقد عَبَّرَ عَن هذا التّلازُمِ شيخُ البلاغيِّين: عبدُ القاهِرِ الجُرجَانِيُّ، في آخِرِ «دلائل الإعجاز» بما نصُّه: «اعلَم أنَّ هاهُنا أصلًا أنتَ ترَى النَّاسَ فيه في صُورةِ مَن يَعرِفُ مِن جانبٍ ويُنكِرِ مِن آخرَ، وهو أنَّ الألفَاظَ المفرَدَةَ الّتي هي أوضاعُ اللُّغةِ لم تُوضَع لِتُعْرَفَ معانِيهَا في أَنفُسِها، ولكنْ لأنْ يُضَمَّ بعضُها إلى بعْضٍ، فيُعرَفَ فيمَا بينَها فَوَائِدُ؛ وهذَا عِلمٌ شَرِيفٌ، وأَصلٌ عَظِيمٌ»[1]. اهـ.

ولِأجْلِ ذلِكَ وَضَعَ عُلَمَاءُ العربيّةِ لِمَعرِفَةِ مَعَانِي الألفاظِ كُتُبًا تُعرَف بالقَوَامِيسِ أو بِالمَعَاجِمِ، وكُتُبًا لِمَعرفَةِ الكيفِيَّةِ النَّحويَّةِ، تُعرفُ بـ «كُتبِ النَّحوِ»، وأعظمُها على الإطلاقِ كتابُ سِيبَويْهِ، قال الإمامُ مُحَمَّدُ بنُ يزيدَ المُبَرِّدُ مَا نَصُّه: «لم يُعمَل كِتابٌ في عِلمٍ مِنَ العُلُومِ مِثْلُ كتَابِ سِيبويْهِ؛ وذلك أنّ الكُتُبَ المُصَنَّفَةَ في العلومِ مُضْطَرَّةٌ إلى غَيرِها. وكِتَابُ سِيبويْهِ لا يَحْتَاجُ مَن فَهِمَه إلى غيرِهِ»[2]. اهـ. وكان أَبُو العَبَّاسِ المُبَرِّدُ إذا أتَاه طَالِبٌ لِيَقرَأَ عليه كتابَ سِيبَويهِ قالَ لَه: هل رَكِبْتَ البَحرَ؟ فإذا أجابَ بأنَّه رَكِبَ، أَذِنَ له في القِرَاءَةِ، وإذا أَجَابَ بِـ «لَا»، قال لهُ: أَخْشَى عَليكَ الغَرَقَ!»[3]. اهـ. وقال شيخُ الإسلامِ، ابنُ تَيمِيَّةَ مَا نَصُّهُ: «وكذلك النُّحاةُ مِثْلُ سِيبَويهِ الَّذِي ليسَ في العالَمِ مِثْلُ كِتَابه»[4]. اهـ. وكتابُ سيبويْهِ فيه أصولُ الصَّرْفِ

(١) «دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجُرجانيّ (ص: ٤١٥). الطّبعة الرّابعة، أصدرتْها دارُ المنار بمصر (١٣٦٧هـ).

(٢) كتاب «سيبويه» (١/ ٥) تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، الطّبعة الأولى، دار الجيل - بيروت.

(٣) «نزهة الألبّاء» (٧٥)، و«بُغْيَةُ الوُعاةِ» (٣٦٦).

(٤) «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيميَّة (٩/ ٤٦).

قلتُ: لعلَّ السِّرَّ في تفوُّقِ كتاب الإمام سيبويه ما ذَكَرَ أبو أحمدَ الحسنُ بنُ عبدِ الله العَسْكَرِيّ في «المصون في الأدب» (ص: ١١٧) في «تاريخ العربية» فقال - بعد أنْ ذكر البَارِعِينَ فِيهَا قَبْلَ =

ففيه أصولُ علْمِ «مَتْنِ اللُّغَةِ». ووُضِعَتْ كُتُبٌ لِعِلمِ كيفيّةِ نَظْمِ بيتِ الشِّعر، تُعْرَفُ بكُتُبِ العَروض. ووُضِعَتْ كُتُبٌ في البَلاغَة مِنهَا «دَلَائلُ الإِعْجَازِ في علم المَعَانِي» و«أَسرارُ البَلاغَةِ في عِلمِ البَيَانِ» وكلاهما لِعبدِ القَاهِرِ الجُرْجَانيِّ، وغيرُهما.

ودلَّ الاستقراءُ والتَّتبُّعُ مِن علماءِ العَرَبِيَّةِ لِحَالَةِ العَرَبِيَّةِ في لسَانِ أهلِهَا، أَنَّ العَرَبَ الجَاهِلِيِّينَ، والعَرَبَ في عصر النَّبِيِّ ﷺ، وفي القَرنَيْنِ بَعْدَ قَرْنِهِ ﷺ، كانت العَرَبِيَّةُ في لِسَانِهِمْ على السَّلِيقَةِ، مُشتَمِلَةً على هذه العلومِ العَرَبِيَّةِ.

ثُمَّ طَرَأَ التَّغَيُّرُ وفُشُوُّ اللَّحْنِ شيئًا فشيئًا في لسانِ العرَبِ لِأَسْبَابٍ. والسَّبَبُ الأَوّلُ التَّامُّ[1] مَشيئةُ الله وَحْدَهَا، إذ هي الّتي تَتَرَتَّبُ عَليها تِلْكَ الأَسْبَابُ[2]. والدَّليلُ على أنَّ المَشِيئَةَ الإلهَيَّةَ هي السَّبَبُ التَّامُّ قولُ الرّسُولِ ﷺ في سليمانَ بنِ داودَ – عليه وعلى نبيّنا الصّلاة والسّلام –: «**وأيمُ الّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيدِه لو قال إنْ شاءَ اللهُ، لَجَاهَدُوا في سبيلِ اللهِ فُرْسَانًا أجمعُونَ**». وذلك أنَّ سُليمانَ قال: «**لأَطُوفَنَّ اللّيلةَ على تِسعينَ امرأةً، كلُّهَا تأتِي بفَارِسٍ يُقَاتِلُ في سبيلِ اللهِ، فقال له صاحبُه: قل إنْ شَاءَ اللهُ، فلم يقلْ إنْ شاءَ اللهُ. فطاف عليهنَّ**

=

سيبويْهِ –: «ثُمَّ جَمَعَ سِيبويْهِ عِلْمَ البُرَعَاءِ مِنْ النَّحويِّين القُدَمَاءِ كلِّهم فذَكَر في كتابه مَذهَبَ الخَلِيلِ، ومذهبَ يونسَ، ومَذهبَ أَبِي عَمْرٍو، ومَذهبَ ابنِ أَبِي إسْحَاق، وذَكَرَ مَذهَبَ قَوْمٍ غيرِ هؤلاء على أَنَّه لمْ يَرْتَضِهَا فَدَفَعَهَا وَصَحَّحَ عِلْمَ النّحْوِيِّينَ القُدماءِ كلِّهم وجَمَعَ الأبنيةَ كُلَّهَا». اهـ.

(١) في اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة.

(٢) لِحِكَمٍ مِنَ الله تَعَالَى.

جَميعًا فلم يحملْ منهنّ إلّا امرأةٌ واحدةٌ فجاءتْ بشِقِّ رَجُل»[١]. فذَكَر الرَّسُولُ ﷺ قَولَه السَّابقَ، الّذِي هو دليلٌ على أنَّ الـمَشِيئَةَ الإلَـهيَّةَ هي السَّبَبُ التَّامُّ. ووجـهُ الاسْتِدْلَالِ به علـى ذلك أنَّ مُجَـرَّدَ الوَطءِ الّذِي كنَّى عنهُ سُليمانُ بالطّوافِ ليسَ بِسَبَبٍ تَـامٍّ يكفِي الاعتمادُ عليـه لِـحُصُولِ الـمُسَبَّبِ، وإنْ كان له مَدْخَلٌ في السَّـببِيَّةِ، وأنَّ السَّـبَبَ التَّامَّ مَشيئةُ اللهِ وَحْدَه، فهو رَبُّ الأَسْبابِ، الـمُتَصَرِّفُ فِيهَا كَيفَ يَشَاءُ، بِإِعطَائِهَا السَّبَبِيَّةَ إذا شَاءَ، ومَنْعِهَا إِيَّاهَا إِذَا شَاءَ، وتَرتيبِ ضدِّ مُقتضَاهَا عليها إذا شـاءَ. والأسـبابُ هي مَجَارِي الشَّرْعِ والقدَرِ، فعَلَيْهما يَجْرِي أَمْرُ اللهِ الكونيُّ والدِّينيُّ»[٢]. اهـ.

وإذا تَبيّنَ هذا في شـأنِ المشـيئةِ الإلهيَّةِ، فلْنعلَمْ أنّ الأسـبابَ الظّاهِـرَةَ الكَوْنيَّةَ لِتَغَـيُّرِ لِسَـانِ العَربِ، وفُشُـوِّ اللّحْـنِ في كلامِهم، آثـارٌ مِنْ تلكَ الـمَشِـيئَةِ الّتِي هي السّـببُ التّامُّ، فليسَ مُجرَّدُ تلكَ الأسْـبابِ الظّاهرةِ مُسَـبِّبًا لِذَلِكَ التّغَيُّرِ، مُفْضِيًا إليه دون المشيئةِ.

وأَبْرَزُ هذه الأسـبابِ اختلاطُ العَرَبِ بالعَجَـمِ. ولهِذا الاخْتِلاطِ أَنْماطٌ أَكْبرُها وأسْـبقُها دخولُ العَجَمِ في الإسْلامِ بعد دُخُول العربِ فيهِ، بدليلِ قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١ - ٣][٣] والشّاهدُ قولُه تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَأَيۡتَ

(١) «صحيح مسلم»، باب الاستثناء، (٣/ ١٢٧٥ - ١٢٧٦)، تحقيق محمَّد فؤاد عبد الباقي، الطَّبعة الأولى (١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م)، دار إحياء التُّراث العربيّ - بيروت -.
(٢) «التِّبيان في أقسام القرآن» تأليف شمس الدِّين محمّد بن أبي بكر المعروف بابنِ قيِّم الجوزيَّة، دار الفكر.
(٣) سورة النّصر، وهي مدنيّة.

ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾، فإنّ الـمُرادَ بـ «النّاسِ» في الآيةِ الكريمةِ جَمَاعَاتٌ مِنَ أهلِ مَكّةَ والطَّائفِ واليَمَنِ وهَوَازِنَ وسائرِ قبائلِ العَرَبِ[1]، فلَزِمَ أنْ يكونَ دُخُولُ العَجَمِ في الإسْلامِ بعْدَ دخولِ هؤلاءِ العَرَبِ، لأمْرَينِ:

(أ) أنّ دعوتَهُ ﷺ إلى اللهِ أُمِرَ بها إلى النّاسِ كافّةً، عَرَبِهم وعَجَمِهم[2]. يَدُلُّ على ذلك شَرْعًا مَعنَى لَفظِ «النَّاس» الشّامل للعربِ والعجمِ. إذْ تَقَرَّرَ في فنِّ أُصولِ الفقهِ أنّ مِن ألفاظِ العُمُومِ مَا عُرِّفَ بالألفِ واللّامِ لِغَيرِ الـمَعْهُودِ، كَأَسمَاءِ الأَجْنَاسِ الّتِي لا واحدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا كـ «النّاس»[3]، الّذي في هذه الآيةِ الكريمةِ.

(ب) أنّ الرّسُولَ ﷺ بَدَأَ الدَّعوةَ بِمَنْ هم بِقُرْبِه مِنْ بَنِي جِنْسِه، ثُمّ سَرَتْ إِلَى الجِنْسِ الآخَرِ البَعِيدِ عَنْه وهُمُ العَجَمُ: إمَّا بِمَجيءِ بَعْضِهم إليهِ، كَسَلْمَانَ الفَارِسِيِّ، وإمَّا بِسَماعِه لِلدَّعوةِ ولمْ يأتِ إلى الرّسولِ ﷺ وآمَنَ كالنَّجاشِيِّ مَلِكِ الحبَشَةِ.

فلَمّا حَصَلَ اخْتِلَاطُ العَرَبِ بالعَجَمِ، وقد جاؤُوا إلى العَرَبِ بِسببِ الإسْلَامِ، بَدَأَ تَغيُّرُ لِسانِ العَرَبِ عَنِ الفُصْحى السَّلِيقيَّةِ، وكانَ الخَطْبُ سَهْلًا في أوّلِ الأمرِ زَمَنَ النَّبيِّ ﷺ لِقِلَّةِ الـمُسْلِمينَ العَجَمِ[4].

---

(١) تفسير البيضاويّ الُمسَمَّى «أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل»(٢/ ٦٢٨)، و«تفسير القرآن العظيم» لابنِ كثيرٍ (٤/ ٦٠١ - ٦٠٢)، الطَّبعة الأولى (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م).

(٢) لقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾. الآية (٢٨) مِن سُورةِ سَبإٍ.

(٣) «مُذكِّرَةُ أصولِ الفقهِ» لشيخنا محمّد الأمين بن محمّد المختار الجكَنيّ الشّنقيطيّ، ص: (٢٠٣).

(٤) ولقوّة الفطْرَةِ العربيَّةِ اللِّسانيَّةِ في العرب.

وازْدَادَتْ دَرَجَةُ التَّغَيُّرِ لِلِّسَانِ العَرَبِيِّ بَعْدَ ذلك لِكَثْرةِ هَذَا السَّبَبِ: الاختِلاطِ، بِكَثْرَةِ الدَّاخِلِينَ فِي الإِسْلَامِ، الوَافدِينَ إِلَى بِلَادِ العَرَبِ. نعَمْ، قَدْ حَصَلَ التَّغيُّرُ في لِسَانِ بَعْضِ العَرَبِ عَنْ سَحْنَتِهِ العَرَبِيَّةِ بِسببِ غَيرِ الاختلاطِ أيضًا، إِذْ تَغَيَّرَتِ اللُّغةُ عندَه إِلَى لَهجَاتٍ عَامِّيَّةٍ بَعيدةٍ عَنِ الفُصْحَى، مُختَلِفةٍ عَنْ عَامِّيَّةِ تَغيُّرِ اللِّسَانِ بِالاخْتلاطِ بالعَجَمِ.

فَغابَتِ الفُصْحَى العَرِيقَةُ عَنْ أَسَالِيبِ التَّخَاطُبِ العَامِّ بينَ[1] النّاسِ في بلادِ العَرَبِ مِنْ أَزْمَانٍ مُتَكَاثِرَةٍ. وضَعُفَتِ اللُّغَةُ الفُصْحَى كذلك عند كثيرٍ مِنَ المتعلِّمين لَهَا لِعَدَمِ التَّخاطُبِ بِهَا بَعْدَ تَعلُّمِهَا. ومِمَّا يَدلُّ على ذلك الضَّعْفِ ما خَبَرَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ[2] في عصره، فقال: «وكم يَتَلَقَّاكَ فِي هذا العصْرِ الّذي قَرِعَ[3] فيه فِنَاءُ الأدَبِ وصَفِرَ[4] إِنَاؤُه، اللّهمّ إلّا عن صِرْمَةٍ[5] لا يُسْئِرُ[6] منها القابضُ[7]، وَصُبَابَةٍ[8] لا تَفضُل عن التَّبَرُّضِ[9] مِن دَهْماءِ[10] المُتَحَلِّين بما لم يُحسِنُوه، المتشبِّعين

(١) وكانتِ الفُصْحى هي الفاشيةُ بين العربِ في تخاطُبِهم العامّ إذْ كانوا لا يعرفون غيرَها وهم مطبوعون عليها خِلْقَةً.

(٢) في كتابه «المُسْتَقصى في أمثالِ العَرَبِ» صفحة (ب) من المقدّمة. الطَّبعة الثَّانية (١٣٩٧هـ-١٩٧٧م) بيروت - لبنان -.

(٣) قَرِعَ الفِناء يَقْرَعُ قَرْعًا وقَرَعًا، والثاني مصدر قياسيّ: خلا مِنَ الغاشية والنَّعَم.

(٤) صَفِرَ الإناءُ يَصْفَرُ صَفْرًا خَلَا فهو صَفِرٌ.

(٥) «صِرْمَة» قِطْعَةٌ من السَّحاب.

(٦) «لا يُسْئِرُ» لا يُبْقي سُؤْرًا.

(٧) وذلك لِقلّته.

(٨) «صُبَابَة» البقيَّةُ من الماء.

(٩) «التَّبَرُّض» التَّرَشُّفُ قليلًا قليلًا.

(١٠) «دهماء» جماعة.

بما لم يَمْلِكُوه، مَنْ[١] لَو رَجَعْتَ إِلَيهِ فِي مَعْنَى «أَسْيرِ مَثَلٍ» لَفَتَلَ أَصَابِعَهُ سَدَرًا[٢]، وَلَاحْمَرَّتْ دِيبَاجَتَاهُ تَشَوُّرًا[٣]، أو توقَّحَ فأَسَاءَ جَابةً، فافْتَضَحَ وتَكَشَّفَ عَوَارُهُ»[٤]. اهـ.

وَقَدْ رأى بعضُ علماءِ العَرَبِيَّةِ الـمُتْقِنِينَ لها الـمُعَاصِرِينَ[٥] أَنَّ إِدْرَاكَ اللُّغَةِ، والتَّقَوِّيَ فيهَا بالتَّعلُّمِ بعْدَ ذهابِهَا مِنْ لسانِ العرَبِ يَكُونَانِ بِمَنْهَجٍ تُرِكَ، فَقَالَ: «غيْرُ خَافٍ أنَّ رَوْضَ اللّغةِ قدْ نَشَّتْ لِهَذَا العَهْدِ أنْهَارُه، وذَوَتْ بعْدَ النَّضَارَةِ أَزْهَارُهُ، ومَا ذَلك إِلَّا لِلإِعْرَاضِ عنْ إِقْراءِ مُتُونِهَا، وعَيْفِ الضَّربِ في سُهُولِهَا وحُزُونِهَا، وهَجْرِهَا كَمَا تُهْجَرُ اللِّئَامُ، مع أنّها كَريمةُ الكِرَام، وكِسَاءُ خَواطِرِ الأَنَام»[٦]. اهـ.

والتّحقيقُ أنّ هذا المنهجَ استقاهُ مِنْ حالةِ دِرَاسَةِ بعضِ عُلمائِنَا الـمُسلمينَ السَّابِقِينَ لِلُّغةِ. فمَنْ دَرَسَهَا على هذا المنهجِ فإنّه يتقوَّى فيها، ويكونُ ابنَ بَجْدَتِها[٧] كما كانوا.

والقَولُ الّذي نَختِمُ به هذا الـمَقامَ أنَّ هذه اللّغَةَ الشَّريفَةَ - بِشَرَفِ القرآنِ -، مهما يَكُنْ مِنْ تَغَيُّرٍ في لسانِ أهلِها بِها عن أصلِها في تَخاطُبِهم، أَثَّرَتْ أَسْبابُ[٨] ذلك

(١) فاعل «يَتَلَقَّاك»، أو بدلٌ مِنْ «دهماء الـمُتَحَلِّين».
(٢) «سدَرًا»: تحيُّرًا، مِنْ: «سَدِرَ الرَّجُلُ يَسْدَرُ سَدَرًا وسَدَارَةً» تَحَيَّرَ.
(٣) «تَشَوُّرًا» أي خَجَلًا.
(٤) «عَوار»: مثلَّثةُ الفاءِ، أي العَين: عَيْبٌ.
(٥) مِنْ عربِ بيروت قبل ثِنتَينِ وعِشْرين ومائةِ سنة.
(٦) «أقْرَبُ الموارد في فُصَحِ العربيَّة والشَّوارد» تأليف سعيد الخَوريّ الشّرتُونيّ اللُّبنانيّ (١/ ٨). طبع في مطبعة مُرسَليّ اليسوعيَّة - بيروت - سنة (١٨٨٩م).
(٧) يقال: هو ابنُ بَجْدَتِها، للعالِمِ بالشَّيءِ المُتْقِن.
(٨) الظَّاهرة بإذنِ الله تَعَالَى كما تقدَّم.

التَّغَيُّرُ في مُخْتَلِفِ العُصُورِ المتأخِّرة عن عصر الاحتجاج، فإنّها مِن حَيثُ «هي» محفوظةٌ، لأنَّ القرآنَ محفوظٌ. ذلك الكتابُ الّذي قال فيه مُنَزِّلُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] **والشّاهدُ:** ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، ووجهُ الاستدلالِ أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَخْبَرَ عَنْ حِفْظِهِ للقرآنِ، مُؤَكِّدًا ذَلِكَ الحِفْظَ بِمُؤَكِّدَينِ هُمَا: «إنَّ»، و«اللّامُ» في خبرِ «إنَّ»، على مَا تَقَرَّرَ في علمِ المَعَاني[1]. فتَقَرَّرَ بِذَلِكَ التَّوكيدِ حِفْظُ القُرآنِ، لَكِنْ يَلْزَمُ مِنْ حِفْظِ القُرآنِ حِفْظُ اللُّغَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا القُرآنُ، لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، وقَولِه تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]، ونَحْوِهِمَا مِنَ الآياتِ.

وهذا اللُّزُومُ مَدلُولٌ عليه بما يُسَمَّى بـ «دَلالَةِ الإِشَارَة» في فنِّ أصولِ الفِقهِ، وذلك أنَّ المَعْنَى المَقْصُودَ مِنَ النَّصِّ حِفْظُ القُرآنِ، ولَزِمَ مِنْ هذا المَعنَى المَقصُودِ مَعْنًى آخَرُ غيرُ مَقْصودٍ بِالنَّصِّ، هو حِفْظُ اللُّغةِ، وهو مَعنًى تَابعٌ للمقصودِ الَّذِي هُوَ حِفْظُ القُرْآنِ. وأَشَارَ صَاحِبُ «مَرَاقِي السُّعُودِ» إِلَى دَلالةِ الإِشَارَةِ في اصْطِلَاحِ الأُصُولِيِّينَ بِقَولِه:

فأَوَّلٌ إشارَةُ اللَّفظِ لِمَا ... لمْ يَكُنِ اللَّفظُ لهُ قَدْ عُلِمَا[2]. اهـ.

فَتبيَّنَ بذَلكَ أنَّ اللُّغَةَ مَحْفُوظَةٌ أَيْضًا، تَبَعًا لِحفْظِ القرآنِ. والله أعلم.

---

(١) «دلائلُ الإعجاز» للإمام عبد القاهرِ الجُرجانيّ ص (٢٤٢)، الطّبعة الرَّابعة. أصدرتْها دار المنار بمصر (١٣٦٧هـ)، و«موجز البلاغة» للشّيخ الأستاذ الإمام محمّد الطّاهر ابن عاشور ص (١٢)، الطَّبعة الأولى (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

(٢) شرح «مراقي السُّعود» المُسَمَّى «نَشْرَ الوُرودِ» للشَّيخ محمّد الأمين الشنقيطيّ (١/ ٧٨) الطّبعة الأولى (١٤٢٦هـ)، و«شرح الكوكب المنير» لابن النَّجّار (٣/ ٤٧٦)، و«البحر المحيط» للزّركشيّ (٤/ ٧)، و«مذكّرةُ أصول الفقه» ص (٢٣٦)، و«الموافقات في أصول الشَّريعة» للشّاطبيّ (٢/ ٦٤) تحقيق محمّد الخضر حُسين التّونسيّ.

وصَاحِبُ هَذِهِ القَصِيدةِ هُوَ كَعْبُ بْنُ زُهَيرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى، بضمِّ سينِ «سُلمَى». قال بعضُ العلماءِ: وليسَ في العَرَبِ «سُلْمَى» بِضَمِّ السِّينِ غيرُه[١]. اهـ. وضَمُّ السِّينِ مِنْ «سُلمى» وهُو عَلَمٌ، وَافَقَ مؤَنَّثَ «أَسْلَمَ» وهو عَلَمٌ مع أنَّهما ليسَا وَصْفَينِ يَنقَاسُ فيهما ذلك كـ «أَكْبَرَ وكُبْرَى»، فهذا مُجَرّدُ تَوَافُقٍ مَسمُوعٍ يَحْصُلُ في اللّغةِ أحيانًا أشارَ إليه ابنُ جِنِّيٍّ[٢]، وغيرُه. وأمَّا إذا كانَا وَصفَيْنِ لـ «أَفْعَلِ التّفضيل» فـ «الأَسْلَم» للمُذكّرِ، و«السُّلْمى» للمؤنّثِ قِيَاسًا مُطّرِدًا كـ «أَكْبَر وكُبْرَى».

أمّا نَسَبُهُ فهو: «كعْبُ بنُ زُهَيرِ بنِ أبي سُلْمى». واسمُ «أبي سُلْمى»: رَبيعَةُ بنُ رِيَاحٍ الـمُزَنِيُّ، مِنْ مُزَيْنَةَ بنِ أدّ بنِ طَابِخَةَ بنِ إليَاسَ بنِ مُضَر. وكانتْ مَحِلَّتُهم في بلادِ غَطَفَان، فيظنُّ النّاسُ أنّه مِن غَطَفَان»[٣]. اهـ

وزُهيرٌ أبو كعْبٍ مِن كبارِ الشُّعرَاءِ الجَاهِلِيّيْنَ أَصحَابِ «الـمُعَلَّقَاتِ السَّبعِ» المَشْهورةِ. فكَعْبٌ شاعرٌ فَحْلٌ ابنُ شاعرٍ فَحْلٍ. وكان زُهَيرٌ حكيمًا، لم يُدركِ الإسْلامَ، أمَّا ابنُه: كعبٌ، فقدْ أَدرَكَ الإسْلامَ، ولم يَتَقَبَّلْهُ أوَّل وَهْلةٍ، لَـمَّا بَلَغَتْهُ الدّعوةُ. فقال أبياتًا ثَلاثَةً أَعرَبَ فيها عن إعْراضِه عنها، فَبَلَغَ ذلك النَّبيَّ ﷺ فقال: «**مَنْ لَقِيَ كَعْبًا فليَقْتُلْه**» وأَهْدَرَ دَمَهُ؛ وكَتَبَ بِذَلك بُجَيْرٌ إليه، ويقولُ: النَّجاءَ. ثُمَّ كتَبَ إليه: أنّه لا يَأتِيهِ أَحَدٌ مُسْلِمًا إلَّا قَبِلَ منه، وأَسْقَطَ ما كان قَبْلَ ذلك، فأسْلَمَ كعبٌ[٤]؛

---

(١) «لسان العرب» (١٢/ ٢٩٩).

(٢) «الخصائص» (١/ ٣٢٣)، الطّبعة الثّانية (١٣٧١هـ - ١٩٥٢م) مطبعة دار الكتب المصريّة.

(٣) «الاستيعاب في أسماء الأصحاب» لابن عبد البرّ (٢/ ١٧٥) سنة (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م). دار الفكر، و«الإصابة في تمييزِ الصّحابة» (٥/ ٤٤٣) الطّبعة الأولى (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م). دار الكتب العلميَّة. بيروت - لبنان -.

(٤) «الإصابة في تمييزِ الصّحابة» (٥/ ٤٤٣)، و«السِّيرةُ النَّبويَّةُ» لابن هشام (٤/ ١٠٩) تحقيق طه عبد الرّؤوف سعد. النّاشر مكتبة الكلّيّات الأزهريّة، و«المَصون في الأدب» لأبي أحمد الحسَنِ =

وقَدِمَ حتَّى أناخَ بِبابِ المسجدِ النَّبويِّ قال: فعرفتُ رسولَ الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بالصِّفَةِ، فتخطَّيْتُ حتَّى جلَسْتُ إليه، فأَسْلَمْتُ، ثُمَّ قلتُ: الأمانَ يا رسولَ الله، أنا كَعْبُ بنُ زُهَيرٍ، قَالَ: «أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ؟!» والتفتَ إلى أبي بكر، فقال: «كيف؟» قال: فذكر الأبياتَ الثَّلاثةَ:

أَلا أَبْلِغَا عَنِّي بُجَيْرًا رِسالَةً ... على أَيِّ شيءٍ وَيْبَ غَيْرِكَ دَلَّكا
عَلى خُلُقٍ لمْ تُلْفِ أُمًّا ولا أَبًا ... عليه ولمْ تُدْرِكْ عليهِ أخًا لَكا
سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ ... فَأَنْهَلَكَ المأْمُورُ مِنْها وعَلَّكا[1]. اهـ

فلمَّا قال: «فأَنْهَلَكَ المَأْمُورُ»، فقلتُ: يا رسولَ الله، ما هكذا قلتُ، وإنَّما قلتُ: «المَأْمُونُ»، قال: «مأمونٌ والله». وأنشَدَهُ القصيدةَ الَّتي أَوَّلُها: «بَانَتْ سُعَادُ» فكَسَاهُ النَّبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُرْدةً لَهُ، فاشْتَرَاهَا مُعَاوِيَةُ مِن وَلَدِهِ، فهي الَّتي كان يَلبَسُهَا الخُلَفَاءُ في الأعيادِ[2].

وها أنَا ذا أَشْرَعُ في شرْحِ هذه القصيدةِ، وقد سمَّيْتُه: «عُلُوَّ الكعبِ الأدبيِّ، شَرْحَ قصيدةِ كعبِ بنِ زُهَيْرٍ الصَّحَابِيِّ: (بَانَتْ سُعَادُ)». واللهَ أَسْأَلُ التَّوفِيْقَ لِخَيرِ مَأمُولٍ مِنَ الشَّرْحِ والبَيَانِ لِمسَائِلِ عِلمِ العَربيَّةِ.

❁ ❁ ❁

= ابن عبد الله العَسْكَرِيِّ، ص: (١٩٤ - ١٩٥) تحقيق عبد السّلام محمّد هارون. الطّبعة الثّانية (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) مطبعة المَدَنيّ.

(١) «الإصابة في تمييزِ الصّحابة» لابن حجر العسقلانيّ (٥/ ٤٤٣ - ٤٤٤).

(٢) المرجع السَّابق، و«المصون في الأدب»، ص: (١٩٧ - ١٩٨).

قال كعبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١- بانَتْ سُعَادُ فقلبِي اليومَ مَتْبُولُ ... متيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مكْبولُ

أولا[١]: إعراب[٢] كلمات هذا البيت:

بانَتْ: فِعلٌ ماضٍ معلومٌ مبنيٌّ على الفتحةِ الظّاهرةِ، و«التّاءُ» السّاكِنَةُ حَرفٌ مَبنِيٌّ لا محَلَّ لَه مِنَ الإِعرَابِ، يَدُلُّ على تأنيثِ الفاعِلِ.

سُعَادُ: فاعلُ «بانتْ» مرفوعٌ، وعلامَةُ رفعِهِ الضَّمَّةُ الظّاهِرَةُ على آخِره.

فَقَلْبِي: «الفاءُ» لَمحْضِ السَّبَبِيَّةِ، تَعَيَّنَتْ هنَا لِرَبْطِ المُسَبَّبِ بسببِهِ عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الشَّرْطِ والجَزَاءِ، ولا تُفيدُ التَّشْرِيكَ في الإِعْرَابِ[٣].

فالسَّبَبُ: البَيْنُ، والمُسَبَّبُ: مَا بعْدَ «الفاءِ» مِنَ الجُمْلةِ الاسميّةِ، الّتي رُبِطَتْ بِمَا قَبْلَ «الفاءِ» بغيرِ أداةِ شرْطٍ يُفهَمُ منها تَرَتُّبُ الجَزَاءِ على الشَّرْطِ بـ «الفاءِ» بِهَا.

قَلْبِي: «قلب»: مبتدأٌ مرفوعٌ، وعلامةُ رفعه الضّمّةُ المقدّرةُ على مَا قبْلَ «ياءِ» المتكَلِّم، وهو «الباءُ» المَكْسُورَةُ مِن: «قلبِ» لِمُنَاسَبَةِ «يَاءِ» المُتكَلِّمِ. و«قَلْبِ» مضافٌ. و«الياءُ» مضافٌ إليهِ مَبْنِيٌّ على السُّكونِ في محلِّ جرٍّ.

---

(١) «أوّلًا»: اسمٌ جامد بمعنى «سابق»، منصوبٌ، نعتٌ لِمنعوتٍ محذوفٍ هو مفعولٌ مطلقٌ لِعاملٍ محذوفٍ أيضًا تقديرُهما: «أَقُولُ قَولًا أَوَّلًا» أي سَابِقًا، أشار سيبويهِ إلى أنّه اسمٌ جامدٌ بقوله في «الكتاب» (٣/ ٢٨٨): «وقد جعلوه اسمًا بمنزلةِ أَفْكَل». اهـ.

(٢) «إعرابُ» مرفوعٌ، على أنّه خبرُ مبتدإٍ محذوفٍ تقديرُه «هو»، والمقصودُ أنَّ «أوّلًا» هنا مصروفٌ، لأنّه قد يأتي لفظُ «أوّل» بمعنى «أسبَقُ» على وزن «أفعَلَ» للتّفضِيلِ، فيكون وصْفًا مُشْتَقًّا يُمْنَعُ من الصّرفِ. انظر: «المنصِفَ» لابنِ جنِّيٍّ (٢/ ٢٠١).

(٣) «شرحُ الأشمونيّ على ألفيّةِ ابْنِ مَالِكٍ» وعليه حاشِيَةُ الصّبّان مع شرح الشّواهد للعَيْنِي (٤/ ٢٣). مُلْتَزِمو الطّبعِ والنّشر أصحابُ دار إحياء الكتب العربيّة عيسى البابي الحلبيّ وشركاه.

....

اليَـومَ: ظَـرفُ زمانٍ مفعـولٌ فيه منصـوبٌ بِمَا بَعـده مِنْ «مَتبُـول»، وهو خبرٌ للمبتدإِ مَرفوعٌ وعلامةُ الرّفعِ ضمّةٌ ظاهرةٌ.

مُتَيَّمٌ: خبرٌ ثانٍ مرفوعٌ.

إِثرَها: «إِثرَ»: ظرفُ زَمَانٍ مفعولٌ فيه منصوبٌ، وعلامةُ نصبِه الفتحةُ الظَّاهِرَةُ و«إِثرَ» مضافٌ. و«ها» مضافٌ إليه ضَمِيرٌ مَبْنِيٌّ على السُّكونِ في محلِّ جَرٍّ، وناصِبُ الظَّرْفِ «إِثرَ» «متيَّمٌ».

لَمْ يُفدَ: «لم»: حرفُ نفيٍ وجزمٍ وقَلْبٍ، «يُفدَ»: فعلٌ مضارعٌ مجهولٌ، مجزومٌ، وعلامـةُ جزمِهِ حذفُ حرْفِ العِلَّةِ «الألف» مِن آخرِه، ونائِبُ فَاعِلِهِ ضميرٌ مُسْـتَتِرٌ فيـه جَـوَازًا تقديرُه «هو» يعـودُ إلى «قلبي»، وجملـةُ «لم يُفدَ» فِي مَحَلِّ رَفْـعٍ خَبَرٌ ثَالِثٌ لـ«قَلْبِي».

مَكْبُولُ: خَبَرٌ رَابعٌ مرفوعٌ. وفي هذا دليلٌ على جَوَازِ تَعَدُّدِ الخَبَرِ لِـمُبْتَدَإٍ واحِدٍ، وهو الصَّحيحُ مِن قَولَي النُّحَاةِ. أَشَارَ إليه ابنُ مالكٍ في «الخُلَاصَةِ» بقولِه:

وأَخْـبَـرُوا بـاثْـنَـيْـنِ أَو بأَكْثَرَا عَـنْ وَاحِـدٍ كَـ «هُـمْ سَـرَاةٌ شُعَرَا»

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

بانَتْ: أي فَارَقَت وانْفَصَلَتْ وذَهَبَتْ بِجَسَـدِها. والفِعْـلُ «بانَ» يُوَافِقُ الفِعْلَ «بَـازَ» في اللُّغَـةِ[١]. وَعَليه تَقُولُ: «بازَتْ سُـعَادُ» أي بَانَتْ. وقال بَعْـضُ أَهْلِ اللّغةِ «باز يَبِيزُ بَيْزًا وبُيوزًا»: بَادَ[٢]. اهـ، وقال آخرُ «بازَ عنهُ»: حَادَ[٣]. اهـ

(١) «وِفـاق المفهـوم في اختـلاف الـمَقولِ والمرسـوم». تأليف: جمـال الدِّين أبي عبـد الله محمّد بن عبد الله ابن مالك الجيَّانيّ، ص: (١٢٩). الطَّبعة الأولى (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).

(٢) «القاموس المحيط» (٢/ ١٦٧).

(٣) «لسان العرب» (٥/ ٣١٤).

سُعَادُ: عَلَمٌ مُرْتَجَلٌ لامْرَأَةٍ كان كعبٌ يَنْسِبُ بِذِكْرِ مَحَاسِنِها العَامَّةِ، وليستْ امْرِأَةً حقيقيَّةً تَنَاوَلَ صِفَاتِهَا الخَاصَّةِ بِالذِّكْرِ، لم يفعلْ هذا كعبٌ، بل نسبَ بـ«سُعاد».

و«النَّسِيبُ» بِخِلَافِ «الغزَلِ» عَلَى التَّحْقِيقِ؛ إذِ «الغزَلُ» مُحَادَثَةُ النِّسَاءِ واللَّهْوُ مَعَهُنَّ وأَغْلَبُ مَا يَكُونُ فِي الفِتْيَانِ مَعَ الفتيَاتِ، و«النَّسِيْبُ» ليس كَذَلِكَ بِدَلِيلِ قَولِ عَلّامَةِ العِرَاقِ في وَقْتِه: مَحمود شُكرِي الأَلُوسِيّ: «النّسيبُ هو ذِكْرُ الـمَرْأَةِ بِالحُسْنِ، والإخْبَارُ عَنْ تَصَرُّفِ هَوَاهَا بِهِ، ولَيْسَ هُوَ الغزَلُ، وإِنَّمَا الغزَلُ الاشْتِهَارُ بِمَوَدَّاتِ النِّسَاءِ والصَّبْوَةِ إِلَيْهِنَّ، والنَّسِيبُ ذِكْرُ ذَلكَ والخَبَرُ عَنْهُ»[1]. اهـ. وافْتِتَاحُ كَعْبٍ هذه القصيدةَ بِالنَّسِيبِ جَرَى في ذلك على عَادَةِ فُحُولِ شُعَرَاءِ العَرَبِ، مِن تقديمِهم النَّسِيبَ[2] إِذَا أَرَادُوا الـمَدْحَ، عَلَى حَدِّ قولِ الـمُتنبِّي:

إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالنَّسِيبُ المُقَدَّمُ أَكُلُّ فَصِيحٍ قَالَ شِعْرًا مُتَيَّمُ[3]؟!

قال أبو الحَسَنِ عَلِيُّ بنُ سِيدَه الأَنْدَلُسِيّ: «مِنْ شَأْنِ الشُّعراءِ إذا أرادُوا الـمَدْحَ أَنْ يُقدِّمُوا النَّسِيبَ، هذا هو الأغلَبُ، حَتَّى سَمَّوا الشِّعْرَ الَّذِي لا يُصَدَّر بالنّسيب خَصِيًّا، حُكِي هذا عن أَبِي زَيدٍ»[4]. اهـ. ووَاضحٌ مِن قَصيدةِ كعبٍ هذِهِ أَنَّهُ أَرَادَ

(١) «بُلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» (٣/ ٢٠٧)، و«أساس البلاغة» للزّمخشريّ (٢/ ٤٣٧).

(٢) والنّسيبُ مِنْ أقْسَامِ الشِّعرِ. أشارَ إلى ذَلكَ العَلّامةُ البليغُ أبو الحسن حازم القرطاجنيُّ في «منهاج البلغاء وسراج الأدباء»، ص: (٣٣٦) فقال: اختلف النّاسُ في قسمةِ الشِّعر فقسَّمه بعضُ مَنْ تَكَلَّمَ في ذلك إلى ستَّةِ أقسام: مدحٍ وهجاءٍ ونَسيبٍ ورِثاءٍ ووصْفٍ وتَشبيهٍ. اهـ.

(٣) «شرح ديوان المتنبّي» وضَعَه عبدُ الرّحمن البَرْقُوقيُّ (٤/ ٦٩)، مطبعة السَّعادة.

(٤) «شرحُ مُشكلِ شِعرِ الـمُتنبِّي» وضعُ ابنِ سِيده الأندلسيّ، ص: (٢٠٧)، منشورات دار المأمون للتّراث دمشق. ص ب (٤٩٧١).

....

بِهَا مَدْحَ الرَّسـولِ ﷺ، فَقَدَّمَ النَّسِيبَ ومَا يَتْبَعُهُ مِنْ ذِكْرِ الجَمَالِ فالاسْتِعْطَافِ فالاعتِذَار فالـمَدْح بعدَ ذلك كُلِّه. فكان الغَرَضُ الّذي يَرْمِي إليه مِنْ هذهِ القَصِيدَةِ الّتـي بَدَأَهَـا بِالنَّسـيبِ هو الـمَـدْحُ. وقد أَلقَى أَبُو تَمَّـامٍ الضَّوءَ الكَاشِـفَ عنْ كيفيّةِ وطريقـةِ هذا النَّوعِ مِن الشِّـعْرِ مُخاطِبًـا البُحْتُرِيَّ بها فقال: «وتَغَنَّ بالشِّـعرِ، واجتَهِدْ في إيضاحِ مَعَانِيهِ، فإنْ أردْتَ النَّسِـيبَ فاجْعَلْ اللّفظَ رقيقًا، والمعنى رَشِـيْقًا، وأَكْثِرْ فيـه مِن بَيَـانِ الصَّبابَةِ، وتَوقُّـعِ الكَآبَةِ، وقَلَـقِ الأَشْـوَاقِ، ولَوعَةِ الفِـرَاقِ، والتَّعَلُّلِ باسْتِنْشَـاقِ النَّسَـائِمِ وغِنَاءِ الحَمَائِمِ، والـبُرُوقِ اللَّامِعَةِ والنُّجُـومِ الطّالِعَة، والتَّبَـرُّم بِالعُذَّال، والعَواذِل، والوُقُوف على الطَّلَل المَاحِل.

وإذا أخَـذْتَ في مَـدْحِ سَـيِّدٍ ذِي أَيَـادٍ، فأَشْـهِرْ مَنَاقِبَـه، وأَظْهِرْ مَنَاسِـبَه، وأَبِنْ مَعالِـمَه وشرف مقاوِمـه وأرْهِف مِن عَزَائِمِه، ورَغِّبْ في مَكَارِمِه، وتَقَاصَّ المعانِيَ، واحذرْ الـمَجهُولَ منها، وإيَّاكَ أَنْ تَشِينَ شِعْرَكَ بِالعِبَارَةِ الرَّزِيّة، والألفاظِ الوَحْشِيَّة، ونَاسِـبْ بينَ الأَلفَاظِ والمَعَانِي في تأليفِ الكلام، وكُنْ كأنَّك خيَّاطٌ تُقدِّر الثيابَ علَى مَقَادِيرِ الأَجْسَام»[1] اهـ. وهذا ما سيتجلَّى لك في صَنيعِ كعبٍ في هذه القصيدة.

وقد أَنْشَـأَ شَـيخُنَا العَلّامَـةُ الـمُتَبَحِّـرُ قَصِيـدَةً كَامِلَةً مِنَ البحـر «الكامل» في النَّسِـيبِ افْتِتَاحًـا واخْتِتَامًـا، أَشَـارَ فَقَطْ فِي صَـدْرِ البَيْتِ الثّانِي إلى الغَـرَضِ مِن هذا النّسـيبِ، وهو أَنَّ مَقْصِدَ الشُّـعراءِ الغالبَ فِي قَولِ الشِّـعْرِ التَّكَسُّبُ بِهِ، وذلك ليس مَقْصِدًا له هو في قَوْلِ الشِّعرِ، فقالَ:

---

(١) «القول البديع في علم البديع» للعلّامة مَرْعي بن يوسـف الحنبليّ، ص: (٢١٤)، الطَّبعة الأولى (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

أُنقِذتُ مِن دَاءِ الهوى بِعِلاجِ — شَيْبٍ يَزِينُ مَفَارِقِي كالتَّاجِ
قد صَدَّنِي حِلمُ الأكابِرِ عَنْ لَمَى — شَفَةِ الفَتَاةِ الطِّفْلَةِ المِغْنَاجِ
مَاءُ الشَّبِيبَةِ زَارِعٌ فِي صَدْرِهَا — رُمَّانتَيْ رَوْضٍ كَحُقِّ العَاجِ
وكأَنَّهَا قَدْ أُدْرِجَتْ فِي بُرْقُعٍ — يَا وَيْلَتَاهُ بِهَا شُعَاعُ سِرَاجِ
وكَأَنَّمَا شَمْسُ الأَصِيلِ مُذابَةً — تَنْسَابُ فَوقَ جَبِينِهَا الوَهَّاجِ
يُعْلَى لِمَوقِعِ جَنْبِهَا فِي خِدْرِهَا — فَوقَ الحَشِيَّةِ نَاعِمُ الدِّيْبَاجِ
لم تَبْكِ عَيْنِي بَينَ حَيٍّ جِيرَةً — شَدُّوا المَطِيَّ بِأَنْسُعِ الأَحْدَاجِ
نَادَتْ بِأَنْغَامِ اللُّحُونِ حُدَاتُهُمْ — فَتَزَيَّلُوا واللَّيلُ أَلْيَلُ دَاجِ
لا تَطَّبِينِي[1] عَاتِقٌ فِي دَنِّهَا — رَقَّتْ فَرَاقَتْ فِي رِقَاقِ زُجَاجِ
مَخْضُوبَةٌ مِنهَا بَنَانُ مُدِيرِهَا — إِذْ لَمْ تَكُنْ مَقْتُولَةً بِمِزَاجِ
طَابَتْ نُفُوسُ الشَّرْبِ حَيْثُ أَدَارَهَا — رَشَأٌ رَمَى بِلِحَاظِ طَرْفٍ سَاجِ
أَو ذَاتُ عُودٍ أَنْطَقَتْ أَوتَارَهَا — بِلُحُونِ قَولٍ لِلقُلُوبِ شَوَاجِي
فَتَخَالُ رَنَّانَ المَثَانِي أَحْرُفًا — قَدْ رُدِّدَتْ فِي الخَلْقِ مِنْ مُهْتَاجِ
وَكَأَنَّهَا قَدْ لُقِّنَتْ رَنَّاتِهَا — مُتَحَيِّزَاتِ حَرِيمِهَا الهَيَّاجِ[2]. اهـ

والإِشَارَةُ إلى هذا الغَرَضِ مِن هَذَا النَّسِيبِ في قولِه: «قَدْ صَدَّنِي حِلْمُ الأكابِرِ» وذلك أَنَّ أَكَابِرَ العُلَمَاءِ كالشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَفُوا عن التَّكسُّبِ بالشِّعْرِ، وهُم قَادِرُونَ

(١) أي لا تَدْعُونِي ولا تَسْتَمِيلُنِي عَاتِقٌ وهي الخَمْرُ. يقال: «طَبَاهُ يَطْبُوه طَبْوًا» إذَا دَعَاهُ. والمَزِيدُ مِنْهُ «إطَّبَاهُ» على وَزْنِ «افْتَعَلَ» وأَصْلُه «إطْتَبى» فَقُلِبَتْ «تَاءُ» الافْتِعَالِ «طَاءً» وأُدْغِمَ فيها «طَاءُ» الفِعْلِ، فصارَ «إطَّبَى» ومُضَارِعُه «يَطَّبِي». «القاموس المحيط» (٤/ ٣٥٦).

(٢) «رحلَة الحجّ إلى بيت الله الحرام» تأليفُ الشَّيْخ العَلَّامة مُحَمّد الأَمين بن مُحَمّد المُختار الجكَنِيّ الشِّنقيطيّ (١٣٢٥ هـ - ١٣٩٣هـ) ص (٢٧٨ - ٢٧٩). الطَّبعة الأولى (١٤٢٦هـ).

عَليه مَعَ مَا فِيهِ مِـنْ الإِغْرَاءِ، فَشَبَّهَ الشَّيخُ الشِّعْرَ بِفَتَاةٍ مُغْرِيَةٍ بِجَمَالِـهَا، هَذِهِ صِفَاتُهَا، فَأَعْرَضَ عَنْهَـا تَورُّعًا وتَشَبُّهًا بِهَؤُلَاءِ الأَكَابِرِ. وَالـمَثَلُ العَرَبِيُّ: «أَنسَبُ مِنْ كُثَيِّر» أَي أَرَقُّ نَسِيبًا مِنْهُ، يَصْدُقُ عَلَى الشَّيخِ فِي نَسِيْبِهِ هَذا! .

وَ«النَّسِـيبُ» فنٌّ مِن فُنُونِ الشِّـعْرِ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ الشَّاعِرِ، وَقُدْرَتِهِ عَلَى الوَصْفِ الجَمِيـلِ الطَّبَعِـيِّ، كَمَا لَـمَّـحَ الجُمَحِيُّ إلى ذَلِـكَ فِي كُثَيِّرِ عَزَّةَ، فَقَـالَ: «كان لِكُثَيِّرٍ في النَّسِيبِ نَصِيبٌ وَافِرٌ، وكان له مِنْ فُنُونِ الشِّعْرِ ما ليسَ لِجَمِيلِ بُثَيْنَة»[1]. اهـ.

مَتْبُـول: اسـمُ مَفْعُـولٍ مِـن «تَبلَهُ تَبْـلًا» أي ذَهَبَ بِعَقْلِه أو أَسْـقَمَهُ وأَفْسَـدَهُ، فـ«مَتْبُول»: مُسْقَمٌ مَذْهُوبٌ بِه، ومِنْهُ قولُ الشّاعِرِ حَسَّان بن ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

تَبلَتْ فُـؤادَكِ في الـمَنَـامِ خَرِيدَةٌ　　　تَسْقِي الضَّجِيعَ بِبَارِدٍ بَسَّام[2]. **اهـ**

مُتَيَّم: أي مُعَبَّدٌ مُذَلَّلٌ لِلْحُبِّ، ومنه قَولُ الشَّاعِرِ لَقِيطِ بنِ زُرارَة:

تَامَتْ فُـؤادَكَ لو يُحْزِنْك مَا صَنَعَتْ　　　إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي ذُهلِ ابنِ شَيْبَانَا[3]. **اهـ**

إِثْرَهَـا: «الإِثْرُ»: مَحَلُّ الشَّيءِ ومَوضِـعُ القَدَمِ مِن الأرضِ، فَهو ظَرْفُ مَكَانٍ في الأصلِ إِلَّا أنّه هُنَا ظرفٌ للزّمَانِ بمعنَى «بَعْدَ» أي بَعْدَهَا، بِدَلِيلِ السِّيَاقِ.

لم يُفْـدَ: أي لَمْ يُنْقَـذ مِـنْ حُبِّها الّذِي صَارَ مَرَضًا له وَقَـعَ فِي أَسْرِهِ، والخَلَاصُ مِـن مَرَضِ الهَوَى صَعْبٌ جِدًّا، والعَرَبُ تَسْـتَعْمِلُ مَـادَّةَ «الفِدَاء» للتَّخَلُّصِ مِنْ هَذَا

---

(١) «بلوغُ الأربِ في معرفةِ أحوالِ العربِ» (٣/ ٢٠٨).
(٢) «الكامل» للمُبرِّد (٢/ ٨٦٧). الطّبعة الثّالثة.
(٣) «لسان العرب» (١٢/ ٧٥).

الـمَرَضِ اسْتِعْمَالَـهم مَادَّةَ «الإنقاذ» مِنْه كَذَلك، ومِن ذَلِكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَولِ شَيْخِنَا فِي مُسْتَهَلِّ قَصِيْدَتِه الـمُومَى إليها آنِفًا فِي النَّسِيبِ:

أُنْـقِـذْتُ مِـنْ دَاءِ الهَـوَى بِـعِـلَاجِ شَـيْـبٍ يَـزِيـنُ مَـفَـارِقِـي كَالتَّاجِ

فَقَولُـه «أُنقِـذْتُ» معنَاه: فُدِيتُ، وخُلِّصْـتُ مِنْ دَاءِ الهَوَى بِعِلَاجٍ هو الشَّـيبُ فِي رَأْسِي كالتَّاج. فَمَدَحَ الشَّيْبَ عَلى خِلَافِ عَادَةِ الشُّعَرَاءِ فَإِنَّهُم يَذُمُّونَ الشَّيْبَ[1] ويَفِـرُّونَ مِنْهُ دَائِمًا، والشَّـيخُ عَكَسَ ذَلِكَ[2]، لِأَنَّهُ لَمْ يَهْوَ فَتَاةَ الشِّـعْرِ الجَمِيلَةَ، فَمَدَحَ الشَّـيْبَ الَّـذِي بـه أُنْقِذَ مِنْ دَاءِ هَـوَى هذِهِ الفَتَاةِ الشِّـعْرِيَّةِ. وَسِرُّ الفَـرْقِ بَينهُم وبيْنَ الشَّيخ، أنَّهم يُحِبُّون أنْ يَكُونُوا شُبَّانًا صِغَارَ السِّنِّ، لِيَتَمَتَّعُوا بِالشَّبِيبَةِ فِي اللَّعِبِ واللَّهْوِ بِالنِّسَاءِ، وهُنَّ إنَّمَا يَرْغَبْنَ في الشَّبَابِ لا في الشِّيب، كما قَالَ الأَخْطَلُ التَّغْلبيُّ:

يَـا قَـاتَـلَ اللهُ وَصْـلَ الـغَـانِـيَـاتِ إذَا أَيْـقَـنَّ أَنَّـكَ مِـمَّـنْ قَـدْ زَهَـا الكِبَرُ
أَعْرَضْـنَ لَـمَّا حَنَى قَوْسِـي مُوَتِّرُهَا وَابْـيَـضَّ بَـعْـدَ سَـوَادِ الـلِّـمَّـةِ الشَّعَرُ
لَا يَـرْعَـوِيـنَ إِلَى دَاعٍ لِـحَـاجَـتِـهِ وَمَـا لَهُنَّ إِلَى ذِي شَيبَةٍ وَطَـرُ[3]. اهـ

مَكْبُول: مَعْنَاه «مُقَيَّدٌ». يُقَال «كَبَلَه يَكْبِلُه» أي قَيَّدَه بِشَيءٍ يَكُونُ به التَّقييدُ.

---

(١) نظَـرًا لمـا يُفضي إليـه مِن ضَعْفٍ ومَرَضٍ في الجسَـدِ، على حدِّ قول بعضِ المتأخِّريـن مِنَ الأدبَاءِ الشُّعَرَاءِ:

أَبَـعْـدَ الـتِّـسْـعِ والـسِّـتِّـينَ أَرْجُـو لَـــذَاذَةَ عِـيـشَـةٍ وصَــلَاحَ جِـسْـمٍ؟!

(٢) لأنّه قد يُتَّقى به ما قد يَتَوَلَّدُ مِنْ سَوْرَةِ الشَّبابِ وغُلَوَائِه مِنَ الانحراف.

(٣) «شعرُ الأخطل» أبي مالكٍ غِياث بن غَوثٍ التَّغلِبيِّ، ص: (١٤٥)، الطّبعة الرَّابعة (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

وفي قولِه «مَتْبُولُ» في آخِرِ جُزْءٍ مِن الصَّدرِ، وهو «العَروضُ» في اصْطِلَاحِ العَرُوضيِّيْنَ[1]، وقولـه: «مَكْبُولُ» في آخر جُزْءٍ مِنَ العَجُزِ، وَهُوَ «الضَّرْبُ» فِي الاصْطِلَاحِ[2]، وقد اسْتَوَتْ الكَلِمَتَانِ فِي الوَزْنِ والإِعْرَابِ، وقُفِّيتِ العَروضُ لِلضَّرْبِ في «الوَاوِ»، فَإِنَّ فِيهِمَا نَوْعًا مِنَ السَّجْعِ يُسَمَّى في عِلْمِ البَدِيعِ «تَصْرِيعًا» أَشَارَ إلى هَذَا التَّصْرِيعِ العَلّامةُ: عبدُ الله بنُ الحَاجّ العَلَوِيُّ الشِّنْقِيطِيُّ بِقَولِهِ:

تَقْفِيَةُ العَرُوضِ كَالضَّرْبِ دَعَوْا   إِيَّاهُ تَصْرِيعًا فَخُذْ مَا قَدْ رَوَوْا[3]. اهـ



(١) «الرِّياضُ الوافية في علْمَي العَرُوضِ والقافية» ليوسُف عبد الرَّحمن الجُهَنِيِّ، ص: (٨٠)، طُبع بالمطابع الوطنيَّةِ الحديثةِ – الرِّياض – سنة(١٣٧٦هـ – ١٩٥٦م).

(٢) المرجع السَّابق.

(٣) «فَيْضُ الفتَّاح على نَوْرِ الأَقَاحِ» (٢/ ٣٠٣)، الطَّبعةُ الثَّانيةُ لسنة (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م).

٢ـ وما سُعَادُ غَدَاةَ البَيْنِ إذْ رَحَلُوا إلَّا أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

وما سُعَادُ: «الواوُ» حرفٌ للاستئنافِ. «ما» حرفُ نفيٍ، مَبنيٌّ على السُّكُونِ، لا محلَّ له مِنَ الإِعْرَابِ. «سُعادُ»: مُبْتَدأٌ مَرْفُوعٌ، وعَلامَةُ رفعِه الضّمّةُ الظَّاهِرَةُ على آخِرِه.

غداةَ البَيْنِ: «غَدَاةَ»: ظَرفُ زَمَانٍ، مَفْعُولٌ فيهِ مَنصُوبٌ، وقدْ تَأَخَّرَ مَا عَمِل فيه في الذِّكْرِ للنَّظْمِ تَأتِيْ الإشَارةُ إليه، و«غَداةَ» مُضافٌ. و«البَيْنِ» مضافٌ إليه مجرورٌ، وعلامةُ جرِّهِ الكِسْرةُ الظَّاهِرَةُ.

إذْ: ظَرْفٌ لِمَا مَضى مِن الزَّمَانِ، مَبْنِيٌّ على السُّكُونِ في محلِّ نَصْبٍ بَدَلٌ مِن «غداةَ»، و«إذْ» مُضَافٌ.

رَحَلُوا: فِعْلٌ ماضٍ مَعلومٌ، مَبنيٌّ علَى الضَّمِّ لِاتِّصَالِهِ بـ «وَاوِ» الجَمَاعَةِ، أوْ علَى فَتْحَةٍ مُقدَّرَةٍ مَنَعَ مِنْ ظُهُورِهَا الضَّمَّةُ العَارِضَةُ لِـمُنَاسَبَةِ «واوِ» الجَمَاعَةِ[1]. وهذا الإعْرابُ الأخيرُ إعرابُ المحقِّقِينَ، كَمَا أَشَارَ إليهِ ابنُ هِشَامٍ الأنصَارِيُّ[2]، و«الواو» ضميرُ رفْعٍ مَبْنِيٌّ على السُّكُونِ في مَحَلِّ رفع، فاعِلٌ. وجملةُ «رَحَلُوا» في محلِّ جرٍّ مضافٌ إليهِ.

---

(١) كتابُ «الكافيَة في النّحْوِ» لابْنِ الحَاجِبِ النَّحْوِيّ المَالِكِيّ بِشرحِ رَضيِّ الدِّينِ الإستراباذِيّ (٢/ ٢٢٦). دار الكتب العلميَّة - بيروت - لبنان، و«شَرحُ الأشمونيّ لألفيّةِ ابنِ مَالِكٍ» عليه حاشيةُ الصّبّان معهما «شرحُ الشَّواهِدِ» للعَينِي (١/ ٥٨)، و«شرح المُفَصَّل» لابن يعيش (٦/٧). عالم الكتب - بيروت، مكتبة المتنبّي - القاهرة -.

(٢) «أوضح المسالك».

إِلَّا: أداةُ استثْنَاءٍ، مُلْغَاةٌ عَنِ العَمَلِ فِيمَا بَعْدَهَا لِكَونِ العَامِلِ قَبْلَهَا مُفرَّغًا وَحْدَهُ لِلعَمَلِ فِيمَا بَعْدَها.

أَغَنُّ: خَبَرُ المُبْتَدَإِ مَرْفُوعٌ.

غَضِيضُ الطَّرْفِ: «غَضيضُ»: خبرٌ ثانٍ، مَرفُوعٌ، وهو مُضَافٌ. «الطَّرْفِ»: مُضافٌ إليه مجْرُورٌ.

مَكْحُولُ: خَبَرٌ ثالِثٌ مَرْفُوعٌ.

وقَوْلُه «**غَدَاةَ البَيْنِ**»: تَنَازَعَ العَمَلَ فيهِ الأخبارُ الثَّلَاثَةُ لِلمُبْتَدَإِ، وهو لَفْظُ: «سُعَادُ»؛ إذْ نظمُ الكلامِ المُرَتَّبُ: «ومَا سُعَادُ إِلَّا أَغَنُّ، غَضِيضُ الطَّرْفِ، مَكْحُولٌ غَدَاةَ البَيْنِ إِذْ رَحلُوا». وإِعمَالُ الثّالِثِ - وهو: مَكْحُولُ - يَلْزَمُ عَلَى مَا أَشَارَ إليه ابنُ مَالِكٍ[1].

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

غداةَ البَينِ: غَدَاةُ: اسْمٌ لِوقْتٍ بَيْنَ صلَاةِ الصُّبْحِ وطُلُوعِ الشَّمْس[2]. و«البَيْنُ» هُو الفِرَاقُ[3].

رَحلُوا: ذَهَبُوا وانْتَقلوا[4]. واستَعْمَلَ المُتَنَبِّي «رَحَلَ» بهذا المعنى في قولِه:

(١) «شرح التَّسهيل» لابن مالك (١/ ١٦٨). الطّبعة الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م). هَجَر للطِّباعةِ والنَّشر والتَّوزيع والإعلام.

(٢) «القاموس المحيط» (٤/ ٣٦٨ - ٣٦٩).

(٣) ويأتي للوصْلِ أيضًا، فهو مِنَ الأَضْداد. «لسان العرب» (١٣/ ٦٢).

(٤) «القاموس المحيط» (٣/ ٣٨٣).

رَحَلْتُ فكَمْ بَاكٍ بِأَجْفَانِ شَادِنٍ عَلَيَّ وكَمْ بَاكٍ بِأَجْفَانِ ضَيْغَمِ[١]. اهـ

أغنُّ: وَصْفٌ لِلظَّبْيِ الَّذي في صَوتِه غُنَّةٌ، وهِي صَوْتٌ مِن اللَّهَاةِ والأنْفِ، وهُمَا مَخْرَجُهَا فِي عِلْمِ التَّجْوِيدِ، قَالَ مُحَمَّد بنُ الجزريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مَنظُومَتِهِ:

لِلشَّفَتَينِ واوٌ بَاءٌ ميمُ وغُنَّةٌ مَخْرَجُهَا الخَيْشُومُ

والخَيشومُ دَاخِل الأنْفِ، مثلُ «نونٍ»: «مِنْك» و«عَنْك» لِأَنَّه لَا حَظَّ لِلغُنَّةِ في اللِّسَانِ.

غَضِيضُ الطَّرْف: مَغْضُوضُ العَينِ خِلْقَةً لِفُتُورِ أَجْفَانِها[٢]. فَهُوَ «فَعِيل» بِمعنَى «مَفْعُول»، وذَلِكَ قَدْ يَكُونُ فِي اللُّغَةِ مِنَ الحَيَاءِ والخَفَرِ[٣]. و«الطَّرْفُ» هو العَيْنُ، في اللُّغَةِ.

مَكْحُول: أي هَذَا الطَّرْفُ مَوضُوعٌ فيه الكُحْلُ. فَشَبَّهَ كَعبٌ سُعادَ بِظَبْيٍ أَغَنَّ تَشْبِيهًا بَلِيغًا حَذَفَ مِنهُ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ، والتَّقديرُ: «وما سُعادُ إلَّا كَظَبْيٍ»، لَكِنَّه ذَكَرَ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ مِنْ جِنْسِ وَجْهِ الشَّبَهِ العَامِّ، وهو «الجَمَالُ» هي: الغُنَّةُ في الصَّوتِ، والفُتُورُ فِي جَفنِ العَيْنِ، والكُحْلُ فيها، وهذا التَّشبيهُ البَلِيغُ مَصبُوبٌ مِنهُ في قَالَبِ «القَصْر» فِي عِلْمِ المَعَانِي، وهو مِن النَّوعِ الَّذي يقال فيه «قَصْرُ مَوصُوفٍ علَى صِفَة».

---

(١) «شرح ديوان الـمُتنبِّي» وَضَعَهُ عَبدُ الرّحمن البَرْقوقيّ (٤/ ٢٦٤).

(٢) «القاموس المحيط» (٢/ ٣٣٨)، و«أساس البلاغة» للزَّمخشريّ (٢/ ١٦٦).

(٣) كالحاصِلِ في طَرَفِ سُعَاد هنا. وأصْلُ غَضِّ الطَّرْفِ في اللُّغةِ هو خَفْضه مُطْلَقًا، وذلك لِشيءٍ طَرِيٍّ لا يُبْسَ فِيه وهو الجَفْنُ، فإذا قِيل «غَضَّ طَرْفَهُ»: دَانَى بَيْنَ جَفْنَيْه ولَمْ يُلَاقِ. «القاموس المحيط» (٢/ ٣٣٨)، و«لسان العرب» (٧/ ١٩٧).

....

فسُعَادُ مَوصُوفَةٌ ومَقْصُورَةٌ عَلَى صِفَتِهَــــا الّتِي هِيَ «أَغَنّ» وَزَادَ ذَلكَ القَصْرُ التَّشْبِيهَ تَأْكِيدًا.



٣- تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلْمٍ إذا ابْتَسَمَتْ ... كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

تَجلُو: فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَعْلُومٌ، مَرفوعٌ لِتجرُّدِهِ مِنَ النَّوَاصِبِ والجَوَازِمِ، وعلامةُ رفعِه ضَمَّةٌ مُقَدَّرَةٌ عَلَى «الوَاوِ» مَنَعَ مِنْ ظُهُورِهَا الثِّقَلُ، وفاعلُه ضميرٌ مُستَتِرٌ فيهِ جَوَازًا تَقدِيرُه «هي» يَعودُ إِلَى «سُعَاد».

عَوَارِضَ: مَفعولٌ بِهِ لِـ «تَجلُو»، مَنصُوبٌ، و«عَوارِضَ» مضافٌ.

ذي: مضافٌ إليه مَجرورٌ وعلامةُ جَرِّهِ «الياءُ»، وهو صفةٌ لِـموصوفٍ محذوفٍ هو «ثغر»، والتّقدير: «تَجْلُو عَوارِضَ ثَغْرٍ ذي ظَلْمٍ». و«ذي» مضاف.

ظَلْمٍ: مُضَافٌ إليه مَجْرُورٌ.

إذا: اسمُ شرطٍ غَيرُ جَازِمٍ يَتَضَمَّنُ الظّرْفِيَّةَ الزَّمَانِيَّةَ، مبنيٌّ على السُّكُونِ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ بِجَوَابِه الـمَحْذُوفِ لِتَقَدُّمِ ذِكْرِهِ وَهُوَ «تجلو». و«إذا» مضافٌ.

ابْتَسَمَتْ: فعلٌ ماضٍ معلومٌ، مبنيٌّ على الفتحِ، و«التّاء» للتّأنيث، وفاعلُه ضميرٌ مُسْتَتِرٌ فيه جَوَازًا تَقْدِيرُهُ «هي» يعودُ إلى «سُعاد»، وجملةُ «ابْتَسَمَتْ» في محلِّ جَرٍّ مُضَافٌ إليه.

كأنّه: «كأَنَّ» حَرْفُ تَشبِيهٍ مُؤَكِّدٌ، مِنْ أَخَوَاتِ «إنّ» يَنْصِبُ الاسمَ ويَرفَعُ الخَبَرَ. و«الهَاءُ»: ضَميرٌ مَبنِيٌّ على الضَّمِّ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ، اسمُ «كأنّ» يَعودُ إلى «ظَلْ».

مُنْهَلٌ: خَبرُ «كأَنَّ» مَرفوعٌ.

بالرَّاح: جارٌّ ومجرورٌ مُتَعَلِّقَانِ بـ «مُنْهَلّ».

....

مَعْلُول: خبرٌ ثانٍ لِـ «كأنّ» مرفوعٌ، وجملةُ: «كأنّه مُنْهَلٌّ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ» في مَحَلِّ جَرٍّ نَعْتٌ لِقولِه: «ذِي ظَلْمٍ».

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

تَجْلُو: أي تَكْشِفُ(١). ومنه «جَلَا» في قولِ عمْرِو بنِ الأَهْتَمِ السَّعْدِيِّ:

بَقِيْرٌ جَلَا بِالسَّيفِ عَنهُ غِشَاءَهُ   أَخٌ بِإخَاءِ الصَّالِحِينَ رَفِيقٌ(٢). اهـ

الشَّاهد «جَلَا» بِمعنى: كَشَف. و«الغِشَاءُ» جِلْدُ البَطْنِ وطَفَاطِفُه. «بَقِير»(٣) ناقةٌ شُقَّ بَطْنُها عَنْ وَلَدِهَا، فَهُوَ عَلَى وَزْنِ «فَعِيل» بِمَعْنَى «مَفْعُول».

عَوَارِضَ: جَمْعُ «عارض» وهو في اللّغةِ مَا يَعرِضُ في جانبٍ مِن السَّماءِ مِنَ السَّحَابِ(٤). ومِنْهُ قَولُه تَعَالَى: ﴿قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾ [الأحقاف: ٢٤](٥). أمَّا «العَارِضُ» الّذِي جَمْعُه «عَوَارِض»، في بَيْتِ كَعبٍ هُنَا، فَهُوَ مَا يَظْهَرُ مِنَ الثَّغْرِ عِندَ النُّطْقِ أوِ الضَّحِكِ مِنَ الأَسْنَانِ الّتي بعْدَ الثَّنَايَا، فَهِيَ فِي عُرْضِ الفمِ(٦). وقدْ جَاءَ لَفْظُ «عَوَارِض» في بيتٍ مِنْ قَصِيدَةِ «بَانَتْ سُعَادُ» لِلأَخْطَلِ التَّغْلِبِيِّ. وهو:

---

(١) «القاموس المحيط» للفيروزأباديّ (٤/ ٣١٣).
(٢) «شرحُ اختيارات المُفَضَّل» للتّبريزيّ (٢/ ٦٠٧). الطَّبْعَة الثّانية (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م). دار الفكر.
(٣) «القاموس المحيط» (١/ ٣٧٥).
(٤) «القاموس المحيط» (٢/ ٣٣٤)، و«لسان العرب» (٧/ ١٧٤).
(٥) والآيةُ بتمامِها: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. سورة الأحقاف الآية برقم (٢٤).
(٦) «القاموس المحيط» (٢/ ٣٣٤)، و«خزانة الأدب» (٨/ ١٨٥).

....

غَـرَّاءُ فَـرْعَـاءُ مَـصْـقُـولٌ عَوَارِضُهَا كَأَنَّهَا أَحْوَرُ العَيْنَيْنِ مَكْحُولُ[١]. اهـ

ذي ظَلْم: أي صاحِبُ ظَلْمٍ، والظَّلْمُ مَاءُ الأَسنَانِ وبَرِيْقُهَا[٢].

ابْتَسَمَتْ: ضَحِكَتْ قَلِيلًا مِن غيرِ صَوْتٍ.

مُنْهَلٌ: مَسْقِيٌّ سَقْيَةً أُولَى بِالرَّاحِ. وفِعْلُهُ «أَنْهَلَهُ يُنْهِلُه» **رُبَاعِيٌّ**: إذا سَقَى غَيرَهُ شَرْبَةً أُولَى، والثُّلاثيُّ «نَهِلَ» إذا شَرِبَ شَرْبَةً أُوْلى[٣].

الرَّاح: الخَمْرُ[٤]، ويأتِي لَفظُ «الرَّاحِ» جَمْعًا لِـ «رَاحَةٍ» بـ «التَّاءِ» بمعنى الكَفِّ[٥].

معلولٌ: اسمُ مَفْعُول، مِنْ «عَلَّه» إذا سَقَاهُ ثَانِيَةً أو تِبَاعًا، قال أبو زَيْد الأنْصاريّ: «والنَّهَلُ الشَّرْبَةُ الأُولَى، والعَلَلُ الثَّانِيَةُ»[٦]. اهـ. ويَشْهَدُ لِتَفْسِيرِ أَبِي زَيدٍ لِـ «العَلَلِ» قَولُ تَأَبَّطَ شَرًّا:

يُـنْـهِـلُ الـصَّـعْـدَةَ حَـتَّـى إذَا مَا نَـهِـلَـتْ كَـانَ لَهَـا مِـنْـهُ عَـلُّ[٧]. اهـ

---

(١) «شعرُ الأخطَل»، ص (٤٩)، الطّبعة الرّابعة (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).
(٢) «القاموس المحيط» (٤/ ١٤٦)، و«أساس البلاغة» للزَّمخشريّ (٢/ ٩٢). الطّبعة الثانية.
(٣) «الكاملُ» للمُبَرِّد (١/ ١٢١)، و«أساس البلاغة» (٢/ ٤٨٦)، و«القاموس المحيط» (٤/ ٦١)، و«لسان العرب» (١١/ ٦٨٢).
(٤) «لسان العرب» (٢/ ٤٦١).
(٥) المرجع السّابق.
(٦) «النّوادر في اللُّغة»، ص: (١٧).
(٧) «شرح ديوان الحماسة» للمرزُوقيّ (٢/ ٨٣٦).

....

فـ «عَلٌّ» مَصْدَرُ «عَلَّ يَعِلُّ» بِكسْرِ العَينِ في المُضَارِعِ قياسًا، لِلُزُومِ المَاضِي المُضَعَّفِ على وزنِ «فَعَلَ». و«يَعُلُّ» سَمَاعًا؛ «عَلًّا وعَلَلًا».

وقد اجتمعَ فِعْلُ «مُنْهَلّ» وفِعْلُ «معلول» بِهَذين المَعْنَيَينِ المُخْتَلِفَينِ، وقُدِّم فِعْلُ «مُنهل» في الذِّكْرِ عَلَى فِعْلِ «مَعْلُول» أيضًا في قَولِ كَعْبِ بنِ زُهيرٍ:

سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَأسٍ رَوِيَّةٍ ... فَأَنْهَلَكَ المَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكا[1]



(١) «الإصابةُ في تمييز الصَّحابة» (٥/ ٤٤٣).

٤- شُجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاء مَحْنِيَةٍ صافٍ بأَبْطَحَ أَضْحَى وَهْوَ مَشْمُولُ

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

شُجَّتْ: فِعْلٌ مَاضٍ مجهُولٌ، مَبْنِيٌّ عَلَى الفَتْحِ، و«التّاءُ» حرفٌ يَدُلُّ على تأنيثِ النّائبِ عنِ الفَاعِلِ، ونائبُ الفاعِلِ ضميرٌ مُستَتِرٌ فيه جَوازًا تَقديرُهُ «هي» يَعُودُ إلى «الرَّاحِ» وهي مُؤنَّثٌ سَمَاعِيٌّ. وجملةُ «شُجَّتْ» نَعتٌ أو حالٌ لِـ «الرَّاحِ»، وذلك لأنَّ «أل» في «الرّاح» لِلْجِنْسِ، و«أل» للجِنْسِ إذا دَخَل على الاسمِ الّذي يُرادُ بِهِ الجِنْسُ، لا فَرْدٌ مُعَيَّنٌ مِنه وجَاءَ بَعْدَه جُمْلةٌ، فَفِي مَحَلِّ إعرابِها وَجْهَانِ فِي عِلْمِ النَّحْوِ: أنْ تَكُونَ نعتًا أو حَالًا، ووَجْهُ كونِها نعتًا: أنّ هَذا الـمُعَرَّفَ بـ «أل» لِلجنْسِ مِن جهةِ مَعْنَاهُ نَكِرَةٌ، والجُمَلُ بعْدَ النّكِرَاتِ صِفَاتٌ. وَوَجْهُ كَوْنِهَا حَالًا: أنَّ هَذَا الـمُعَرَّفَ بـ «أل» للجِنسِ، مِن جهةِ اللَّفْظِ مَعْرِفَةٌ، والجُمَلُ بَعْدَ المَعَارِفِ أَحْوَالٌ، ومِثَالُه فِي التَّنزيلِ قولُه تَعَالَىٰ: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجُمُعَة: ٥][(١)]، فجُمْلَةُ ﴿يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ بَعدَ «الحِمَارِ» المعرَّفِ بـ «أل» لِلجنْسِ، لِـمَوضِعِهَا الإعرَابِيِّ الوَجْهَانِ السّابِقَانِ.

بِذِي شَبَمٍ: «البَاءُ» حرفُ جَرٍّ للمُصَاحَبَةِ. «ذِي» اسمٌ بِمَعنَى «صَاحِب»، مجرورٌ بـ«الباء»، وعلامةُ جرِّهِ «اليَاءُ»، و«ذي» مضافٌ. و«شَبمٍ» مُضَافٌ إليه مجرورٌ، والجَارُّ والمجرورُ مُتعلِّقَانِ بـ«شُجَّتْ».

مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ: «مِنْ» حرفُ جرٍّ لِبَيَانِ الجنسِ. «مَاءِ» اسمٌ مجرورٌ بـ «مِن»، و«مَاءِ» مُضافٌ. و«مَحْنِيَةٍ» مُضافٌ إليه مَجْرُورٌ. وقولُه «مِنْ مَاءِ مَحنِيَة» شِبهُ جُمْلَةٍ فِي مَحَلِّ جرٍّ نَعْتٌ لِـ «ذِي شَبَم»، وهو - أَعْنِي شِبْهَ الجُمْلَةِ - مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ تَقْدِيرُه: «كائن مِنْ مَاء مَحنية».

(١) الآيـة بتمامها: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾. سورة الجمعة رقم الآية (٥).

صافٍ: نعتٌ أوّل لـ «ماءِ محنية»، مجرورٌ وعلامةُ جرِّهِ كَسرةٌ مُقدَّرَةٌ على «الياء» المَحذوفةِ لِلالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ.

بِأَبْطَحَ: «البَاءُ» حرفُ جَرٍّ بِمَعنَى «في». «أبطح» اسمٌ مجرورٌ بـ «الباء» وعلامةُ جَرِّهِ الفَتْحَةُ لأَنّهُ مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ، نَظَرًا لأصلِه الّذي هو: الوصفيّةُ ووَزْنُ الفِعْلِ، مَع غَلبةِ الاسميّة عليه في الاستعمالِ المُقتضِيَةِ لِصَرْفِهِ، وإلى هذا أشارَ أئمّةُ النّحْوِ فِي «أَبْطَحَ»، فقالَ سِيبَوِيهِ: «وكذلك (الأبطح) إنّما هُوَ لِلمَكَانِ المُنبطِحِ مِنَ الوَادِي، ولكنّ الصِّفةَ رُبَّمَا كَثُرَتْ في كلَامِهِم واستُعْمِلَتْ وأُوقِعَتْ مَوَاقِعَ الأسماءِ حتّى يَستَغْنُوا بِهَا عَنْ الأَسْمَاءِ»(١). اهـ، وقال فِي مَوطِنٍ آخَرَ مِنْ «الكِتَابِ»: «كما أنّ (أَبرَقَ) في الأصلِ عِندَهم وَصْفٌ، و(أَبْطَحَ) و(أَجْرَعَ) و(أَجْدَلَ)، فِيْمَنْ تَرَكَ الصَّرْفَ وإنْ لم يَسْتَعْمِلُوه وأَجْرَوْهُ مُجْرَى الأسماء»(٢). اهـ. وقال أبو عليٍّ الفَارِسِيّ: «أَلَا تَرَى أَنَّ (الأَبْرَقَ) و(الأَبْطَحَ) وإنِ استُعمِلَا اسْتِعْمَالَ الأَسْمَاءِ فَكُسِّرَا تَكْسِيرَهَا، لَمْ يُخْلَعْ مِنهُمَا مَعْنَى الوَصْفِ، بِدلالةِ أنّهم لم يَصْرِفُوهُمَا ولا نَحْوَهُمَا فِي النّكرةِ، وإذا لم يَصْرِفُوهُما في النّكرةِ عَلِمْتَ أنَّ مَعْنَى الصِّفةِ مُقَرٌّ فيهما»(٣). اهـ. وأشارَ ابنُ مَالكٍ

---

(١) كتاب سيبويه (٣/ ٢٠١). تحقيق وشرح عبد السَّلام محمّد هارون. الطَّبعة الأولى. دار الجيل - بيروت -.

(٢) كتاب «سيبويه» (٣/ ٢٣٧).

(٣) شرحُ الأبياتِ المُشكِلَة الإعْرَاب المُسمَّى «إيضاح الشِّعر». أَلَّفه أبو عليٍّ الفارسيُّ، ص: (٢٨٢). الطّبعة الأولى (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م). دار القلم - دمشق -. دار العلوم والثَّقافة -بيروت -.

....

في «الخُلاصَةِ» إِلَى أَنَّ عَارِضَ الاسميّة في نحْوِ «أَبْطَحَ» النَّكِرَةِ يُلْغَى، فَيُمْنَعُ مِن الصّرف فقال:

وأَلْغِيَنَّ عَارِضَ الوصْفِيَّهْ كَأَرْبعٍ وعَارِضَ الاِسْمِيَهْ
وأَجْدَلٌ وأَخْيَلٌ وأَفْعَى مَصرُوفَةٌ وقدْ يَنَلْنَ المَنْعَا. اهـ

والجارُّ والمجرورُ «بأبطح» مُتعلِّقانِ بـ «صَافٍ» وهو اسمُ فَاعِلٍ يَعملُ عَمَلَ فِعْله أي «بِماءٍ صافٍ في هذا المكان».

أضحى: فِعْلٌ ماضٍ معلومٌ، مبنيٌّ على فتحَةٍ مُقدَّرةٍ مَنَعَ مِن ظُهورِهَا التَّعذُّر، وهو تَامٌّ بِمَعْنَى «دخلَ في وَقْتِ الضُّحى»، وَفَاعِلُه ضميرٌ مُسْتَترٌ فِيهِ جوَازًا تقديرُه: «هو» يعودُ على «مَاء مَحْنية»، وجملةُ «أَضْحَى» في مَحَلِّ جرٍّ نَعْتٌ ثانٍ لِـ «مَاءِ مَحْنِيةٍ».

وهو مَشْمُول: «الواو» واوُ الحال، وهو حرفٌ لا مَحَلَّ له مِنَ الإعرابِ. «هو» ضميرُ رَفْعٍ مبنيٌّ على الفَتْحِ في محلِّ رفعٍ مبتدأٌ. «مشمولٌ» خبرُ المُبتداِ مرفوعٌ، وجملة: «وهو مَشْمُول» في محلِّ نصبٍ حالٌ مِنَ الضَّمِيرِ المُستَترِ في «أَضْحَى» العَائِدِ إلى «مَاء مَحنيةٍ».

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

شُجَّتْ: مُزِجَتْ هذه الرّاحُ «بِذي شَبَم» أي بِصَاحِبِ شَبَم. و«الشّبَمُ»: مَصْدرٌ معناه: البُرُودَةُ، أي بِذِي بُرُودَةٍ[1].

(١) ومزْجُ الخمر بالماءِ هو قَتْلُها في كلام العرب، يقولون قَتَلَ الخمْرَ قتْلًا: مَزَجَها فأزال بذلك حِدَّتَها، الّتي هي رُوحُها فأصْبَحَتْ مَقْتُولةً. قالَ الأخْطَلُ:

فَقُلْتُ اقْتُلوهَا عنْكُمُ بِمزَاجِها وحُبَّ بِها مقتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ

=

....

مَحْنِيَة: اسـمُ مَكَان: مُنعَطف، فقدْ يَكونُ مُنعطَـفَ وَادٍ، وهو مُنعَرَجُه حيثُ يَنعَطِـفُ وهـو المـرادُ هُنَا، وقـد يكـونُ مُنعطَـفَ رَمْلَةٍ، كما قـال الحارثُ بـنُ حِلِّزَة اليَشكريّ:

ومُـــدَامَـــةٍ قَـرَّعْـتُـهَـا بِمُـــدَامَـــةٍ وظِبَاءِ مَحْنِيةٍ ذَعَرْتُ بِسَمْحَجِ[١]. اهـ

وفِعْـلُ «**مَحنيـة**»: حَنَا يَحْنُـو، وحَنَى يَحْنِـي، وسِـيبَوَيْهِ لم يَحفظْ اليَائِـيَّ بِدَلِيلِ قولِـه في «الكِتَـابِ»: «وذَلك قولُـك (مَحْنِيَة) فإنَّما هي مِن «حَنَـوْتُ» - وهي الشَّيءُ الـمَحْنِيُّ مِنَ الْأَرْضِ - وَ(غازِيَةٌ)»[٢]. اهـ. وأَشَارَ ابنُ سِيده إلى قولِ سيبويهِ قائلًا: «قال سيبويهِ: «الـمَحْنِيةُ» مَا انْحَنَى مِنَ الأرضِ رَمْلًا كانَ أو غيرَه، ياؤُه منقلبَةٌ عن واوٍ، لأنَّهـا مِنْ «حَنَوْتُ»، وهذا يدلُّ عـلى أنَّه لم يَعْرِفْ «حَنَيْتُ» وقدْ حَكَاه أبُو عُبَيدٍ وغيرُه[٣]. اهـ.

و«مَحنِيـة» مثلَّـثُ العَين: فَفَتْحُ العَينِ قيـاسيٌّ، والضَّمُّ والكسْرُ سَـماعِيَّانِ يُقال: «مَحْنِيةٌ ومَحْنَاةٌ ومَحْنُوَةٌ»، ذَكَرَ مَجْدُ الدِّين محمّدُ بنُ يَعقوبَ الفَيرُوزأباديّ هذه الثَّلاثةَ[٤].

=

وقال حَسَّان:

إنَّ الَّتـي عَاطَيْتَنِـي فَرَدَدْتُـهَـا قُتِلَـتْ قُتِلْـتَ! فَهَاتِها لمْ تُقْتَلِ

وقال دُكينٌ:

أُسْقَى بِـرَاوُوقِ الشَّبَابِ الخَاضِلِ أُسْقَى مِـنَ الـمَقْتُولَةِ القَوَاتِلِ

أي مِنَ الخُمورِ المقتولةِ بِالمَزْجِ، القواتِلِ بِحِدَّتِها وإسْكَارِهَا. «لسان العرب» (١١/ ٥٤٧، ٥٥١).

(١) «شرح اخْتِيَارَاتِ المفضَّل» للتّبريزيّ (٣/ ١١٣٩).

(٢) كتابُ سيبويه (٤/ ٣٨٨).

(٣) «لسان العرب» (١٤/ ٢٠٥)، و«شرح ديوان الحماسة» للمرزوقيّ (٣/ ١١٦٦).

(٤) «القاموس المحيط»(٤/ ٣٢٠ - ٣٢١).

....

وَأَشَارَ الحَسَنُ بنُ زَين القُونَانِيُّ الشِّنقِيطِيُّ في «طُرَّةِ لاميَّةِ الأفعالِ» إلى هذا التَّثليثِ بقولِهِ:

ونُونُ مَحنِيَةِ الوَادِي كذلِكَ مَعْ حَرْفِ اعتِلَالٍ يُضاهِي مَا بِهِ شُكِلا[1]. اهـ

بِأَبْطَحَ: «أبطحُ» اسمٌ للمَسِيلِ الواسِعِ، فِيهِ دُقَاقُ الحَصى[2]. وأَصْلُه وصْفٌ استُعمِلَ استِعْمَالَ الأسمَاءِ فَغَلَبَتْ عَلَيْه الاسمية كـ«الأَبْرَق» و«الأَجْرَع» فجَرَى مجْرَى «أفكَل» ولِذلك كُسِّر تكْسِيرَ الأسْمَاءِ على «أَبَاطِحَ» و«بِطَاح» و«بَطَائح»[3].

مَشْمُول: أي مُعَرَّضٌ لِريحِ الشَّمَال، الّتي تَهُبُّ مِن قِبَل الحِجْرِ، بين مَطلَعِ الشَّمسِ وبَنَاتِ نعشٍ فيَبْرُدُ، على مَا تَقَرَّرَ فِي عِلمِ النُّجُومِ والفَلَك[4]. يُقال: «شَمَلَ فُلانٌ المَاءَ» عَرَّضَهُ للشَّمالِ فبَرَدَ[5]. فالمَاءُ مَشْمُولٌ أي بَارِدٌ. ومضارعُ «شَمَلَ» يَشْمُلُ بضَمِّ العَينِ.

❁ ❁ ❁

---

(١) «الطُّرَّة» شرح لاميَّة الأفعال لابن مالك، تأليف العلَّامة حسنِ بنِ زين الشِّنقيطيّ، ص: (١١٣). الطَّبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

(٢) «القاموس المحيط» (١/ ٢١٦)، و«لسان العرب» (٢/ ٤١٣).

(٣) «لسان العرب» (٢/ ٤١٣).

(٤) «القاموس المحيط» (٣/ ٤٠٢)، و«أساس البلاغة» (١/ ٥٠٥)، و«الكامل» للمُبَرِّد (٢/ ٩٥٧). الطّبعة الثَّالثة (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

(٥) «القاموس المحيط» (٣/ ٤٠٣)، و«لسان العرب» (١١/ ٣٦٧).

٥- تَنْفِي الرِّيَاحُ القَذَى عنه وأَفْرَطَهُ　　　مِـن صَـوْبِ سَـارِيـةٍ بِـيضٌ يَعَالِيلُ

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

تَنْفِـي: فِعلٌ مُضارِعٌ معلومٌ، مرفوعٌ لِتجرّدِهِ مِنَ النَّوَاصِبِ والجَوَازِمِ، وعَلَامَةُ رَفعِه ضَمَّةٌ مُقَدَّرَةٌ على «الياءِ» مَنَعَ مِنْ ظُهُورِهَـا الثِّقَلُ.

الرِّياحُ: فاعلُ «تَنفِي» مرفوعٌ.

القَـذَى: مَفعولٌ بِهِ منصوبٌ، وعلامةُ نَصْبِهِ فَتْحَـةٌ مُقَدَّرَةٌ على الألفِ مَنَعَ مِنْ ظُهُورِهَا التَّعذُّرُ.

عنـه: جـارٌّ ومَجْـرُورٌ، مُتعلِّقانِ بـ«تَنْفِـي»، والتَّعَلُّـقُ عَمَلٌ مِنَ الفِعْـلِ في الجَارِّ والـمَجْـرُورِ، والضَّميرُ «الهاءُ» يعودُ إلى «ماءِ مَحْنِيةٍ». وجملـةُ «تَنفِـي الرِّيـاحُ القَذَى عنـهُ»، في محلِّ جرٍّ نعتٌ ثالِثٌ لـ«مَـاءِ مَحْنِيَةٍ»، أو في محلِّ نصبٍ حالٌ ثانٍ مِنَ الضَّمِيرِ الـمُسْتَتِرِ فِي «أَضْحَى»، وقَـدْ رُبِطَتْ الجُمْلَةُ الحَالِيَّةُ بِصَاحِـبِ الحَالِ بِضميرِه فَقَطْ، لِكَونِهَا مَبْدُوءَةً بِفِعْلٍ مُضَارِعٍ مُثبتٍ، على حَدِّ قَولِ ابْنِ مَالِكٍ فِـي «الخُلاصة»:

وذاتُ بَـــدْءٍ بمـــضـــارعٍ ثَـبَـتْ　　　حَــوَتْ ضَـمِـيرًا ومِــنَ الــوَاوِ خَلَتْ

وأَفْرَطَه: «الواوُ» حرفٌ لِعَطْفِ الجُملةِ على الجُملةِ. «أَفْرطَ» فعلٌ ماضٍ معلومٌ مبنـيٌّ عـلى الفتح. و«الهاء» ضَمِيـرٌ يَعُـودُ علـى «مَـاءِ مَحْنِية» مبنيٌّ عَلَى الضّمّ في محلِّ نَصْبٍ مفعولٌ به.

مِـنْ صَـوبِ سَـارِيَةٍ: «مِن» حـرفُ جَـرٍّ لِبَيَانِ الجِنـسِ. «صوب» اسـمٌ مجرورٌ بـ«مِـن»، و«صوب» مضـافٌ. و«سَـارِيَةٍ» مُضَافٌ إِلَيْـهِ مَجْرُورٌ. وشِـبهُ الجملةِ «مِن صوبِ سَـارِيَةٍ» في محلِّ نَصْبٍ حالٌ لِـ «بِيضٌ يَعَالِيل» وهي نَكِرَة، ونَعتُ النّكرة إذا تَقَدَّمَ عليهَا أُعْرِبَ حَالًا، ونَظيرُه في قول الشّاعِرِ كُثَيِّر:

....

لِـــمـيَّـةَ مُـوحِـشًـا طَـلَـلُ يَـلُـوحُ كَـأَنّـه خِـلَـلُ(١)

بِيْـضٌ يَعَالِيلُ: «بِيضٌ» فاعـلُ «أَفْرطَ» مَرْفُوعٌ، «يَعَالِيلُ» نَعْتٌ لـ«بِيضٌ» تابعٌ لها في رَفعِها.

ثانيًا: تفسير ما يُحتاجُ إلى تفسيره من هذا البيت:

تَنْفِي: تُنحِّي وتَدفعُ وتُزيل.

القذى: مَا يَقعُ فِي العَينِ أوِ الشَّرَابِ أوِ الـمَاءِ مِن تِبنَةٍ أو غَيْرِها مِنَ الأَوْسَاخِ، فيُكَدِّرُ صَفْوَهُ.

أَفْرَطَه: مَلأَهُ حتَّى فَاضَ(٢). مِنْ «أَفْرَطَ فِي الأَمْرِ» إِذَا جَاوَزَ الحَدَّ فِيهِ.

صَـوْب: انصِبَاب ونُزُول، يقال: «صَـابَ الـمَطَرُ يَصُوبُ صوبًا» انصبَّ ونَزَلَ بِكَثْرَةٍ.

ساريةٍ: السَّحَابَةُ تَسْرِي بِاللَّيلِ(٣).

بيضٌ يَعَالِيل: وَصْفٌ فِي الأَصْلِ لِـ«سَحَائِب» فَحُذِفَ الـمَوصُوفُ، واستُغنِيَ عَنه بِصِفَتِه الّتي أصبحتْ كاسـمِ الجِنْسِ الجَامِدِ العَامِّ. وإلَى هذا أشَارَ شيخُ مشَايخِنا

---

(١) «دِيوان كُثَيِّر» (٢/ ٢١٠)، و«الخصائص» لابن جنِّيٍّ (٢/ ٤٩٢)، وكتاب سيبويه (٢/ ١٢٣).

(٢) «لسان العرب» (٧/ ٣٦٦)، و«القاموس المحيط» (٢/ ٣٧٧).

(٣) «لسان العرب» (١٤/ ٣٨٢)، و«الكامل» للمُبَرِّد (١/ ١٣٧). الطّبعة الثّالثة (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

في قُطْرِ شِنقِيط العَلَّامَةُ الـمُختَارُ بنُ بونه الجَكَنيُّ الشِّنقِيطِيُّ فِي «الجَامِع بين التَّسهيلِ والخُلَاصة المانِع مِن الحَشْوِ والخَصَاصَة» بقوله:

ورُبَّمَـــا اسْـتُـغـنِـــيَ بِـالـنُّـعـوتِ عَـنْ ... تَـقْـدِيـرِ مَـنْـعُـوتٍ وللتّعميمِ عَـنّ[1]

«يعاليـلُ» وصْـفٌ لِـ«بيضٍ» قَبْلَـه، معناه: الكثـيرةُ الـمُروِيَةُ مِنَ الـسَّماءِ لِتتابُعِ نُزُولِ الماءِ مِن هذه السُّحُبِ البِيض[2]. فاشتقاق «يعاليل» مِن «العَلَل» وهو الشُّرْبُ الثَّاني، ومفرَدُه «يَعْلُول».

ثالثًا: بلاغة التّراكيب:

هذه الأبياتُ الثّلاثةُ المتقدِّمةُ وهي:

تجْلُو عَوارِضَ ذِي ظَلْمٍ إذا ابْتَسَمَتْ ... كَـأنَّـهُ مُـنْـهَـلٌ بِـالـرَّاحِ مَـعْـلُـولُ

شُـجَّتْ بِـذِي شَبَمٍ مِـنْ مَـاءِ مَحْنِيَةٍ ... صَافٍ بِأبْطَحَ أَضْحَى وَهْوَ مَشْمُولُ

تَنْفِي الـرِّيَاحُ الـقَـذَى عَـنْـهُ وأَفْرَطَهُ ... مِـنْ صَـوبِ سَـارِيـةٍ بِـيـضٌ يَعَالِيل

مُرْتَبِطٌ بَعْضُهَا بِبَعضٍ، وفيها مِنْ وُجُوهِ البَيَانِ مِن عِلْمِ البَلَاغَةِ:

إتمامُ جِهَاتِ كمالِ تَحْسينِ التّشبيهِ في الـمُشَبَّهِ «ذي ظَلَم» وهـو الثَّغْرُ، فَقَدْ شُبِّهَ بِـماءٍ مَعْلُـولٍ بالرّاح الّتـي خُلِطَتْ بِماءٍ صافٍ راكِدٍ بِمُسْـتَقَرٍّ هو الأَبْطَـحُ، نَفَتْ رِيحُ الشَّمالِ عَنهُ القَذَى فَازْدادَ صَفَاءً مَعَ كَثْرَتِهِ المُسْتَفَادَةِ مِنِ انْهِلَالِ الغُيُومِ عليهِ بِالـماءِ.

---

(١) ألفيّـة الإمـام العـالم العلّامة المختـار بن بونـه، مَمْزُوجَةً في ألفيّةِ إمـام النُّحَـاةِ أبي عبد الله محمّد جمـال الدِّين بن مالك، ص: (٢٢٩). الطّبعة الأولى بالمطبعة الحُسَيْنِيَّةِ المِصْرِيَّة سـنة (١٣٢٧) هجريّة.

(٢) «القاموس المحيط» (٢/ ٣٢٥)، و«لسان العرب» (٧/ ١٢٧).

فـازْدَادَ حُسْـنُ الـمُشَبَّهِ - وهُوَ العَـوَارِضُ - بِتَشْبِيهِهِ بالـمُشَبَّهِ به - وهو الظَّلْـمُ - الـمَوصُوفُ بِأَنَّه مُنْهَلٌّ، معلولٌ بالرَّاح الَّتي خُلِطَتْ بِماءٍ بَارِدٍ صَافٍ، تَنْفِي الرِّياحُ القَذى عنه، وقدْ كثُر بِمَطَرِ السُّحُبِ السَّوَارِي البِيضِ النَّازِلَةِ عَليهِ في مُسْتَقرِّه المَحْنِيَةِ.

فأَبْرَزُ صِفَاتِ هذا «الظَّلْم»، الَّتِي منها وجهُ الشَّبهِ أَربَعةٌ:

الأولى: العُذُوبَة. يُوحِي إليهَا قَولُ كَعْبٍ: «كأَنَّه مُنْهَلٌّ بِالرَّاح مَعْلُولُ».

الثّانيـة: الصَّفَاءُ والخُلُوصُ مِنْ كَدَرٍ. يُوحِي إِليهَـا قولُ كَعْبٍ: «تنفي الرِّيَاحُ القذى» و«صَافٍ».

الثّالثـة: الكَثْـرَةُ. يُوحِي إِليهَا قَـولُ كَعْبٍ: «وأَفْرَطَهُ مِنْ صوبِ سَـارِيَةٍ بِيْضٌ يَعَالِيلُ».

الرّابِعَـةُ: الـبُرُودَةُ. يُوحِي إِليهَا قولُه: «مَشْـمُولُ». فهـذه الصّفاتُ الأربعةُ في المَشَـبَّهِ به: «الظَّلم»، مَوجودةٌ في المُشـبَّهِ: «عَوارض سـعاد»، إِذِ الغَرَضُ مِنَ التَّشْبيهِ بَيَـانُ صَفـاءِ العَوَارِضِ الّذي هو البَيَـاضُ فيها، وتوابعُ البَيَاضِ مِـنْ عُذوبَةٍ وبُرُودَةٍ وكَثْـرَةِ رِيـقٍ. جَـاءَ هَـذَا التَّشْـبيهُ في كَلَامِ كَعْـبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِهـذِهِ الأوجُهِ لِلشَّـبَهِ دُونَ التَّصْرِيـحِ بِهَا، على ما تَقرَّرَ في عِلْمِ البَيَانِ. قالَ السَّـكَّاكيُّ: «واعلـمْ أَنَّه ليسَ بِمُلْتَزَمٍ فيـمَا بَـيْنَ أَصْحَابِ عِلْمِ البَيَـانِ، أَنْ يَتكَلّفُوا التّصريحَ بِوَجْهِ الشّبَهِ على مَا هو بِهِ، بل

قدْ يَذْكُرُونَ على سَبيلِ التَّسامُحِ ما إذَا أَمْعَنْتَ فيه النّظرَ لم تَجِدْه إلّا شيئًا مُسْتَتْبِعًا لِـمَا يكُونُ وَجْهَ التَّشْبيهِ في المآلِ، فلا بُدَّ مِنْ التَّنبيه عليه»[1]. اهـ

استطرادٌ لِفَائدةٍ: هذان البيتَانِ:

شُجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ ... صَافٍ بِأبْطَحَ أَضْحَى وَهْوَ مَشْمُولُ
تَنْفِي الرِّيَاحُ القَذَى عَنْهُ وأَفْرَطَهُ ... مِنْ صَوبِ سَارِيَةٍ بِيضٌ يَعَالِيلُ

مِنْ أَحْسَنِ ما وُصِفَ به الماءُ في كلامِ العَرَبِ، ونَظِيرُهُمَا في هـذا الحُسْنِ بيتَانِ آخَرَانِ لِامْرِئ القَيسِ، قال أبو أَحْمَدَ[2]: أخبرني أبو عبدِ الله نِفْطَويهِ أخبرنَا أحمدُ بنُ يَحي الرِّيَاشِيّ عنِ الأَصْمعِيِّ قال: قِيْلَ لِأبي عَمْرِو بْنِ العَلاءِ: مَا أَحْسَنُ ما قِيلَ في السَماءِ؟ فَقَال قولُ امْرِئ القَيسِ:

فلمّا اسْتَطَابُوا صَبَّ في الصَّحْنِ نِصْفَهُ ... وشُجَّتْ بمَاءٍ غيرِ طَرْقٍ ولا كَدِرْ
بِمَاءِ سَحَابٍ زَلَّ عَنْ مَتْنِ صَخْرَةٍ ... إلى بَطْنِ أُخْرى طَيّبٍ طَعْمُه خَصِرْ[3] .اهـ

ووَجْهُ التّنْظِيرِ إنَّما هو مِن جِهَةِ اتِّحادِ المَعْنَى في كلٍّ مِنَ البَيتَينِ، معَ اختلافِ صِياغَةِ التَّرْكِيبِ المُفْضِي إلى هذَا المَعْنَى. قَال الأَعْلَمُ الشَّنْتَمَرِيُّ في شرحِ بيْتي امرِئِ القَيْسِ: «يَقُولُ - يُريد امرَأَ القَيْسِ - (لَـمَّا اسْتَطَابُوا)[4] أَخَذُوا طَيِّبَ الماءِ. (صَبَّ في

(١) «مفتاح العلوم» للسّكّاكيّ، ص: (٣٣٨). الطّبعة الثَّانية (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
(٢) هو الحسنُ بنُ عبد الله العسكريّ المتوفّى سنة (٣٨٢هـ) مؤلِّفُ كتاب «المَصون في الأدب».
(٣) «المصون في الأدب»، ص: (١٦ - ١٧)، و«شرح أشعار الشُّعراء السِّتَّةِ الجاهلِيِّيْنَ»، لمؤلِّفه العلّامة اللُّغويِّ النَّحويِّ يوسُفَ بنِ سُليمان بنِ عيسى الشّنْتَمَرِيِّ، ص: (٦١ - ٦٢). مخطوط عندي.
(٤) «اسْتَطَابُوا» يجوز أنْ يكونَ معناه «ذاقُوا الخمْرَ فاستطابوها»، ويجوز أنْ يكونَ بِمَعنَى «سَأَلْنَاهُم =

....

الصَّحْنِ) مَاءً نِصفُه مِنَ الخَمْرِ. و(الصَّحْنُ) القَدَحُ الصَّغيرُ الواسعُ. (وشُجَّتْ بماءٍ) غُولِيَتْ به[(١)] ومُزِجَتْ به، وكانوا يَمْزِجونَ الخَمْرَ لِقُوَّتِها وفَظَاعَتِها عِندَهم. وقال (وشُجَّتْ) والشَّجُّ لا يُعْرَفُ إلَّا في الجِرَاحِ[(٢)] اسْتِعَارَةً، لِأَنَّه لابدَّ أنْ يُؤَثِّرَ الماءُ فيها. و(الطَّرْق) المـاءُ الَّذي بَالَتْ فِيهِ الإبِلُ وبَعَرَتْ فَنَفَتْ ذلك عنه، ثُمَّ بيَّنَ أنَّه مَاءٌ جَارٍ مِنَ السَّماءِ فقال (بِماءِ سَحَابٍ زَلَّ عَنْ مَتْنِ صَخْرَةٍ) أي انْحَدَرَ مِنْ صَخْرَةٍ إِلَى بَطْنِ أُخْرَى فَوَصَفَه بِالصَّفاءِ والبَرْدِ لأَنَّه يَجرِي مِنْ صَخْرَةٍ إلى صَخْرَةٍ. و(الخَصِر) البَارِدُ. ولم يُسْمَعْ فِي وَصْفِ المَاءِ أَحْسَنُ مِنْ هذا»[(٣)]. اهـ.



= مَاءً عذْبًا»، وبِذلك فَسَّرهُ ابنُ الأعرابيِّ. ويأتي «استطابَ» بِمعنى: استَنْجى. «القاموس المحيط» (١/ ٩٨)، و«أساس البلاغة» للزَّمخشريِّ (٢/ ٨٧)، و«لسان العرب» (١/ ٥٦٦).

(١) اشْتُرِيَتْ بِثَمَنٍ غَلَتْ به.

(٢) التَّحقيقُ أَنَّ «الشَّجَ» استُعْمِلَ في المـزْجِ للشَّراب. «القاموس المحيط» (١/ ١٩٥)، و«لسان العرب» (٢/ ٣٠٤).

(٣) «شرح أشْعار الشُّعراء السِّتَّةِ الجاهلِيِّينَ» ليوسُفَ بنِ سُليمان بن عيسى الشَّنْتَمريِّ، ص: (٦٢) مخطوط.

٦- أَكْـرِمْ بها خُلَّةً لو أنَّها صَدَقَتْ   مَـوْعُودَهَا أَوْ لَـوَ انَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ

أوّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

أَكْرِمْ بها: فعلٌ ماضٍ بِصيغةِ الأمرِ لإنْشَاءِ التّعجُّبِ فهو مَبنيٌّ عَلَى السُّكُونِ. «بهـا» البـاءُ حرفُ جـرٍّ زِيدَ لإصْـلاحِ اللّفظِ زِيَـادَةً لَازِمَـةً. «ها» ضمـيرٌ مبنيٌّ على السُّـكُونِ فِي مَحَـلِّ جَرٍّ بـ«البَاءِ» فِــي لَفْظِه، وفِـي مَحَلِّ رفعٍ لِأَنَّهُ فَاعِـلُ «أَكْرِمْ» الّذِي لَيسَ فِيهِ ضَمِيرٌ مُستَتِرٌ وُجُوبًا، وإنْ كانَ بِصِيغَةِ أَمْرِ الْمُفردِ الْمُذَكَّرِ.

خُلَّةً: اسـمٌ منصوبٌ على أنَّه تَمييزٌ، لِبَيَانِ الإبْهَامِ الحَاصِلِ مِن نِسْـبَةِ الإكرامِ إلى «سُعاد» الّتي عادَ عليها الضّميرُ «ها» في «بِهَــا».

لـو أنَّها صدقَـتْ: «لو»: حرفُ شرطٍ غيرُ جَازِمٍ للتّعليـقِ فِي الـمَاضِي. «أنَّها»: «أنَّ»: حـرفُ تَوْكِيـدٍ ونَصْـبٍ. «هَا»: اسـمُ «أنَّ» في محـلِّ نَصْبٍ. «صَدَقَـتْ»: فعلٌ ماضٍ معلومٌ مبنيٌّ علـى الفتحِ، و«التَّاء» للتّأنيث، وفاعلُ «صَدَقَتْ» ضميرٌ مسـتتِرٌ فيه جوازًا تَقْدِيرُه «هي» يعودُ إلى «سُعَاد»، وجُمْلَةُ «صَدَقَتْ» فِي مَحَلِّ رفعٍ خَبَرُ «أنّ». ومَجِيءُ الفِعْلِ في خَبَرِ «أنّ» الوَاقِعَةِ بَعْدَ «لو» أَكْثَرُ وإنْ لمْ يَكُـنْ لَازِمًا، كَمَا قَالَهُ العَلاَّمَةُ الرَّضِيُّ[1].

مَوعُودَها: «مَوعُودَ»: مفعولٌ بِهِ منصوبٌ، و«مَوعُودَ» مُضَافٌ. و«هَا» مضـافٌ إليهِ مبنيٌّ على السُّكونِ في مَحَلِّ جَرٍّ. وجملَةُ «أَنَّ» وَمَا دخلتْ عليه، مُؤَوّلٌ مرفوعٌ على الفاعليَّةِ لِفعلٍ مُقَدَّرٍ بَعدَ «لو»، تَقْديرُه «ثَبَتَ»، أي «لو ثَبَتَ صِدْقُ مَوعُودِهَا».

---

(١) كتـابُ «الكافيـة في النّحـو» لابن الحاجبِ النّحـويّ المالكيّ بشرح رضيِّ الدِّينِ الإسْـتِرَاباذيّ النّحويّ (١/ ٣٩١). دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان.

....

أو لـو أنَّ النُّصْـحَ مَقبُـول: «أو»: حرفُ عطفٍ لِجملةٍ عَـلَى جملةٍ. «لو»: حرفُ شرطٍ غـيرُ جَـازِمٍ لِلتَّعْليـقِ في الـمَاضِي. «أنّ»: حـرفٌ يَنْصِبُ الاسـمَ ويرفعُ الخبرَ. «النُّصْـحَ»: اسـمُ «أنَّ» منصُوبٌ. «مَقبـول»: خَبَرُ «أنَّ» مَرْفُـوعٌ، و«أَنَّ» ومَا دَخَلَتْ عليـه مُؤَوَّلٌ بمصـدرٍ مَرْفُوعٍ على الفاعليّة لِفعْلٍ محذوفٍ بَعْـدَ «لـو»، والتّقديرُ: «لو ثَبَـتَ قَبُولُهـا النُّصْحَ». و«لو» في المَوْطِنَيْنِ يَحْتَاجُ إلى جوابٍ، حُذِفَ لِنُكْتَةٍ بَلَاغِيَّةٍ يَأْتِي الإيمَاءُ إليها قريبًا - إن شاء الله -.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

أَكْرِمْ بها: إنشـاءٌ لَفْظًا، خبرٌ معنًى، ولِذَا فهو إنشـاءٌ غيرُ طَلَـبِيٍّ، استُعيرَ فيه بِناءُ الأمْرِ لِلخَبَرِ، يُقال: «كَرُم الشَّيءُ»: نَفُسَ نَفَاسـةً فهو نَفِيسٌ لارْتِفَـاعِ قِيمَتِهِ، فَإِذَا جئـتَ بِصيغَةِ التّعجُّـبِ مِنْ «كَرُمَ» فَقُلتَ: «أَكْـرِمْ بِفُلانٍ» فقدْ تَعَجَّبْتَ مِنْ نَفَاسَـتِه الفائقَـةِ. فقَولُ كَعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَكرِمْ بِهَا» تَعَجُّبٌ مِنْ نَفَاسَـةِ «سُـعَاد» بَعَثَهُ على هَذَا التّعَجُّـبِ شيْءٌ فيها هو جَمَالُها وهـو قيمتُها. وبِسَبَـبِ الجَمَال كانتْ خُلَّةً له فأحبَّها، فقـال: «أَكـرِم بها خُلَّـةً»، فَأَومَأ كعبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إيـماءً خفِيًّا إلى ذلك الجَـمَالِ وعَبَّرَ عَنهُ بِصِيغَةِ التّعَجُّبِ، ولَولَا هذا الجَمَالُ مَا نَسَبَ بها على عَادَةِ شُعراءِ العَـرَبِ، وقدْ تَقَرَّرَ في عِلْـمِ النَّفْسِ النِّسَـوِيَّة أَنَّ المَـرأةَ ذاتَ الجَمَالِ قد يَتَمَلَّكُها الغُـرُورُ بِجمَالِها فلا تَثْبُتُ علـى العَهْدِ مع مُحِبِّها، على حدِّ قول الشَّـاعِرِ الّذي اخْتُلِفَ فيه، فقِيلَ هُو أَبُو تَمَّـامٍ، وقِيلَ هُوَ الطَّائيُّ الكَبيرُ:

....

فَلَا تَحْسَبَنْ هِنْدًا لَهَا الغَدْرُ وَحْدَهَا سَجِيَّةَ[١] نَفْسٍ كُلُّ غَانِيَةٍ هِنْدُ[٢]

فإِذَا أُصِيبَتِ المَرْأَةُ بِغُرُورِ جَمَالِهَا الشَّكْلِيِّ، نَقَضَتِ الجَمَالَ المَعْنَوِيَّ، وهو الوفاءُ بِالعَهْدِ، فلا يَزُولُ هذا الغُرُورُ إلّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ تَعَالَى. فَمِنْ هنا يَظْهرُ أنّ تَعبيرَ كعبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بـ «لو» أَرَادَ به الإفْصَاحَ عنْ غَلَبَةِ اليَأْسِ عليه مِنْ صِدْقِ مَوعُودِهَا ومِنْ قَبُولِهَا النُّصحَ، فَحَذَفَ جَوَابَ «لو» حتّى يَكونَ مُبْهَمًا قد أُشِيرَ إليه إِشَارَةً، وذَلِكَ أَبْلَغُ فِي المَعْنَى فِي هذا المَقَامِ، وهو أَنسَبُ أيضًا لِضِيقِ البَيْتِ عَنْ تَحَمُّلِهِ! وذَلِكَ ضَرْبٌ مِن البَلاغَةِ العَرَبيّةِ، لِمَا فيهِ مِنَ الإيجازِ المُفْهِمِ، وهذا النَّوعُ مِنَ الإيجَازِ يُسَمَّى «إِيجَازَ حَذْفٍ» عِنْدَ البَلاغِيِّينَ في علمِ المَعَانِي، وإِلَى هَذَا النَّوعِ مِنَ الإيجَازِ أَشَارَ صاحِبُ «نَورِ الأَقَاحِ» بِقولِه:

وإنْ تكُنْ بِنَاقِصٍ وَافٍ بِهِ فَتِلْكَ إيجازٌ يُرَى فانتبِهِ

قال في «فَيضِ الفَتّاحِ»: «يَعْنِي أنَّ الإيجَازَ تَأْدِيَةُ المَعْنَى المَقْصُودِ بِلَفْظٍ نَاقِصٍ عن اللّفْظِ المُسَاوِي لِلمَعْنَى المقصودِ، ولَكِنَّ ذلك اللّفظَ المَقْصُودَ وَافٍ بِأَدَاءِ المَعْنَى المَقصُودِ»[٣]. اهـ. وقَال فِيه السَّكَّاكِيُّ: «وإنَّهُ فنٌّ مِنَ البَلاغَةِ لَطِيفُ المَسْلَكِ»[٤]. اهـ. وله نَظَائرُ في القرآنِ الكريمِ في استعمال «لو»، نحوُ قولِه تَعَالَى:

---

(١) «سجيّة» يُقرأُ بالرّفعِ خبَرُ «الغَدْر»، والنّصبِ على أنَّ الخبرَ «لها» و «سجيّةَ» حالٌ.

(٢) «الخصائص» صنعة أبي الفتح عُثمان بن جِنِّيّ (٣/ ٢٧١) مطبعة دار الكتب المصريّة. الطّبعة الأولى (١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م)، و «دلائلُ الإعجاز» تأليفُ الإمام عبد القاهر الجرجانيّ، ص: (٣٧٩) الطّبعة الرّابعة. أصدرتْها دار المنار بمصر (١٣٦٧هـ).

(٣) «فيض الفتّاح شرح نَوْر الأقاح» لعبد الله بن الحاج إبراهيم العلويّ الشّنقيطيّ (٢/ ٥٠).

(٤) «مفتاح العلوم» للسّكّاكيّ، ص: (٢٧٨).

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]. والجوابُ مَحْذُوفٌ لِلإيجازِ البَلَاغِيِّ.

ومِنَ الوَجْهِ البَلَاغِيِّ أيضًا تَعبيرُ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأُسْلُوبِ التَّعَجُّبِ في أوّلِ البَيتِ: «أَكْرِمْ بِهَا خُلَّةً» عَنْ جَمَالِ «سُعاد» الفَائِقِ، وهذا مَنْزَعٌ شِعْرِيٌّ لَطِيفٌ حَسُنَ به مَوقعُ هذا الأسلوبِ التَّعجُّبِيِّ في النّفْسِ، فلو حَاوَلْتَ تَغْيِيرَ هذا الأسلوبِ بِأُسلوبٍ آخَرَ لَوَجَدْتَ حُسْنَ الكَلَامِ زَائِلًا بِزَوَالِ ذَلِك الأسلُوبِ التَّعَجُّبِيِّ، ولم يُستَحْسَنْ هذا التَّعجُّبُ هُنَا إلَّا لِلَفْتِ النَّظر إلى هذا الجَمالِ الفَائِقِ الّذِي لا يُعبِّرُ عنه أَبلغَ تَعبيرٍ غَيرُ أُسْلُوبِ التَّعجُّبِ، فأصابَ كَعْبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَحَزَّ البَلَاغَةِ. وقد قال أبو الحَسَنِ حَازِمٌ القَرطَاجَنِيُّ: «إذْ أَكْثَرُ ما يُسْتَحْسَنُ ويُستَقْبَحُ له اعتباراتٌ شتَّى بِحَسَبِ المَوضِعِ، فَقَدْ يُسْتَحْسَنُ فِي مَوضِعٍ مَا يَقْبُحُ في مَوْضعٍ، ويَقبُحُ في موضِعٍ ما يُستَحْسَنُ في مَوْضِعٍ، ولا يقفُ الإنسانُ على تلك المواضعِ إلَّا بِطُولِ المُزَاوَلَةِ، ولا يُشْرِفُ الإنسانُ على جُمَلٍ مِنْ تلكَ المَوَاضِعِ، يُمكِنُه أنْ يَسْتَنْبِطَ بها أحكامَ ما سِوَاها إلّا بِكَثْرَةِ الفَحْصِ والتّنْقِيبِ عمَّا يجِبُ اعتمادُه في جميعِ أَحْوَالِ الصِّناعةِ، مِن إيثَارِ مَا يَجِبُ أَنْ يُؤْثَرَ، وتَرجِيحِ مَا يَجِبُ أَنْ يُرجَّحَ بالنَّظَرِ إلى الشَّيء في نَفْسِه، أو النَّظَرِ إلى مَا يَقْتَرِنُ بِهِ، أو إلى ما هو خارجٌ عن ذلك مِمَّا تَقَدَّم بيانُه»[1]. اهـ.

❁ ❁ ❁

(١) «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» للقرطاجنِيِّ، ص: (٨٨). الطّبعة الثّالثة - بيروت - سنة (١٩٨٦م). دار الغرب الإسلامي.

٧- لَكِنَّهَا خُلَّةٌ قَدْ سِيطَ مِنْ دَمِهَا　　فَجْعٌ ووَلْعٌ وإِخْلَافٌ وتَبْدِيلُ

أوّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

لكنَّها: «لَكِنَّ»: حرفٌ للاسْتِدْرَاكِ، مِن أخواتِ «إنَّ» يَنْصِبُ الاسْمَ ويرفعُ الخَبَرَ. «ها»: ضَمِيرٌ مَبنيٌّ على السُّكُونِ في محلِّ نَصْبٍ، اسمُ «لَكِنَّ».

خُلَّةٌ: خبرُ «لكنَّ» مرفوعٌ، وعلامةُ رفعِه الضَّمّةُ الظَّاهرةُ.

قد: حرفُ تحقيقٍ مبنيٌّ على السُّكون، لا محلَّ له مِنَ الإعراب.

سِيطَ: فعلٌ ماضٍ مجهول مبنيٌّ على الفتح، لا مَحَلَّ له مِنَ الإعراب.

مِن دمها: «مِنْ»: حَرْفُ جرٍّ. «دَم»: اسمٌ مَجْرُورٌ بـ«مِنْ»، و«دم» مضافٌ. و«ها» ضميرٌ مَبْنيٌّ على السُّكونِ في محَلِّ جرٍّ مُضَافٌ إليه، والجارُّ والمَجرورُ مُتعلِّقَانِ بـ«سِيطَ»، ومحلُّهما نصبٌ على الحَالِيَّةِ مِنْ «فَجْع» ومَا عُطِفَ عليه، إذْ أَصلُ شِبْهِ الجُمْلَةِ هَذَا، لَوْ أُخِّر لَكَانَ نَعتًا لِهَذِهِ النَّكرةِ «فَجْع»، ونَعتُ النَّكِرَةِ إِذَا تَقَدَّمَ عليها أَصْبَحَ حَالًا، كَمَا تقرّر في علمِ النَّحْو.

فَجْعٌ: اسمٌ مرفوعٌ، لأنَّه نائبُ فَاعِلِ «سِيط».

ووَلْعٌ: «الواوُ» حرفُ عطفٍ. «ولعٌ» معطوفٌ على «فجع» تابعٌ له في إعرابه.

وإخلافٌ: «الواوُ» حرف عطف. «إخلافٌ» معطوفٌ ثانٍ على «فجع».

وتَبْدِيل: معطوفٌ ثالثٌ على «فجع». وجملة «قد سِيطَ مِن دَمِها فجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتَبْدِيلُ» نعتٌ لـ«خُلَّة» في مَحَلِّ رَفْعٍ، لِأنَّ الجُمَلَ بَعْدَ النَّكِرَاتِ صِفَاتٌ.

ثانيا: تفسير كلمات هذا البيت:

خُلَّة: مصدرٌ في الأصْلِ، اسْتُعْمِلَ اسْتِعمالَ الأوصافِ هنا بِمعنَى «الصّدِيق»، الذَّكرُ والأنثى والجَمْعُ في ذلك سَواءٌ، فـ«الخُلَّة» هنا بِمَعْنَى «الخَلِيلَة». والصَّدَاقَةُ الـمُخْتَصَّةُ لَا خَلَلَ فِيها تَكُونُ فِي عَفافٍ وفِي دَعارَةٍ[١].

قد سِيطَ: أي خُلِطَ ومُزِجَ[٢] الشَّيْءُ بِغيرِه، ومنه «السَّوطُ» لِلآلَةِ الَّتي يُضْرِبُ بها، لأَنَّها تَسُوطُ اللَّحْمَ بالدَّمِ.

فَجعٌ: أي إيجاعٌ[٣]، بِإذهابِ شيءٍ لِلإنْسَانِ يَعِزُّ عليه. أو مُفاجأةُ الإنْسَانِ بِما يَكْرَهُ.

وَلْعٌ: بِسُكُونِ العَينِ مَصْدَرُ «وَلَع يَلَع وَلْعًا ووَلَعَانًا»: اسْتَخَفَّ وكَذَبَ[٤]. فـ«الوَلْعُ»: كَذِبٌ بِاسْتِخْفَافٍ بِالـمَكذُوبِ عَلَيهِ. ومِنه قَولُ ذيْ الإصْبعِ العُدْوَانِيِّ يُخَاطِبُ صَاحِبَيْنِ لَه اسْتَجْفَاهُمَا وتَبَرَّمَ بِكَثْرَةِ لَومِهِمَا لَهُ:

إنَّكُما مِن سَفَاهِ رَأْيكُما ... لا تَجْنُبَاني الشَّكاةَ، والقَذَعا
إلَّا بِأنْ تَكْذِبَا عليَّ ولَنْ ... أَمْلِكَ أنْ تَكْذِبَا وأَنْ تَلَعا[٥]. اهـ

---

(١) «القاموس المحيط» للفيروزأباديّ (٣/ ٣٧٠)، و«الكامل» للمُبَرِّد (١/ ٣٧٤). الطّبعة الثّالثة (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
(٢) «القاموس المحيط» (٢/ ٣٦٧)، و«لسان العرب» (٧/ ٣٢٥ - ٣٢٦).
(٣) «لسان العرب» (٨/ ٢٤٥).
(٤) «القاموس المحيط» (٣/ ٩٧)، و«لسان العرب» (٨/ ٤١٠).
(٥) «شرح اختيارات الـمُفَضَّل» للخطيب التِّبْريزيّ (٢/ ٧٢٧).

الشَّاهِد: «وأنْ تَلَعَا». الأَلِفُ للاثْنَينِ. ومعناه أَنْ تَكْذِبَا عَلَيَّ مُسْتَخِفَّينِ لِذَلك.

إخلافٌ: مصدرُ «أَخْلَفَ يُخْلِفُ» فهو مُخْلِفٌ، وهو أنْ يَقولَ شَيئًا ولا يَفْعَلُه في المستَقْبَل. فالكذِبُ يكونُ في الماضِي، والإخلافُ في المُسْتَقْبَلِ. والاسْمُ مِنْهُ «الخُلْفُ» بالضَّمِّ[1]. فالإخلافُ عدمُ وفاءٍ بِوَعدٍ.

تَبْدِيلٌ: تَغْيِيرٌ. يُقال: بَدَّل الشَّيءَ تَبْدِيْلًا: غَيَّرَه، وإنْ لَمْ يَأْتِ لَه بِبَدَلٍ[2]. ويُقَالُ «بَدَّلَهُ منْهُ»: اتَّخَذَهُ مِنْهُ بَدَلا[3].

ومعنى هذا البيتِ: «أنَّ سُعادَ لَو كان لها صَاحِبٌ فَجَعَتْهُ بِصَدِّها، ولو وَعَدَتْ بالوَصْلِ كَذَبَتْ في قولِها وأَخْلَفَتْ وَعْدَها، تَسْتَبْدِلُ بالأَخِلَّاءِ، ولا تُراعي حقَّ الوَفَاءِ». وهذا الكلامُ وأمْثَالُه مِنْ أقاويلِ العُشَّاقِ على سبيلِ الشَّكْوى مِنْ صَدِّ الأَحْبابِ، وبُعْدِهم بَعْدَ الدُّنُوِّ والاقتِرابِ، وَمُرِّ هِجْرَانِهم عَقِبَ حُلْوِ الوِصَالِ، وبُخْلِهم على مساكِينِ العِشْقِ بِطَيْفِ الخَيَال. لَيْسَ بِذَمٍّ صِرْفٍ، إنَّما يُورِدُونَهُ لأحدِ غَرَضَينِ:

١- إمَّا لإظهارِ التَّلَذُّذِ بالصَّبْرِ على ما يَفْعَلُه المَعشُوقُ، والرِّضا بأفعالِه.

---

(١) «القاموس المحيط» (٣/ ١٣٦)، و«أدب الكاتب» لابن قُتَيبة الدِّيْنَوَرِيّ، ص: (٢٨)، تحقيق محمّد محي الدِّين عبد الحميد. الطَّبعة الرّابعة في سنة (١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م)، و «خزانة الأدب» لعبد القادر ابنِ عُمَرَ البغداديّ (١١/ ٣١٢). الطّبعة الأولى (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

(٢) «خزانة الأدب» (١١/ ٣١٢).

(٣) «القاموس المحيط» (٣/ ٣٣٣)، و«لسان العرب» (١١/ ٤٨).

....

٢- وإمَّا لِتَنْفيرِ مَنْ يَسْمعُ بِحُسْنِ مَعْشُوقِهم عن عِشْقِهِ بِذِكْرِ بُخْلِه بِوِصالِهِ، وتَعَنُّتِه ودَلالِه، فيَصْفُو مَورِدُ العِشْقِ مِنْ كَدَرِ الغَيْرَةِ والمُزاحِمِ، ويخلو العاشِقُ بما يجْلو بَصَرَهُ مِنَ المُشاهَدَةِ»[1]. اهـ



(١) «خزانة الأدب» (١١/ ٣١٢).

٨- فَمَا تَدُومُ على حَالٍ تَكُونُ بِها　　كما تَلَوَّنُ في أثوابها الغُولُ

أوّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

فما: «الفاء»: لِمَحضِ السَّبَبِيَّةِ، مَا بعدها مُسبَّبٌ عمَّا قَبْلَهَا. ويَدلُّ على ذلك قولُ سِيبَوَيهِ: «وقَدْ يَحْسُنُ ويَسْتَقِيمُ أنْ تقول: عبد الله فاضْرِبْهُ، إذا كان مَبْنِيًّا على مبتدإ مُظهَرٍ أو مُضمَرٍ، فأمّا في المظهر فقولُك: هذا زيدٌ فاضْرِبْهُ، وإنْ شئتَ لمْ تُظهِر «هذا» ويعملُ كعَمَلِهِ إذا أَظهَرْتَه، وذلك قَولُك: «الهِلَال والله فانظرْ إليه»، كأنّك قلتَ: «هذا الهِلال» ثُمَّ جِئتَ بالأمْرِ، ومِمَّا يَدُلُّكَ عَلَى حُسنِ «الفاء» هاهنا أَنَّك لَو قُلْتَ: «هذا زَيْدٌ فَحَسَنٌ جَمِيلٌ»، كان كلامًا جيِّدًا. ومِنْ ذَلِكَ قَولُ الشّاعِرِ:

وقائلةٍ خَولانُ فَانكِحْ فَتَاتَهُمْ　　وأُكْرُومَةُ الحَيَّيْنِ خِلْوٌ كَمَا هِيَا

هكذا سُمِعَ مِنَ العَرَبِ تُنشِدُه»(١). اهـ.

وفَسَّرَ السِّيرَافِيُّ كلامَ سِيبَوَيْهِ فقال: «الجُمَلُ كلُّهَا يَجُوزُ أنْ تَكُونَ أجْوبَتُها بالفَاء نحوُ «زيدٌ أَبُوكَ فَقُمْ إليه» فإنَّ كونَه أَبَاه سَبَبٌ وعِلَّةٌ للقِيام إِليهِ، وكذلك الفاءُ في «فانكِحْ»، يدُلُّ على أنَّ وُجودَ هذه القبيلةِ عِلَّةٌ لِأنْ يُتَزَوَّجَ منهُم، ويُتَقَرَّبَ إليهم لِحُسْنِ نِسائِها وشَرَفِها. وفيه إشارةٌ إلى تَرَتُّبِ الحُكْمِ على الوَصْفِ»(٢). اهـ.

تدوم: فعلٌ مضارِعٌ مرفوعٌ لِتجرُّده مِن النّواصِب والجوازِم، وفاعلُه ضميرٌ مستترٌ فيه جوَازًا تقديرُه «هي» يعود على «خُلَّة».

---

(١) كتاب «سيبويه» (١/ ١٣٨). والبيتُ من الأبيات الّتي لم ينسِبها سيبويه إلى قائليها في «الكتاب». قال ابن منظور في «لسان العرب» (١٤/ ٢٣٩): «أنْشَدَ سيبويه: وقائِلَةٍ خولانَ... إلخ».

(٢) «خزانة الأدب» (١/ ٤٥٥). فتلخّصَ أنّ ما بعْدَ الفَاءِ مِن «فما تدُومُ على حالٍ تكُونُ بها» حُكْمٌ تَرَتَّبَ على الوصْفِ أوِ العِلَّةِ قبْلَ الفاءِ، وهذه العلَّةُ هي «فَجْعٌ وَوَلْعٌ وإخْلافٌ وتَبْدِيلٌ».

على حال: جارٌّ ومجرورٌ، متعلِّقان بـ «تدوم».

تَكُونُ بها: فعلٌ مضارعٌ معلومٌ تامٌّ، مرفوعٌ لتجرُّده من النَّوَاصبِ والجوازمِ، وفاعلُه ضميرٌ مستترٌ فيه جوازًا تقديرُه «هي» يعود إلى «خُلَّة». «بها»: «البَاء» حرفُ جَرٍّ. و«ها»: ضميرٌ مبنيٌّ على السُّكون في محلِّ جرٍّ، والجارُّ والمجرورُ مُتعلِّقَانِ بِـ «تكون»، ومَوضِعُهما النَّصبُ على المفعوليَّةِ للفعل «تكون» وهو لازمٌ تعدَّى إلى «ها» بِالباءِ الّتي للمُصَاحَبَةِ. فـ «تَكُونُ بها» أي تُلَابِسُهَا فأضاف الكَينُونَةَ على هذه الحال بـ «البَاءِ» كأنّه قال: «تُكَوِّنُهَا لِنَفْسِهَا». أشار إلى هذا سِيبَويه[1] ومَثَّلَ له بِقَولِه: «مَرَرْتُ بِزَيْدٍ»، أي جَاوَزْتُ. وتَابَعَهُ ابنُ يَعيشَ[2] وابنُ جِنِّيٍّ[3] رَحِمَهُمُاللَّهُ. وجملةُ «تَكُونُ بها»: في مَحَلِّ جَرٍّ نَعْتٌ لِـ «حَالٍ».

كَمَا تَلوَّنُ: «كَمَا» في مِثْلِ هذا الأسلوبِ مُرَكَّبٌ مِن «الكَافِ» الجَارَّةِ لِلتَّشْبِيهِ، و«مَا» المصدريَّة وأصبحَا حرفًا واحدًا، واخْتَصَّا بِالدُّخولِ على الفعلِ، علَى ما ذَكَرَه سيبويْهِ[4]. ومعنى «كَمَا»: «مِثْلُ»، ومحلُّه النَّصبُ على أنَّه نعتٌ لِـمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ منصوب، مفعولٌ مُطلقٌ لِفِعْلٍ قَبْلَهُ. كَما أشارَ إليه ابنُ هِشَامٍ الأنصاريُّ[5]،

---

(١) كتاب سيبويه (١/ ٤٢١).

(٢) «شرح المفصَّل» لابن يعيش (٨/ ٩ - ١٠).

(٣) «الخصائص» لابن جنّيّ (١/ ١٠٢).

(٤) كتاب سيبويه (٣/ ١١٦).

(٥) «مغني اللّبيب عن كتب الأعَارِيبِ» (١/ ١٧٨). حقّقه وفصّله وضبط غرائبه محمّد محي الدِّين عبد الحميد. دار الكتاب العربيّ - بيروت - لبنان.

....

وابنُ سِيدَه الأنْدلُسِيُّ[1]. وفِعْلُ المنعوتِ المحذوفِ المنصوبِ مفعولاً مطلقًا هُنا هو «تَكُونُ»، والتّقدير: «فما تَدُومُ على حَالٍ تَكُونُ بِهَا كَيْنُونَةً مِثْلَ أنْ تَلَوَّنَ الغُولُ في أثوابِها». فيؤوَّل «أنْ» والفعلُ «تَلوَّن» بمصدرٍ فيصيرُ: «مِثْلَ تَلَوُّنِ الغُولِ». وقد وَرَدَ لَفْظُ «كما» بِمَعنى «مِثل» في القرآنِ العظيمِ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٣] والتَّقديرُ: «وإذا قيل لهم آمنوا إيمانًا مِثْلَ إيمانِ النَّاسِ قالوا أنُؤْمِنُ إيمانًا مِثْلَ إيمانِ السُّفَهاءِ».

تَلَوَّنُ: فعلٌ مضارعٌ معلومٌ، مرفوعٌ لِتجرُّدِه مِنَ النَّواصِبِ والجوازِمِ، وأصلُه «تَتَلَوَّنُ» بِتاءَيْنِ، حُذِفَتْ الأولى الّتي لِلمُضارَعَةِ والتَّأنيثِ، وبَقِيَتْ الثَّانِيةُ الزَّائِدَةُ، وحُذِفَت الأولى للتّخفيفِ عندَ اجتماعِ المِثْلَينِ، ومثلُ هذا الحذفِ وَرَدَ في التّنْزيلِ في «تَنَزَّلُ» مِنْ قَولِه تَعَالَىٰ: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [القَدْر: ٤][2]، الأصلُ «تَتَنَزَّلُ»، وإلى هذا الحذْفِ أشارَ ابنُ مالكٍ في «الخُلاصةِ» بقوله:

وما بتَاءَينِ ابتُدِي قدْ يُقْتَصَرْ فيه على «تَا» كتَبَيَّنُ العِبَرْ

في أثْوَابِها: «في»: حرف جرٍّ. «أثواب»: اسم مجرورٌ بـ«في»، وهو مضافٌ، و«ها» مضافٌ إليه مبنيٌّ على السُّكُونِ في محلِّ جرٍّ، والجارُّ والمجرورُ مُتَعَلِّقَانِ بالفِعْلِ «تلوَّنُ».

الغُولُ: فاعِلُ «تَلَوَّنُ» مرفوعٌ، وعلامةُ رفعه الضّمَّةُ الظّاهِرَةُ، وجُمْلَةُ: «تَلَوَّنُ في أثوابِها الغُولُ» في محلِّ جرٍّ مضافٌ إليه والتَّقْدير: «مِثْلَ تَلَوُّنِ الغُول في أثوابها».

(١) «شرح مشكل شعر المتنبِّي» لابن سِيده، ص: (٢٥٨).

(٢) تَمامُ الآيةِ: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القَدْر: ٤].

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

تدوم: تَبْقى وتَثْبت.

حالٍ: هَيْئَة ووَضْع، أي كَهَيئَة الإنسَان وهَو مَا عَليهِ مِنْ خَيرٍ أو شرٍّ.

تكون بها: أي تَتكَفَّلُ بها.

تَلوَّنُ: تَصِيرُ ذَا لَونٍ وتَكْتَسِي لَوْنًا غَيرَ الّذِي كَانَ لَهَا.

الغُول: ذَكَرُ السِّعْلَاة، وهو جنسٌ مِنَ الشّياطينِ والجنِّ، كانتْ العَرَبُ تَزعُمُ أنَّ الغِيْلَانَ في الفَلَاة تَتَرَاءَى للنَّاسِ، فتَتَغَوَّلُ تَغَوُّلًا أي تَتَلَوَّنُ في صُوَرٍ شتّى، وتَغُولُهُمْ أي تُضِلُّهم عَنِ الطّرِيقِ وتُهلِكُهم[1]. وشبَّه جريرٌ النِّسَاءَ بِالغُول في هذا التَّلوُّنِ، وعَدَمِ ثَبَاتِهِنَّ على العَهْدِ بـ«أسلوبِ التَّجريدِ» في علمِ البَدِيعِ، ذلك الأسْلُوبُ الّذِي عَرَّفَه الشّيخُ الأستاذُ الإمامُ محمّد الطّاهر بن عَاشُور بِقَوله: «والتّجريدُ أنْ يُنتَزَعَ مِن أمْرٍ ذي صِفةٍ أمْرٌ آخرُ مِثلُه في تلك الصِّفَةِ انتزاعًا وَهْمِيًّا، حتّى تَصيرَ الذّاتُ الواحدةُ ذاتَينِ، لِكَمَالِ الوَصْفِ فِي تِلكَ الذّاتِ»[2]. وعرَّفه العلّامةُ مَرْعِيُّ بنُ يوسفَ الحنبليُّ بِقولِه: «وهو أنْ يُنْزَعَ مِن أمرٍ ذي صفةٍ آخرُ مِثْلُه فِيهَا، مُبَالَغَةً لِكَمَالِهَا فيه»[3]. اهـ.

---

(١) «عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات» للقزوينيّ (٢/ ١٧٦)، على هامشِ «حياة الحيوان الكبرى» للدّمِيريّ، و«القاموس المحيط» (٤/ ٢٧)، و«لسان العرب» (١١/ ٥٠٨).

(٢) «موجز البلاغة»، ص: (٤٦).

(٣) «القول البديع في علم البديع»، ص: (٢٠٨).

قلـت: وعندئذٍ يُؤتى بـ «مِنْ» التَّجريديّةِ في علـم النَّحو، ويكونُ الكَلامُ على حَذْفِ مُضَافٍ، كَمَا نَصَّ عليه العَلّامةُ الرَّضيُّ[١].

قال جريرٌ:

فـيَوْمًـا يُـوافِـينَ الهـوى غـيرَ مَاضِيٍ ... ويَومًا تَرَى مِنهنَّ غُولًا تَغَوَّلُ[٢]. اهـ

فقولُه: «ترى منهنّ غُولًا تَغَوَّلُ» هو الشّاهدُ لـ «أُسلوب التَّجريد»، أي «ترى مِـن رُؤيتِهنَّ غُولًا تغـوَّلُ»، حَذَف المضافَ وهو: «رؤية»، وأقـام المضافَ إليه وهو الضّميرُ مُقامَه، فأصبحَ «ترى منهنَّ». والمرادُ تَشْـبِيهُهُنَّ بالغُولِ في التَّلوُّنِ، فكلٌّ مِنْ عَجُزِ بيتِ جريرٍ وكعبٍ فيه إيماءٌ إلى التّشبيهِ. قَال الـمُبَرِّدُ: «والعَرَبُ تَخْتَصِرُ التَّشبيهَ ورُبَّما أَومَأَتْ إليه إيماءً»[٣]. اهـ.

واختلـفَ أهـلُ اللُّغةِ في لفظِ «الغُول» في اللُّغةِ، هلْ لهُ معنًى ذو حَقِيْقَةٍ في الوُجُودِ أم ليسَ له ذلك؟ إلى قولينِ:

١- فمنهم مَنْ لم يَرَ له حقيقةً وُجُودِيَّةً.

٢- ومنهم مَنْ رأى له ذَلك.

فمِـنَ القائلـين بأنْ لا حقيقـةَ للغُـول وُجوديَّةً: الإمـامُ أبو العبَّـاسِ محمَّد بن يَزِيـدَ الـمُبَرِّد، قـال: «والغُولُ لمْ يُخبِرْ صَـادِقٌ قطُّ أنّه رآها»[٤]. اهـ. يُفْهَمُ مِنْ قَولِه

(١) كتاب «الكافية في النّحو» لابن الحاجبِ النّحويِّ الـمالكيِّ بِشرْحِ رَضِيِّ الدّين محمّد بن الحَسَن الإستِرابَاذِيّ النّحويّ (٢/ ٣٢٢).

(٢) «لسان العرب» (١١/ ٥٠٧).

(٣) «الكامل» للمُبرِّد (٢/ ١٠٥٤).

(٤) «الكامل» للمبرِّد (٢/ ٩٩٩).

هَـذَا، أنَّها لا وجُـودَ لها حتَّى تُرى. ومنهم العَلَّامةُ الدَّمِيريُّ؛ قال: والَّذي ذهَبَ إليه الـمُحقِّقُون أنَّ الغُولَ شَيْءٌ يُخَوَّفُ به ولا وُجودَ لها، كما قال الشَّاعرُ:

الـغُـولُ والخِـلُّ والـعَـنْـقَـاءُ ثالِثَةٌ أَسْماءُ أَشياءَ لم تُوجَدْ ولم تَكُنِ[1]

ولذلك سَـمَّوا الغُـولَ «خَيْتَعُورًا»، وهو كلُّ شيءٍ لا يَـدومُ على حالةٍ واحِدةٍ، ويَضْمَحِـلُّ كالسَّرابِ، وكالَّذي يَنْزِلُ مِنَ الكُوَى في شِـدَّة الحرِّ كنَسْجِ العَنْكبُوتِ، قال الشَّاعِرُ:

كـلُّ أُنـثـى وإنْ بـدا لَـكَ منها آيـةُ الحُـبِّ حُبُّها خَيْتَعُورُ[2]. اهـ

وهذه الصِّفةُ للغُولِ هي الشَّـائعةُ عند العرَبِ، وبها عرَفُوها. وزَعَمَ أبو البِلادِ الطُّهَـوِيُّ، وكذلـك تَأَبَّـطَ شَرًّا[3] أنَّهـا لَقِيَاها وقَتَلاها. قـال أبو البِـلادِ في وَصْفِها وقَتْلِها:

لَهَـانَ عَلَـى جُـهَـيْـمَـةَ مَـا أُلاقِـي مِـنَ الـرَّوْعَـاتِ عِـنْـدَ رَحَـى بِطَانِ

لَقِيتُ الْـغُـولَ تَـسْـرِي فِـي ظَـلَامٍ بِـسَـهْـبٍ كَـالْـعَـبَـاءَةِ صَحْصَحَانِ

فَقُـلْـتُ لَـهَـا: كِـلَانَـا نِـقْـضُ أَرْضٍ أَخُـو سَـفَـرٍ، فَـصُـدِّي عَـنْ مَكَانِي

فَـصَـدَّتْ، فَـانْـتَـحَـيْـتُ لَهَـا بِعَضْبٍ حُـسَـامٍ، غَـيْـرِ مُـؤْتَـشِـبٍ، يَمَـانِ

قَـدَدْتُ سَـرَاتَـهَـا وَالْـبَـرْكَ مِنْهَا فَـخَـرَّتْ لِـلْـيَـدَيْـنِ وَلِـلْـجِـرَانِ

فَـقَـالَـتْ: زِدْ، فَـقُـلْـتُ: رُوَيْـدَ إِنِّـي عَـلَـى أَمْـثَـالِهَـا ثَـبْـتُ الْجَـنَـانِ

---

(١) «حياة الحيوان الكبرى» للدَّميريّ (٢/ ١٩٥) دار الفكر - بيروت - لبنان.

(٢) «حياة الحيوان الكبرى» (٢/ ١٩٥ - ١٩٦).

(٣) «القاموس المحيط» (٤/ ٢٧).

شَدَدْتُ عِقَالَهَا وَحَلَلْتُ عَنْهَا | لأَنْظُرَ غُدْوَةً مَاذَا أَتَانِي
إِذَا عَيْنَانِ فِي وَجْهٍ قَبِيحٍ | كَوَجْهِ الْهِرِّ مُسْتَرِقِ اللِّسَانِ
وَرِجْلا مُخْدَجٍ وَسَرَاةُ كَلْبٍ | وَثَوْبٌ مِنْ فِرَاءٍ أَوْ شِنَانِ[1]. اهـ

٢- ومِنْهُم مَنْ قال إنَّ لِلغُول حقيقةً في الوُجودِ[2]. قال صاحبُ «القاموس»: «الغُول» بضمِّ الغَينِ شيطانٌ يأكلُ النَّاسَ، أو دابَّةٌ رأتها العرَبُ وعرَفَتْها[3]. اهـ. وقال الجاحظُ: «إنَّ الغولَ اسمٌ لِكُلِّ شيءٍ مِنَ الجِنِّ، يَعْرِضُ للسُّفَّارِ، ويَتَلَوَّنُ في ضُرُوبِ الصُّوَرِ والثِّيابِ، ذكَرًا كان أو أُنثى إلَّا أنَّ أكْثَرَ كلامِهم على أنَّه أُنْثى[4]. ثُمَّ أَنْشَدَ قولَ عَبيد بنِ أَيُّوبَ العَنْبَرِيِّ:

وغُولًا قَفْرَةً ذَكَرًا وأُنْثى | كأَنَّ عَلَيهِمَا قِطَعَ البِجَادِ[5]. اهـ

وقال ابنُ مَنْظور: «والغُول بالضَّمِّ السِّعْلاةُ»[6]. اهـ وقال الدَّميريُّ: وقال قومٌ إنَّ الغُولَ ساحِرَةُ الجِنِّ، وهي تتصَوَّرُ في صُوَرٍ شَتَّى. قال أَخذوا ذلك مِنْ قولِ كَعْبِ بنِ زُهير بنِ أَبي سُلمى:

---

(١) «تهذيب الآثار» لأبي جعفر الطّبريّ مُسندُ عليِّ بن أبي طالبٍ، ص: (٤٠ - ٤١). قرأه وخرَّج أحاديثَه أبو فِهْرٍ محمود محمّد شاكر. مطبعة المدنيّ.
(٢) وهي أنّها شيطان.
(٣) أخذ صاحب «القاموس» هذا الوصفَ «دابّة» من كلام العرب. مِثْلُ ما تَقَدَّم في وصفِ أبي البلادِ الطُّهويّ لها آنفًا. «القاموس المحيط» (٤/ ٢٧).
(٤) ولذا يعاملونها مُعاملَةَ الأنثى، في وَصْفِها، وفي عَوْدِ الضَّميرِ إليها.
(٥) كتابُ «الحيوان» للجاحظ (٦/ ١٥٨).
(٦) «لسان العرب» (١١/ ٥٠٧).

فَمَا تَدُومُ على حَالٍ تَكُونُ بِها   كما تَلَوَّنُ في أثوابِها الغُولُ[١]. اهـ

قُلْتُ: روى ابنُ عبدِ البَرِّ عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ: «الجِنُّ أصنافٌ، فخَالِصُهم جِنسٌ، لا يَأْكُلُونَ ولا يَشْرَبُونَ ولا يَتَوَالَدُونَ، وجِنْسٌ يقعُ ذلك مِنهُم، وجِنسٌ هُمُ السَّعالي والغُولُ والقُطْرُبُ»[٢]. اهـ.

ويَشْهَدُ دَليلًا لِتقرِيرِ جِنسِ الغُولِ مِنْ هذه الأجناسِ الجِنِّيَّة الشَّيطانِيَّةِ: حديث جابرِ بنِ عبدِ الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «لا عدوى ولا صَفَرَ ولا غُولَ»[٣]. اهـ، والشَّاهدُ مِنَ الحديثِ: «ولا غُول» ووجه الاستدلالِ به: أنَّ قولَه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لا غُول» ظاهرٌ في نفيِ «الغُول» بـ«لا» النَّافيةِ لِلجِنْسِ، على سبيلِ العمومِ الشَّاملِ لِحقيقةِ الغُول وصِفاتِها الَّتي كانتِ العربُ تَعتقِدُها وتَزْعُمُها فِي الجَاهِلِيَّةِ، إلَّا أنَّ مَقصُودَهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نَفْيُ كونِ هذه الصِّفاتِ حقيقةً، ونفيُ ما كَانُوا يَتَوَهَّمُونَه فيهَا بِسببِ هذهِ الصّفاتِ إذْ كانُوا يعتقدون أنّ الغُولَ تَغتَالُ، وأنَّها تَضُرُّ، أو تَقْدِرُ لِبنِي آدمَ على ذلك، إلَّا ما سَبَقَ مِن قضاءِ الله - جلّ ثناؤُهُ - بِضُرِّها، فأمّا بِغَيرِ ذلك فإِنَّها غَيرُ قَادِرَةٍ على ذلك؛ ولِذَلِكَ ذَكَرَ الرَّسُولُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «الغُول» مَع سَائِرِ مَا ذَكَرَ، مِمَّا كانَتْ العَرَبُ تُؤْمِنُ وتُصدِّقُ بِضرِّه ونفعِه، مِنَ العَدْوى

(١) «حياة الحيوان الكبرى» للدَّميريّ (٢/ ١٩٦) بهامشه كتاب «عجائب المخلوقات» للقَزْوينيّ، دار الفكر - بيروت - لبنان.

(٢) «فتح الباري» للعسقلانيّ (٦/ ٣٤٥).

(٣) «صحيح مسلم» (٤/ ١٧٤٥) تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التّراث العربيّ. الطّبعة الثّانية (١٩٧٢م).

والصَّفَر في هذا الحديث[١]. اهـ، فقَرَنَ بَيْنَ هذه الثَّلاثَةِ في الذِّكْرِ مِمَّا يُفيدُ أنَّ ذلك القِرَانَ بِعَطْفِ بَعْضِها على بعضٍ بِالوَاوِ العَاطِفَةِ، يدُلُّ على اشْتِرَاكِهَا فِي نَفْيِ ما كانَتِ العَرَبُ تَعْتَقِدُهُ فيها مِنْ الأوهامِ عنها.

والدَّلالَةُ على هذا الاشتراكِ في هذا الحُكْمِ الَّذي هو النَّفْيُ تُسمَّى بـ «دلالة الاقتران» في فنِّ أصولِ الفقه. و«دلالةُ الاقتران» في الأصول قد تظهرُ قُوَّتُها في موطنٍ، وقد تَضْعُفُ في مكانٍ، وقد يَسْتَوي الأمرانِ في بعض المسائلِ[٢]. إلَّا أنَّها في هذا الحديثِ ظهرَتْ قُوَّتُها؛ لأنّ الثَّلاثَةَ اشْتَرَكَتْ في إطلاقِ النَّفيِ على ما يُتَوَهَّمُ ويُعتَقَدُ فيها، وافترقَتْ في تفصيلها لاختلافِها في حدِّ ذاتِها. فَقَوِيَتْ «دلالةُ الاقتران» بذلك عند الأُصولِيِّينَ[٣]. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) «تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأخبار» لأبي جعفر الطّبري: محمّد بن جرير بن يزيد (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، مسند عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ص: (٤١). قرأه وخرّج أحاديثه أبو فِهْر محمود محمّد شاكر، و«المُفْهِمُ لِمَا أشْكَلَ مِن تَلخيصِ كتاب مسلم» لأحمد بن عمر بن إبراهيم القُرطبيّ (٥/ ٦٢٣). الطّبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، و«خزانة الأدب» (١١/ ٣١٤).

(٢) «بدائع الفوائد» لابن قيّم الجوزيّة (٤/ ٢٤٣). الطّبعة الثّانية (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م).

(٣) المرجع السّابق، وشرح مراقي السُّعود المُسمَّى «نثر الورود» تأليف الشَّيخ العلّامة محمّد الأمين ابن محمّد المختار الجَكَنِيّ الشّنقيطيّ (١/ ٢٤١). الطّبعة الأولى. دار عالم الفوائد.

٩- ولَا تَمَسَّكُ بالعَهْدِ الّذي زَعَمَتْ   إلّا كَما يُمْسِكُ الـمَاءَ الغَرَابِيلُ

أوّلًا: إعرابُ كلماتِ هذا البيت:

ولا تَمسَّكُ: «الواو» عاطفةٌ لجملةِ هذا البيتِ كلِّه على جملةِ البيت قبله. «لا» نافيةٌ غيرُ عاملةٍ. «تَمَسَّكُ» فعلٌ مضارعٌ مرفوعٌ لِتجرُّدِه مِنَ النّواصبِ والجوازمِ، وأصله «تَتَمَسَّك» بِتاءَينِ على غِرَارِ ما تقدّم في «تَلوَّنُ»، وفَاعلُ «تمسَّكُ» ضميرٌ مستترٌ فيه جوازًا تقديرُه «هي»، يعود إلى «خُلّة»، والمرادُ بِهَا «سُعَادُ».

بِالعَهْدِ: جارٌّ ومَجرورٌ مُتعلِّقان بـ «تَمَسَّك».

الّذي: اسمٌ موصولٌ مبنيٌّ على السُّكُونِ في مَحَلِّ جَرٍّ، نَعتٌ لـ «العهد».

زَعَمَتْ: فِعلٌ ماضٍ معلومٌ مبنيٌّ على الفتح، و«التّاءُ» لِتَأْنِيثِ الفاعلِ، حرفٌ لا محلَّ له مِنَ الإعرابِ، وفاعلُ «زَعَمَتْ» ضميرٌ مستترٌ فيه جوازًا تقديرُه «هي»، وجملةُ «زَعَمَتْ» صلةُ الموصولِ لا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الإعْرَابِ، والعائدُ إلى الاسمِ الموصولِ ضميرُ نصبٍ محذوفٌ تقديرُه «زعمتْه».

إلّا: أداةُ استِثْنَاءٍ مُلْغَاةٌ.

كما: بمعنى «مِثْل» في محلِّ نصبٍ نعتٌ لِـمَصْدرٍ مَحْذُوفٍ منصوبٍ على أنّه مفعولٌ مطلقٌ للفعلِ «تَمَسَّكُ»، والتّقديرُ: «ولا تَمَسَّكُ بِالعهدِ الّذي زعمَتْ إلّا تَمَسُّكًا مِثْلَ أنْ يُمْسِكَ الماءَ الغرابيلُ»، فيُؤَوَّل «ما»[1] مع الفعلِ «يُمسِكُ» بِمَصْدَرٍ، فيَصِيرُ «مِثلَ إمسَاكِ الـمَاءِ الغَرَابِيل».

يُمْسِكُ: فعلٌ مضارعٌ معلومٌ، مرفوعٌ لِتجرُّدِه مِنَ النَّوَاصِبِ والجَوَازِمِ.

---

(١) وهو حرف مصدريٌّ.

الماءَ: مفعولٌ به منْصُوبٌ، وقعَ عليه الفعلُ «يُمسِكُ» مِنَ الفَاعِلِ.

الغرابيلُ: فَاعِلِ «يُمسكُ»، مَرفوعٌ، وعلامةُ رفعِهِ الضَّمَّةُ الظَّاهرةُ.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

ولا تَمسَّكُ: لا تَحْتَبِسُ و تَعْتَصِمُ بالعهد[١].

بالعهد: «العَهْدُ» الوصِيَّةُ، والتَّقدُّمُ إلى المرءِ في الشَّيءِ، والـمَوْثِقُ[٢]. وهو هنا المحبَّةُ بينَهما.

زَعَمَتْ: قالتْ قولًا يُشَكُّ أنَّه حَقٌّ أو باطِلٌ[٣]، وكان مِنْ عادةِ العرَبِ أنَّ مَنْ قال كلامًا وكان عندَهم كاذِبًا أنْ يقولُوا «زَعَمَ فُلَانٌ». ويَقْصِدُ كَعْبٌ بقوله: «زَعَمَتْ» أي العَهْد الَّذي زعَمَتْهُ يُشَكُّ فيه هل سَتَفِي بِهِ، فيَكُونُ الزَّعْمُ حقًّا، أو لا تَفي به فيكونُ بَاطِلًا ؟.

يُمسِكُ: يَقْبِضُ؛ وقد جاء ماضيْهِ «أمسَكَ» بمعنى «قَبَضَ» في قولِ مَالكٍ وقد سئِلَ عن رَجُلٍ أَوجَبَ علَى نَفْسِه الغَزْوَ، فتَجَهَّزَ حتَّى إذا أرادَ أنْ يَخْرُجَ مَنَعَهُ أَبواهُ أو أَحدُهما، فقَال: «لا أَرَى أَنْ يُكَابِرَهُما، ولكنْ يُؤَخِّرُ ذلك إلى عَامٍ آخَرَ، وأمّا الجِهَازُ فَإِنِّي أَرَى أنْ يرفَعَهُ حتّى يَخْرُجَ به، فإنْ خشِيَ أنْ يَفْسُدَ بَاعَهُ وأَمْسَكَ ثمنَه حتّى

(١) «القاموس المحيط» (٣/ ٣١٩)، و«لسان العرب» (١٠/ ٤٨٧).
(٢) «القاموس المحيط» (١/ ٣٢٠)، و«لسان العرب» (٣/ ٣١١).
(٣) «أساس البلاغة» للزّمخشريّ (١/ ٤٠٠)، و«القاموس المحيط» (٤/ ١٢٤)، و«لسان العرب» (١٢/ ٢٦٤).

يَشْتَرِيَ به مَا يُصلِحُه للْغَزْوِ»[١]. اهـ. فقوله: «وَأَمْسَكَ ثمنَه» أي «قَبَضَهُ». ومِنَ الأدلَّةِ على هذا المعنى لـ «أمْسَكَ» قولُه تَعَالَىٰ: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [المَائِدَة: ٤][٢].

الغرابيلُ: جمْعُ «غِربَال»، وهو اسمُ آلةٍ لِمَا يُنخَلُ به[٣]، والفعلُ «غَرْبَلَ» في كلام العَرَبِ يُستَعملُ للتَّنْقِيَةِ أو التَّفرِقَة، فيُقال «غَرْبَلَ الشّيءَ» نَخَلَه، و«غربَلَ الشَّيءَ» فرَّقَه[٤]. ويُجْمَعُ بينهُما.



(١) «الموطَّأ» لإمام الأئمَّة وعالم المدينة مالك بن أنس، كتاب الجهاد، باب: العمل فيمن أعطى شيئًا في سبيل الله، ص: (٢٧٨ - ٢٧٩). تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي.

(٢) قَبْلَ: ﴿فَكُلُوا۟﴾ ...إلخ، قولُه تَعَالَىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ ... إلخ. ورقم الآية (٤) من سورة المائدة.

(٣) «تهذيب اللُّغة» للأزهريّ (٨/ ٢٤٣)، و«القاموسُ المحيط» (٤/ ٢٤)، و«لسان العرب» (١١/ ٤٥١). وكان الغِرْبالُ عند العربِ مُدَوَّرًا كالدُّفِّ.

(٤) المراجعُ السَّابِقَةُ.

١٠- فَلاَ يَغُرَّنْكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ　　إِنَّ الأَمَانِيَّ والأَحْلاَمَ تَضْلِيلُ

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

فَلَا: «الفَاءُ» لِـمحْضِ السَّبَبِيَّةِ، فما بَعْدَهَا مُسَبَّبٌ عمَّا قَبْلَهـا. «لا» نَاهِيَةٌ تجزمُ فِعْلًا مضارعًا واحدًا.

يَغُرَّنْـك: فعلٌ مضارعٌ معلومٌ، مبنيٌّ على الفتح لاتّصالِـه المُبَاشِرِ بِنُونِ التَّوكيدِ الخَفِيفَـةِ، فِي مَحَلِّ جَـزْمٍ بـ«لا» النّاهية. و«الـكافُ» ضميرٌ مبنيٌّ على الفتـحِ في محَلِّ نَصْبٍ، مفعولٌ بهِ.

مـا: حـرفٌ مصدريٌّ لا محلَّ لـه مِنَ الإعـرَابِ، يُؤوَّل مـع مَا بعْـدَه بِمَصدَرٍ، ويَصلُح أنْ تكون «ما» اسمًا موصولًا في محلِّ رفعٍ، فاعلٌ.

منَّـتْ: فعـلٌ ماضٍ مَعْلُومٌ، مَبنيٌّ على فتحةٍ مقدّرةٍ عـلى الألفِ في آخره تَخَلُّصًا مِـنِ الْتِقَـاءِ السَّـاكنَيْنِ إذْ أصلُه «مَنَّى»، فلـمَّا اتَّصلَتْ به تاءُ التَّأنيثِ السَّـاكنةُ حُذِفَتْ الألِـفُ. ومُجَرَّدُ «مَنَّى» الثُّلاثِيُّ: مَنَى يَمْنِي، وهو مقلوبُ «مانَ يَمِينُ مَيْنًا» كَذَبَ، إذِ التَّمنِّي الكذِب، فهو «تَفَعُّلٌ» مِن «مَنَى يَمْني» إذا قَدَّر[1]. لأَنَّ الكاذبَ يُقَدِّرُ الكلامَ في نفسِه ثُمَّ يقولُه، ويُقال للأحاديثِ الَّتي تُتَمنَّى: الأماني، واحدتُها أُمْنِيَّةٌ[2]. وفاعلُ «مَنَّتْ»: ضميرٌ مُستترٌ فيه جوازًا، تقديرُه «هي»، يعود إلى «خُلَّة» الّتِي هي «سُعَادُ».

---

(١) ويشهدُ لكونِ «مَنَى» بمعنى «قَدَّر» ما جاء منه في قولِ الأَخطَل:

فإنْ يكُنْ مَعْشَرٌ حَانَتْ مَصَارِعُهم　　مَنَى لَهُمْ غَيْرَ مَانِي مُنْيَةٍ قَدَرُ. اهـ

فـ«مَنَى لهم قَدَرٌ» قـدَّرَ لهم غيرَ مـا تَمَنَّوا وأرادوا. «شـعر الأخطل»، ص: (٤٤٥)، و«لسـان العرب» (١٥/ ٢٩٤).

(٢) «لسان العرب» (١٥/ ٢٩٥).

وجملـةُ «مـا منَّتْ» في تأويلِ مصـدرٍ مرفوعٍ، فاعـلُ «يَغُرَّنْ». والتّقديـرُ «فلا يَغُرَّنْك تَمْنِيَتُهَا»[1]، أو جملةٌ هي صلةُ «ما» المَوصُولَةِ، لا محَلَّ لها مِنَ الإعْرَابِ.

ومـا وَعَـدَتْ: «الواوُ» حرفُ عطفٍ، ويقال في إعـراب «ما وعدتْ» ما قيل في إعـرابِ «مـا منَّتْ»، فـ «ما وَعَدَتْ» في تأويلِ مصـدرٍ مرفوعٍ، معطوفٍ على المصدر المـؤوَّل قبله. والتَّقديـرُ «وَوَعْدُها». أو «مـا» موصولة والتَّقديرُ: «الّـذي وَعَدَتْ». وحُذِفَ العائدُ، لأنّه ضميرٌ في محلِّ نصبٍ، مفعولٌ به. والأصلُ: «الّذي وعدَتْهُ».

إنَّ الأمانـيَّ: «إنَّ» حـرفٌ ينصبُ الاسـمَ ويرفـعُ الخبرَ. «الأمانيَّ» اسـمُ «إنَّ» منصوبٌ.

والأحـلامَ: «الـواوُ» حـرفُ عطـفٍ. «الأحـلامَ» معطـوفٌ عـلى «الأمـانيَّ» منصوبٌ.

تَضْلِيلُ: خبرُ «إنَّ» مرفوعٌ.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

لا يَغُرَّنْكَ: لا يَخْدَعَنْكَ، و يُطْمِعْكَ في باطلٍ[2].

منَّتْ: جعَلَتْ غَيرَها يَتَمَنَّى ويَشْتَهي أَمْرًا ويُريدُه مِنْهَا[3].

---

(١) «خزانة الأدب» (١١/ ٣١٥).

(٢) «القاموس المحيط» (٢/ ١٠١)، و«لسان العرب» (٥/ ١١).

(٣) «لسان العرب» (١٥/ ٢٩٤).

وَعَـدَتْ: أَعطَتْـك عَهْدًا وَعِـدَةً بإنالَتِكِ مَا تَتَمَنَّـاه في الـمُسْـتقبَلِ، فَتَفي بِذَلِكَ الوَعْدِ وأنَّهَا تَضْمَنُهُ لكَ[1].

إنَّ: بِكَسْرِ هَمْزَتِهَـا فِي أَوَّلِ عَجُزِ البيتِ لأَنَّه كلامٌ مُسْـتَأْنَفٌ، يُفيـدُ التَّعْلِيلَ لِـمَا فِي صَـدْرِ البَيْـتِ، عَـلَى مَا تَقَـرَّرَ فِي عِلمِ المَعَـاني[2] وأُصولِ الفقه[3] مِـنْ مَجيءِ «إِنَّ» المكسورةِ لإفَادَةِ التَّعليلِ أحيانًا.

الأمانيّ: جمعُ «أُمْنِيَّة» على وزنِ «أُفعُولة»[4]. قلتُ: وأَصْلُه «أُمْنُويَة» اجتمعتْ الواوُ والياءُ في الوَسَـطِ، وسَبَقَ أَوَّلَـهُما وهو الوَاوُ بِسُكُونٍ فَقُلبَتْ ياءً، وأُدغِمَتْ في الياءِ بعْدَها، فَصَارتْ «أُمْنُيَّة»، وكُسِرَتْ النُّونُ: «أُمْنِيَّة» حَتَّى تَسْـلَمَ الياءُ الـمُدْغَمَةُ في أُخْتِهـا بَعْدَهـا مِـنَ الـرَّدِّ إِلَى أَصْلِها الـوَاوِ. قَال ابنُ مَالِكٍ مُشِيرًا إلى هـذا القَلْبِ والإدغامِ:

إنْ يسكُنِ السَّابقُ مِنْ واوٍ ويا ... واتَّصَلا ومِنْ عُرُوضٍ عَرِيا
فياءً الواوَ اقْلِبَنَّ مُدْغِمًا ... وشذَّ مُعْطًى غيرَ مَا قدْ رُسِما. اهـ

و«الأُمْنِيَّةُ» مـا يُتَمَنَّى ويُقَدَّرُ، ويَكـونُ مَحْبُوبًا تَتُوقُ إليه النَّفْـسُ ولا يَتَحَقَّقُ!. ويَـدُلُّ عـلى هذا المعنى لِـهَـذِهِ اللَّفظَـةِ مَجِيئُهَا بِهِ فِي قَولِ شَـاعِرٍ يُحْتَجُّ بكلامِه، ذكرَه

---

(١) «تهذيب اللُّغة» للأزهريّ (٣/ ١٣٣- ١٣٤)، و«القاموس المحيط» (١/ ٣٤٦)، و«لسان العرب» (٣/ ٤٦٢ - ٤٦٣).

(٢) «دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجرجانيّ، ص (٢٤٣، ٢٤٩).

(٣) «فواتح الرَّحَموت» لعبدِ العليّ محمد بنِ نظام الدّين الأنصاريّ الهنديّ (٢/ ٣٥٧). الطّبعة الأولى (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).

(٤) «تهذيب اللُّغة» للأزهريّ (١٥/ ٥٣١)، و«لسان العرب» (١/ ٧٤١).

....

أبـو منصُـورٍ الأزْهَـرِيُّ نقـلًا عنِ الإمـامِ الشَّـافعيِّ قال: وأخـبرني الـمُنْذِرِيُّ عنِ الصَّيْدَاوِيِّ عن الرِّياشيِّ قال: إذا حُبِسَ الجيشُ عن النِّساء فقدْ جُمِّروا، وأنشَدَ:

وإنَّـك قـدْ جَمَّـرْتَـنَـا عـنْ نِسَائِنَا ... ومَـنَّـيْتَـنَـا حَـتَّـى نَسِينَـا الأَمَـانِـيَـا

وإلّا تَـدَعْ تَجْـمِـيرَنَـا عـنْ نِسَائِنَا ... نَعُدْ لكَ أيَّامًا تُشِيبُ النَّوَاصِيَا[1]. اهـ

فقولـه «جَمَّرتَنَا عن نِسَـائِنَا» حَبَسْـتَنَا عنهُنَّ، ثُمَّ ذكَرَ ما ترتَّـب على هذا الحَبْسِ فقال: «ومنَّيْتَنا» أي جعلْتنا نتمَنّى ونَرغَبُ في الاجتماع بِهِنَّ دون جدْوى.

فـ «الأُمنيَّة» وهو مصدرٌ كـ «التَّمنِّي» في الـمَعْنَى دُونَ الوَزْنِ، ومَادَّتُها سَوَاءٌ، لكنَّ «الأُمنيَّة» مصـدرُ الثُّلاثيِّ المجرَّدِ «مَنَى». و«التَّمنِّي» مصدرُ هذا الثُّلاثيِّ المزيدِ فيه بِحرفَينِ. ويَشْهدُ لِـهَذَا الـمَزِيدِ فيهِ قولُ أُبَيِّ بنِ حُمامٍ الـمُرِّيِّ:

تَمَنَّـى لِـيَ الـموتَ الـمُعَـجِّلَ خالدٌ ... ولا خيرَ فيمَنْ ليسَ يُعْرَفُ حاسِدُهْ[2]. اهـ

وقولُ الحارِثِ بنِ حِلِّزَة:

إذِ تَمَـنَّـوْنَـهُـمْ غُــرورًا فَسَاقَتْـ ... ـهُمْ إلـيكُمْ أُمْـنـيَّـةٌ أَشْــراءُ[3]. اهـ

الأحـلام: جمْعُ «حُلْم» أو «حُلُم» بالسُّـكونِ والضَّمِّ لِـلَّامِ مع ضَمِّ الحَاءِ. وهو مـا يراه الإنسـانُ في النَّوم مِن الأضغـاثِ وهو الرُّؤيا[4]. فالأحلامُ شَـبِيهَةٌ بالأَمَانِي

(١) كتـاب «الزَّاهـر في غرائبِ ألفاظ الإمام الشّـافعي» لأبي منصور الأزهريّ، ص: (٢٥٥). دار الطّلائع.

(٢) «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقيّ (١/ ٤١٤).

(٣) «شرح القصائد السّبع الطِّوال الجاهليّات» لابن الأنباري، ص: (٤٩٠).

(٤) «القاموس المحيط» (٤/ ٩٩)، و«لسان العرب» (١٢/ ١٤٥).

في أنَّ كلًّا لا تَحَقُّقَ لَه. وفِعْلُ «حُلْم» بِمَعْنَى الرُّؤيَا هو «حَلَمَ» على وَزْنِ «فَعَلَ» في المَاضِي، ومُضارِعُهُ بِضَمِّ العَيْنِ «يَحْلُمُ» لَيْسَ غَيرُ[1].

تضليلٌ: تَصْيِيرٌ إلى الضَّلال بالإطْمَاعِ فيما لا يَتَحَقَّقُ[2]. وقد جَرَتْ عادةُ العَرَبِ اللُّغويَّةُ أنْ يَستعْمِلُوا لَفْظَ «أَمَانِيّ» فيما يُتَمنَّى ولا يَتَحَقَّقُ، يَدُلُّ على ذلك لفظُ «أمانيّ» فيما نقلُه أبو العبّاس أحمدُ بنُ يحي ثعلبٌ فقال: «أنشدَنَا أبو العبّاس هذه الأبياتَ وقال «إِنَّها لَمِنْ حَسَنِ الشِّعر»:

متى تُؤنِسِ العينان أطلالَ دِمْنَةٍ ... بِنَعْفِ الصَّفَا يَرْفضَّ دمْعُهما رَفْضًا

ألا ربَّما يُقْضى بما يُعجِبُ الفَتَى ... ويا ربَّما يُقْضى على غيرِ ما يَرْضى

إذا فرَّقَتْ بين المُحِبِّين نيَّةٌ ... فإن لِتفريق الهَوَى وَجَعًا مضًّا

فما بالُ دَيني إذْ يَحُلُّ عَلَيكمُ ... أرى النَّاسَ يُقْضَونَ الدُّيُونَ ولا أُقْضَى

لَقَدْ كَانَ هذا الدَّينُ نَقْدًا وبعضُه ... بعَرْض فَما أدَّيتِ نَقدًا ولا عَرْضَا

فلو كنتِ تَنْوِينَ القَضَاءَ لِدَيْنِنَا ... لأَنْسَأتُكُمْ بعضًا وعجَّلتِ لِي بعضًا

ولكنَّما ذاك الّذي كَانَ بَيْنَنَا ... أَمَانِيُّ مَا لاقَتْ سَمَاءً ولَا أَرْضَا

أي لم أَحصُل على شيءٍ ممَّا تمَنَّيتُ[3]. اهـ

ولفظ «أمانِيُّ» في آخر بيتٍ مِن هذه الأبياتِ، وكذلك فيما جاء منه في قولِ كعبِ ابنِ زُهيرٍ، جمعٌ بِصيغةِ مُنتهى الجُموعِ: «مَفَاعِيل»، فهو ممنوعٌ مِنَ الصَّرفِ إذا

(١) كتاب «النّوادر في اللُّغة» لأبي زيد الأنصاريّ ص (٢٢٤).

(٢) «أساس البلاغة» للزَّمخشريّ (٢/ ٥٢). الطّبعة الثّانية.

(٣) «مجالس ثعلب» لأبي العبّاس أحمد بن يحيى ثعلب، القسم الثّاني (٢/ ٥٦٠). الطّبعة الثّانية. دار المعارف بمصر.

لم تكنْ فيه «أل» ولا مضافًا إلى ما بَعدَه. والأصلُ «أمانِوْيُ» سَكَنَتِ الواوُ بعدَ كسرةٍ فقُلبتْ ياءً، فصار: «أَمانِيُ»، فأُدغِمتِ الياءُ في الياء فصارَ: «أمانــيُّ». ويلاحظ أنَّ مـا وَقَعَ مِن إعلالٍ للواو في المفردِ «أُمنيَّـة» فإدغامٍ، حَصَلَ مثلُه في الجمعِ. وهذا مِن مراعاة العربِ في الجمعِ حالَ الواحدِ لِأَنَّه أسبقُ مِنَ الجَمْعِ. وهذه الـمُراعاةُ في علم «الخصائص الْلُّغَوِيّةِ» يُسَـمَّى قِيَاسًـا لَفظيًّا تابعًا ومندرِجًـا في قياسٍ معنويٍّ: هو أنَّ الفَرْعَ، وهو الجَمْعُ يأخذُ حُكْمَ الأصلِ وهو «المفرد»[1].

تنبيهٌ: في هذا البيت مِنَ البلاغَة وَجْهَان:

الوجـه الأوَّل: في عَجُـزِ هذا البيـت: «إنّ الأمانيَّ والأحـلامَ تَضْليلُ»، وذلك أَنَّـه تعليـلٌ للنَّهـي الـمُتَقَدِّم عنِ الاغـترَارِ بِوَعْدِ «سُـعاد» وتَمْنِيَتِهَا في صَـدْرِ البيتِ. والدَّليلُ على هذا التَّعليلِ كلِمَةُ «إنَّ» المكسـورةِ الهمزةِ في أوّلِ هذه الجمْلَةِ التَّعليليَّةِ؛ فهـي تَذيِيلٌ للّتِـي قَبْلَها. و«التَّذييلُ» مِنَ الإطناب في علـمِ الـمَعَاني[2] وهو تَعْقِيبُ جُملةٍ بِأُخرى تَشـتَمِلُ على مَعَنَاهَا تَوكِيدًا لَهَا كَمَا هُنا، فَإنَّ هذه الجملةَ التَّعليليَّةَ تَوكِيدٌ لِسَـابِقَتِهَا فِي الصَّدرِ. إذِ الـمَعْنَى في كِلَا الشَّـطْرَينِ قَد تَمَّ في الأوَّل، ثُمَّ ذُيِّـلَ بِالثّاني للتَّوكيد. وإلى هذا «التَّذييل» أَشَارَ صاحبُ «نَورِ الأَقَاح» بِقَولِه:

كـذا بِتَذْيِـيلٍ لِتَـوْكِـيدٍ بِـأَنْ … تُـعَـقَّـبَ الجُـمْـلَـةُ جُمْـلَـةٌ تَـعِـنْ

---

(١) «الخصائـص» صَنعة أبي الفتح عثمان بن جنّيّ (١/ ١١٢)، بتحقيق محمّد عليّ النّجّار. القاهرة مطبعة دار الكتب المصريّة (١٣٧١هـ - ١٩٥٢م).

(٢) «مفتـاح العلـوم» للسَّـكَّاكيّ، ص: (٢٧٧)، و«موجـز البلاغـة» لمحمّد الطَّاهر ابن عاشـور، ص: (٣٠).

....

حَـــاوِيَـــةً مـــدلُـــول الأولى[١] ....

الثَّاني: أنَّ هَذَا العَجُزَ: «إنَّ الأمَانِيَّ والأَحْلَامَ تضليلُ» لَـمَّا كَانَ مُستقِلًّا بِمعنَاهُ، لا يَتَوقَّفُ فَهْمُه عَلَى فَهْمِ مَا قَبْلَه مِنْ الصَّدْرِ، كَانَ تَذْيِيْلًا جَارِيًا مَجْرَى الـمَثَل فِي عِلْمِ الـمَعَـانِي. وإلى هَـذَا النَّوعِ مـن التّذْيِيلِ أَشَـارَ صَاحبُ «نَورِ الأَقَـاحِ» بِقَولِه - وهو تكملةٌ للبيتِ الثَّاني المتقدِّمِ -:

.... مــا استقـلَّ منه الّذِي خَرَجَ مَخْرَجَ المثَل[٢]. اهـ

والشَّاهدُ: «ما استقَلَّ مِنْهُ الّذي خَرَجَ مَخْرَجَ الـمَثَلِ».



---

(١) «فيـض الفتَّـاح على نَـور الأقاح» لعبد الله بـن الحاج إبراهيـم العلويّ الشّـنقيطيّ (٢/ ٧٥). الطّبعة الثّانية لسنة (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

(٢) «فيض الفتَّاح على نَور الأقاح» (٢/ ٧٦).

١١- كانَتْ مواعيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلا وَمَــا مَـوَاعِـيـدُهَــا إِلَّا الأَبَـاطِـيـلُ

أوّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

كَانَتْ: فعلٌ مَاضٍ نَاقِصٌ يَرْفَعُ الاسمَ وينصبُ الخَبَرَ، مبنيٌّ على الفتح، والتّاءُ للتّأنيثِ.

مَوَاعِيـدُ: اسـمُ «كان» مَرْفُـوعٌ، والضّمّةُ الظّاهـرةُ علامةُ رفعِـهِ؛ و«مواعيدُ» مضافٌ.

عُرقوبٍ: مضافٌ إليه مجْرُورٌ.

لهـا: جـارٌّ ومجـرورٌ، و«هـا» ضمـيرٌ يعـود إلى «الأمـانيّ والأحـلام»، والجارُّ والمجـرورُ شِـبْهُ جُمْلَـةٍ، محَلُّها النَّصـبُ، حالٌ مِنْ «مثلًا». لأنَّ شِـبْهَ الجُملـةِ كانَ نَعْتًا لــ «مَثَلًا» فموضعُه الأصـليُّ بَعْدَه. فَلَمَّا قُدِّمَ عليه وكِلاهما نكرةٌ أُعْرِبَ شـبْهُ الجُملةِ حالًا.

مثَلًا: خَبَرُ «كان» مَنصوبٌ.

ومـا مواعيدُها: «الواوُ» للعطف أو للحـال، والأظهرُ للعطفِ، لأنَّ الضّميرَ «هـا» يعود إلى «سـعاد»، فتُعْطَـفُ جملة «ومـا مواعيدُها إلخ...» عـلى جملة «كانت مواعيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا»، ولو قال «ومَا مواعيدُه» بضميرِ «عُرقوب» فتكون الواوُ للحـال، وجملةُ «ومـا مَوَاعِيدُه إلّا الأباطيـلُ» في محلِّ نصبٍ، حـالٌ مِن «عُرقوب». و«ما» حَرْفُ نَفْيٍ مَبْنِيٌّ على السُّكُونِ لا محَلَّ لَه مِنَ الإعرَابِ.

مواعيدُهـا: «مواعيـدُ» مُبتدأٌ مَرفُـوعٌ، وهو مضافٌ. و«هـا» ضميرٌ مبنيٌّ على السُّكُونِ في محَلِّ جرٍّ، مُضَافٌ إليه.

إلاَّ: أداةُ استثناءٍ مُلغَاةٌ.

الأباطيلُ: خبرُ المُبتَدَإِ مَرْفُوعٌ.

ثانيًا: تفسير كلماتِ هذا البيت:

كانت: «كان» هنا ناقصةٌ، لأنّها عبارةٌ عمَّا مضى مِنَ الزَّمانِ، فاحْتَاجَ إلى خَبَرٍ لِدَلالَة «كان» على الزَّمَنِ فقطْ.

مواعيد: جَمْعُ «مِيعَاد» وهو المُوَاعَدَةُ على أنْ يُوَافِيَهُ فِي وَقْتٍ مُعَيَّن، وفي مَوضِعٍ بِعَينِهِ. وأصلُه «مِوْعادٌ» قُلِبَتْ الواوُ السَّاكنةُ ياءً لانْكِسارِ مَا قَبْلَهَا فَرُدَّتِ الياءُ إلى أصْلِها الواوِ في الجَمْعِ، لِأَنَّ الجَمعَ والتَّصغيرَ يَرُدَّان الأشياءَ إلى أُصولها.

عُرقوب: عَلَمٌ لِرَجُلٍ في الجاهليّةِ، كانَ يُضربُ بِهِ المَثَلُ في الكَذِبِ والخُلْفِ لِلوَعْدِ. وقِصَّتُه سَاقَ ابنُ مَنظُورٍ نَصَّهَا هَكَذَا: «عُرْقوبٌ اسمُ رَجُلٍ مِنَ العَمالِقة[1]... أَتَاه أخٌ لَه يَسْأَلُه شيئًا، فَقَالَ لَه عُرقوبٌ: إذا أطْلَعَتْ هذه النّخلةُ، فَلَكَ طَلعُهَا، فلَمَّا أَطْلَعَتْ أَتَاهُ لِلْعِدَةِ، فَقَالَ دَعْها حتّى تَصيرَ بَلَحًا، فلَمَّا أَبلَحَتْ، قال دَعْها حتَّى تَصيرَ زَهْوًا، فلَمَّا أَبسَرتْ، قال دَعْهَا حتّى تصيرَ رُطَبًا، فلَمَّا أَرْطَبَتْ، قَالَ دَعْها حتَّى تَصِيرَ تَمْرًا، فَلَمَّا أَتْمَرَتْ عَمَدَ إليها عُرقوبٌ مِنَ اللَّيلِ، فَجَدَّهَا ولَمْ يُعْطِ أَخَاهُ منه شيئًا»[2]. اهـ.

(١) «العمالِيقُ» جَمْعُ «عِمْلَاقٍ» وهو في اللّغَةِ: الطَّويلُ. و«العَمَالِيقُ» و«العَمَالِقَةُ»: قَومٌ تَفرَّقوا في البِلَادِ مِن وَلَدِ عِمْلِيقٍ كـ «قِنْدِيلٍ» أو «قِرْطَاس»، ابنِ لاوَذ بن إرَمَ بن سام. «القاموس المحيط» (٣/ ٢٦٨)، و«لسان العرب» (١٠/ ٢٧١).

(٢) «لسان العرب» (١/ ٥٩٥).

....

مَثَلًا: أي وقَعَتْ تَمْنِيَةُ سُعادَ مَثَلًا نظيرًا لِمواعيدِ عُرْقُوبٍ، في أنَّ كُلًّا لا وَفاءَ بِهِ. ولِذا قال كعبٌ بعْد ذلك: «وما مَوَاعِيدُها إلَّا الأَبَاطِيلُ».

الأباطيل: جَمْعُ «بَاطِل» وهو الفاسِدُ، على خلافِ القِيَاسِ، وقِيَاسُه «بَوَاطِل» لأنَّ مُفردَه اسمُ فاعَلِ «بَطَلَ» لِغَيرِ العاقِلِ فيُجمَعُ على «فَوَاعِل» قِيَاسًا، لكنَّه لم يُسمعْ ولم يُستعملْ البتّةَ، قال سِيبَوَيْهِ في بابِ مَا جَاءَ بِنَاءُ جَمْعِهِ علَى غَيْرِ مَا يكون في مِثْلِه ولم يُكَسَّرْ هُوَ عَلَى ذلك البِنَاءِ: «ومِن ذلك (باطلٌ وأباطيلُ)، لأنَّ ذا ليس بناءَ (باطل) ونحوِه إذا كَسَّرْتَهُ، فَكَأَنَّهُ كُسِّرَتْ عليه: (إبْطِيلٌ وإبطالٌ)»[1]. اهـ



---

(١) كتاب سيبويه (٣/ ٦١٦) تحقيق وشرح: عبد السَّلام محمّد هارون. الطبعة الأولى. لدار الجيل - بيروت -.

١٢- أَرْجُـو وآمُـلُ أَنْ تَـدْنُـو مَوَدَّتُها   وَمَـا إِخَـالُ لَـدَيْـنَـا مِـنْـكِ تَنْوِيلُ

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

أرجو: فِعْلٌ مُضَـارِعٌ معلومٌ، مرفوعٌ لِتجرُّدِه مِنَ النَّواصِبِ والجوازِم، وعلامةُ رفعِـه ضَمَّـةٌ مُقدَّرةٌ على الـواوِ مَنَعَ مِـنْ ظُهُورِهَا الثِّقَـلُ، وفَاعِلُه مُسْـتتِرٌ فيه وجوبًا تقديرُه «أنا»، لِكعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وآمُـلُ: «الواوُ» حرفُ عطـفٍ. «آمُلُ» فعلٌ مضارعٌ معلومٌ، مرفوعٌ لِعطفِهِ على الـمَرفـوعِ قَبْلَـه، وعلامةُ رفعِـه الضَّمَّةُ الظَّاهـرةُ، وفاعلُه ضميرٌ مسـتترٌ فيه وجوبًا تقديرُه «أنا»، والفِعْلَان مُتعَدِّيَان.

أنْ تدْنُو مودَّتُها: «أنْ» حرفُ نصبٍ ومصدرٍ واستقبالٍ. «تدنو» فعلٌ مضارعٌ معلومٌ منصـوبٌ بـ «أنْ»، وعلامةُ نصبِه الفتحةُ الظّاهرةُ على «الواوِ» لِخفَّتِهَا عَليهَا، وحُذِفتْ لِضَرُورةِ الشِّعْرِ. «مَوَدَّتُها» مَوَدَّةُ: فَاعِلُ «تدنو» مرفوعٌ، و«مودَّةُ» مُضَافٌ. و«هَا» ضميرٌ مَبْنِيٌّ على السُّـكونِ في محلِّ جرٍّ مضافٌ إليهِ، وجُملةُ: «أن تدنُو مَودَّتُهَا» فِي مَحَلِّ نصبٍ، مفعولٌ بِهِ[1]، وقَدْ تَنَازَعَها كلٌّ مِنْ: «أَرْجُو» و «آمُلُ»، فأُعْمِلَ الثَّانِي وهـو «آمُلُ»، وأُهْمِلَ الأوَّلُ وَهُوَ «أَرْجُو» وأُعمِلَ في ضَمِيرِ الـمُتَنَازَعِ فيه، والضّميرُ في محـلِّ نصْبٍ فَحُذِفَ لأنَّه فضلةٌ، والتّقديرُ: «أرجوه وآمُلُ أنْ تَدْنُو مَودَّتُها»، وهذا الحَذْفُ هو الـمُشَارُ إليه مِن قولِ ابنِ مَالِكٍ في «الخُلَاصَةِ»:

ولا تَجِـئْ مَـعْ أوَّلٍ قَـدُ أهْـمِـلا   بِمُـضْـمَـرٍ لِـغَـيرِ رَفْـعٍ أُوهِـلا

بَـلْ حَـذْفَـهُ الْـزَمْ إنْ يَـكُـنْ غَـيرَ خَبَرْ   وأخِّـرَنْـهُ إنْ يـكُـنْ هُـوَ الـخَـبَرْ

---

(١) وتأويل هذه الجملة بمُفْرَدٍ هو: دُنُوُّ مَودَّتِها.

«وما إخال»: «الواوُ» لِعطْف مَا بعدَه مِن الجمْلَةِ عَلَى ما قبلَهُ، ويَصْلُحُ أنْ يَكونَ لِلحَالِ، والجملةُ بعده في محلِّ نصبٍ حالٌ مِنَ الضَّميرِ الـمُسْتَتِرِ فِـي «آمُل وأرجو». «ما» حَرْفُ نَفيٍ، مَبنيٌّ على السُّكُونِ لا مَحَلَّ لَه مِنَ الإعْرَابِ. «إخـال» فعلٌ مضارعٌ معلومٌ مِن أخواتِ «ظنّ» ينصب مفعولَين أصلُهما مبتدأٌ وخبرٌ، وارْتَفَعَ لِتَجَرُّدِهِ مِن النّواصب والجوازم، وفاعلُه مستترٌ فيه وجوبًا تقديرُه «أنا» ومفعولُ «إخال» الأوّلُ محذوفٌ هو ضميرُ شَأْنٍ تقديرُه: «وما إخالُه» أي الحَالُ والشَّأنُ.

لدينا: «لدى» ظرفُ مَكانٍ، مفعولٌ فيه منصوبٌ، وعلامةُ نصبِه فتحةٌ مقدَّرةٌ عـلى الألـفِ مَنَعَ مِنْ ظُهورِها التَّعذُّرُ، وقُلِبَتْ هذه الفتحـةُ ياءً للإضافةِ إلَى الضّميرِ «نَـــا»، وقـد تَبْقَى الأَلِفُ مَعَ الإِضَافَـةِ[1]، فـ«لَدَى» مُضَافٌ. و«نـا» ضميــرٌ مبنيٌّ على السّـكونِ في محلِّ جرٍّ مضافٌ إليه. و«لَدَيْنا» ظرفٌ مُختَصٌّ بالإضافةِ إلى الضّميرِ قُدِّمَ خَبَرًا لِـمُبتَدإٍ يَأْتِي.

منكِ: جارٌّ ومجرورٌ، شبهُ جملةٍ في محلِّ نصبٍ حَالٌ مِنْ «تَنويل».

تنويل: اسـمٌ مرفوعٌ لأَنَّه مبتـدأٌ، وتأَخَّرَ وُجُوبًا لِكَونِه نَكِرَةً أُبتدِئ بها وسَـوَّغَ ذلـك تَقَدُّمُ خَبَرِه المُخْتَـصِّ وتَأَخُّرُه عنه. وجملةُ المبتدإ والخـبرِ في محلِّ نصبٍ مفعول ثانٍ لـ «إخال».

---

(١) ومن الشّواهد لذلك قول الشَّاعر:

إلَاكُـــمْ يـا خُـــزاعَـــةُ لا إلَانـــا ... عَــزَا الـنَّــاسُ الـضَّــرَاعَـةَ والهَـوَانَـا

فَـلَـوْ بَـرِئَـتْ نُـفُـوسُـكُـمُ عَلِمْتُمْ ... بِـــأَنَّ دواءَ دائِـكُـمُ لَـدَانَـا. اهـ

الشّاهد «لَدَانَا».

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

أَرْجُــو وآمُــل: معناهُمَا وَاحدٌ[١]، وحسَّــنَ العَطْـفَ تَغَايُرُ اللّفْظَـينِ، ومِثْلُ هذا لِلتَّوكِيدِ فِي كَلَامِ العَرَبِ.

تَدنو: تقرُبُ.

مَودَّتُها: مَحَبَّتُهَا.

إخَالُ: مضارعُ «خال» بمعنَى «ظنَّ»، فقولُه «وما إخال» مَا أَظُنُّ، بِكَسْرِ الهَمزَةِ وهو الأَفصَحُ أي الأَكثَرُ فِي الاستعمالِ، وبَنُو أَسَدٍ يَقُولُونَ «أَخَالُ» بفتح الهمزةِ وهو القيـاسُ الصَّرْفِيُّ[٢]، لأنَّ ماضيَهُ: «خَيِلَ» على وَزْنِ «فَعِلَ» بكسْرِ العَينِ، فمُضارعهُ: «يَخَالُ وأَخالُ» على وزنِ «يَفْعَلُ» بفتحِ حَرْفِ الـمُضَارَعَةِ.

تنويل: أي إعطاءُ نوَالٍ، و«النَّوَالُ» هو العَطَاءُ[٣]، ومِنْه قولُ كُثَيِّرِ عَزَّةَ:

فما أنْصَفَتْ أمَّا النِّساء فبَغَّضَتْ إلـيَّ وأمَّـا بالنَّوال فضَنَّتِ

وفي البيتِ لِكَعبٍ لَونٌ بَلَاغِيٌّ يُسَمَّى في علمِ الـمَعَانِي بـ «الالْتِفَاتِ»، إذِ التَفَتَ مِـن الغيبـةِ في قَولِه «مَوَدَّتها» في صدْرِ البَيتِ، إلَى الخِطَـابِ في قوله «منكِ» في عَجُزِهِ لِنُكتَـةٍ، هِـيَ أنَّه لَـمَّا كان رَجاءُ مَودَّتِهَا أُمنِيَّةً له، لَيسـتْ مُتَحَقِّقَةً حَسُـنَ أَنْ يُعبِّرَ عَنْهَا

---

(١) «القاموس المحيط» (٣/ ٣٣٠)، و«لسان العرب» (١١/ ٢٧).

(٢) «لسانُ العَرب» (١١/ ٢٢٦).

(٣) «القاموس المحيط» (٤/ ٦١).

....

بِالغيبـةِ فِي نفسِـه وهــي غَائبـةٌ، ووَاجَهَهَا بِالخِطَابِ فِي العَجْزِ بِعَـدَمِ حُصُولِ تَنْويلٍ مِنْهَا لَهُ.





١٣- أَمْسَتْ سُعَادُ بِأَرْضٍ لَا يُبَلِّغُهَا ... إِلَّا العِتَاقُ النَّجِيبَاتُ المَرَاسِيْلُ

أوّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

أمستْ: فعلٌ ماضٍ معلومٌ، مبنيٌّ على فتحةٍ مقدَّرةٍ على الألفِ المحذُوفةِ لالتِقاءِ السّاكنَينِ عند اتّصالِ تاءِ التّأنيثِ السّاكنةِ بالفعل «أمسى».

سعادُ: فاعلُ «أمستْ»، مرفوعٌ.

بِأرضٍ: جارٌّ ومجرورٌ متعلّقان بـ «أمستْ».

لا يُبلِّغُهَا: «لا» نافيةٌ، حرفٌ مبنيٌّ علَى السُّكُونِ لا محَلَّ له مِن الإعراب. «يبلِّغُ» فعلٌ مضارعٌ معلومٌ مرفوعٌ لِتجرُّدِه مِن النّواصِبِ والجوازم. «ها» ضميرٌ يعودُ إلى «الأرض»، مبنيٌّ على السّكونِ في محلِّ نصبٍ مفعول به.

إلَّا: أداة استثناءٍ ملغَاةٌ.

العِتَاقُ: فاعل «يبلِّغ» مرفوعٌ.

النَّجيباتُ: نعْتٌ لـ «العتاق» تابعٌ له في رفعه.

المَرَاسِيلُ: نعتٌ ثانٍ مَرفوعٌ. وجملةُ «لا يُبلِّغُها إلاَّ العِتاقُ النَّجيباتُ المَرَاسِيلُ» في محلِّ جرٍّ نعْتٌ لـ «الأرض»، لأنَّ الجُمَلَ بعدَ النَّكِرَاتِ صفاتٌ.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

أمستْ: أي صارتْ؛ لأنّه تقدَّم أنَّه قال «بانتْ سعاد»، فـ «أمْسَتْ» أي صارتْ.

بأرضٍ: أي «في أرضٍ»، فـ «الباء» للظّرفيَّة.

لا يبلِّغها: لا يُوصِلُ إليها.

العِتَاق: معناه الجِيَاد، وهو جمعُ «عَتِيقٍ» بمعنى الكريمِ الرَّائعِ مِن كلِّ شيء[١]، يُوصَفُ به الطَّائِرُ الحُرُّ الأَصِيلُ القويُّ، ومنه قولُ الشَّاعِرِ: «عِتاقُ الطَّير»، أضَافَ «عِتَاقًا» وهو وَصْفٌ، إلى الطَّيرِ وهو موصوفٌ في آخرِ البيت الرَّابع مِنْ هذه الأبياتِ:

إنِّي حَمَدْتُ بَنِي شَيْبَانَ إِذْ خَمَدَتْ	**نِيرَانُ قَوْمِي وفيهِمْ شُبَّتِ النَّارُ**
ومِن تكَرُّمِهِمْ في المَحْلِ أنَّهَمُ	**لا يَعْلَمُ الجارُ فيهم أنَّه جَارُ**
حتَّى يكونَ عزيزًا مِن نُفُوسِهِمُ	**أَوْ أنْ يَبِيْنَ جميعًا وهْو مُخْتَارُ**
كَأَنَّه صَدَعٌ في رَأسِ شَاهِقَةٍ	**مِنْ دُونِهِ لِعِتَاقِ الطَّيْرِ أَوْكَارُ[٢]**.اهـ

والشَّاهِدُ: في قَولِهِ «لِعِتَاقِ الطَّيرِ». ويوصفُ به الإبلُ وهو المقصودُ في بيتِ كعبٍ.

النَّجيباتُ: جَمْعُ «نَجِيبَة» وهي الكريمةُ الأَصيلةُ. قال اللَّيثُ: «وكذلك النَّجابة في نَجائبِ الإبل الَّتي يُسابَقُ عليها»[٣]. اهـ

المراسيلُ: جمع «مِرْسَال» وهي سهلةُ السَّيْرِ بِكثرةٍ[٤]، لأنَّه على وزن «مِفْعَال» بمعنى «فَاعِل» لِلكثْرَةِ، وفي معنى «مِرْسَال» «سِرْيَاح»، يقال «ناقةٌ سِرْيَاح» أي

---

(١) «الكامل» للمبرِّد (١/ ٩٨)، «أساس البلاغة» للزّمخشري (٢/ ٩٨).
(٢) «لسان العرب» (٥/ ٢٩٢).
(٣) «تهذيب اللُّغة» لأبي منصور الأزهريّ (١١/ ١٢٥)، و«لسان العرب» (١/ ٧٤٨).
(٤) «القاموس المحيط» (٣/ ٣٨٤).

سَريعـةٌ سـهلةُ السَّـيْرِ[١]. ومُحْتَوى هَذا البيتِ لِكعبٍ يُشْـبِهُ مُحتَوى بيـتِ غَيلانَ ذِي الرُّمَّة في مَحْبوبَتِه «خرقاء»:

هَـيْـهَـاتَ خَــرْقَــاءَ إلَّا أَنْ يُـقَـرِّبَها ذُو العَرْشِ، والشّعْشَعَاناتُ العَياهِيم[٢] اهـ

قوله: «الشَّعْشَعَانَاتُ» الإبلُ الطِّوَالُ الجِسامُ. مُفردُه: شَعْشَعَانَةٌ[٣].

وقوله: «العياهيمُ» جَمع «عَيْهَمٍ»، وهـي النّاقةُ السَّريعةُ[٤]. وأصلُ «العَياهِيم» العَيَاهِمُ، فأشْـبَعَ كسْرَةَ الهاءِ فتَوَلَّدَ مِـنْ ذلك ياءٌ فصار «العَيَاهِيمُ»، وهذا الصَّنيعُ في الشِّعْرِ في هذه الصِّيغةِ لِـمنتَهى الجُمُوعِ كَثِيرٌ فِي القَوَافِي.



---

(١) أَوْ «سَرِيح». «لسان العرب» (٢/ ٤٨٢)، و«القاموس المحيط» (١/ ٢٢٧ - ٢٢٨).
(٢) «ديوان ذي الرُّمَّة» بشرح الإمام أبي نصر أحمد الباهليّ صاحب الأصمعيّ (١/ ٤٢٣).
(٣) «لسان العرب» (٨/ ١٨٢).
(٤) «القاموس المحيط» (٤/ ٦٥٥).

١٤- ولَـنْ يُـبَـلِّـغَـهـا إلَّا عُـذَافِـرَةٌ فِـيْـهَـا عَـلَـى الأَيْـنِ إرْقَـالٌ وَتَـبْـغِـيلُ

أوَّلًا: إعرابُ كلمات هذا البيت:

ولـن: «الـواوُ» حـرفُ عطـفٍ لِلجُمْلَةِ بَعْـدَهُ على جملـةِ «لا يبلِّغهـا إلّا العِتَاقُ النّجِيبَاتُ الـمَرَاسِيلُ» في البيتِ السَّابِقِ. «لنْ» حرفُ نَصْبٍ ونَفْـيٍ واسْتِقْبَالٍ.

يُبَلِّغهـا: «يُبلِّغَ» فعـلٌ مضارعٌ معلومٌ منصوبٌ بـ«لـن». «ها» ضميرٌ يعود إلى «أرض»، مبنيٌّ على السُّكونِ في محلِّ نصبٍ مفعول به.

إلَّا: أداة استثناءٍ ملغاةٌ.

عُذافِرَة: فاعلُ «يُبلِّغ»، مَرفوعٌ.

فيهـا: جـارٌّ ومجـرورٌ خـبرٌ مقـدَّمٌ وجوبًـا، عـلى حـدِّ قـولِ ابـنِ مَالـكٍ في «الخُلَاصَة»:

ونحـوُ عِـنْـدَي دِرْهَـمٌ ولِـي وَطَـر مُـلْـتَـزَمٌ فـيـهِ تَـقَـدُّمُ الخَـبر

عَلَى الأَيْـن: «على» حرفُ جرٍّ. «الأينِ» اسمٌ مجرورٌ بـ«على»، وشِبهُ الجملةِ في محلِّ نَصبٍ حالٌ مِن «إرقالٌ وتَبْغِيلٌ»، وذلك أنَّ «إِرْقَالًا وتَبْغِيْلًا» لو أُخِّرَ عَنْهُمَا «على الأينِ» لَكَانَ نَعْتًا لَـهُمَا، لِكَونِهِمَا نكِرَتَينِ جَاءَ بَعدَهُمَا شِبْهُ جُمْلَةٍ، فإذَا تَقَدَّمَ شِبْهُ الجُمْلَةِ النَّعتُ على الـمَنْعُوتِ أُعرِبَ حَالًا.

إرقال: مبتدأٌ مرفوعٌ.

وتبغيـل: «الـواوُ» حرفُ عطفٍ. «تبغيـلٌ» مَعطوفٌ على «إرقـال» تابعٌ له في رَفْعِـه، وجملـةُ «فِيهَا عَلَى الأَيْنِ إرْقَـالٌ وتَبْغِيلٌ» فِي مَحَلِّ رَفْعٍ نَعْـتٌ لـ «عُذافِرة»، لِأَنَّ الجُمَلَ بَعْدَ النَّكِرَاتِ صِفَاتٌ.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

عُذافِرة: بالتّاءِ مؤَنَّثُ «عُذافِر»، وهي النَّاقَةُ الضَّخْمَةُ الشَّـدِيدةُ الأَمِينَةُ الوَثِيقَةُ الظَّهْرِ وهي الأَمُونُ. والذَّكَرُ عُذَافِرُ: لِلْعَظِيمِ الشَّدِيدِ مِنَ الإِبلِ[١].

الأيـن: الإعيـاءُ والتّعَـبُ فَهُوَ مَصْـدَرٌ[٢]، وفِعْلُه عـلى هذا «آنَ يَئِيْنُ». وكانَ أَبُو زَيدٍ الأَنْصارِيُّ وأَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى يَقُولَانِ: لَا يُبنَى مِنْه فِعلٌ خِلافًا لِابْنِ الأَعْرَابِيِّ[٣]. والحَقُّ أَنَّ اشْتِقَاقَ الفِعْلِ منهُ هُـو الجَارِي عَلَى الأُصُولِ في الصِّناعةِ الصَّرفِيَّةِ، لِقَولِ سِيبَويهِ: «إنَّ الأفعالَ مِنَ الأَسْمَاءِ»[٤]. اهـ.

إِرْقَـال: مَصْـدَرُ «أَرْقَـلَ»، والإِرْقَال نَوعٌ مِـن الإِسْرَاعِ، وَهُـوَ أَنْ تَنْفُضَ النَّاقَةُ رأْسَها وتَرْتَفِعَ عن الذَّمِيل[٥]، ومنه قولُ طَرَفَةَ بنِ العَبْدِ في «مُعَلَّقَتِهِ» الـمَشْهُورَةِ:

وإنْ شِئتُ لم تُرقِلْ وإنْ شئتُ أَرْقَلَتْ مَخَافةَ مَلْوِيٍّ مِنَ القِدِّ مُحْصَدِ[٦]

تبغيـل: مصدرُ «بَغَّلَتِ النَّاقَةُ» إذا مَشَـتْ بـينَ الهَمْلَجَةِ والعَنَـقِ. و«الهَمْلَجَة» مِشْيَةٌ سَهْلَةٌ في سُرْعَةٍ[٧]، و«العَنَقُ» هو السَّيرُ الـمُنْبَسِطُ[٨].

---

(١) «لسان العرب» (٤/ ٥٥٥)، و«القاموس المحيط»(٢/ ٨٧).
(٢) «القاموس المحيط» (٤/ ٢٠٠). (٣) «لسان العرب» (١٣/ ٤٤).
(٤) كتابُ سِيبويه (١/ ٢٠ - ٢١).
(٥) «شرح القَصَائِد السَّبع الطِّوال الجَاهليَّات» لابن الأنباريّ، ص: (١٨٠)، و«القاموس المحيط» (٣/ ٣٨٦)، و«أساس البلاغة» للزّمخشريّ (١/ ٣٦٣).
(٦) «شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات» لابن الأنباريّ، ص: (١٨٠).
(٧) «لسان العرب» (٢/ ٣٩٣ - ٣٩٤).
(٨) «لسان العرب» (١٠/ ٢٧٣).

....

ثالثًا: بلاغة تركيب هذا البيت:

في قولـه «عُذافرة» غَرَابةٌ وإبْهَـامٌ أُتْبعَ بِنَعْتِه الـمُفَسِّرِ لَهُ الكَاشِـفِ للمُرَادِ منهُ، وهـذا النّعتُ هو قولُه في العَجُـزِ «فيها على الأين إرقالٌ وتَبْغِيـل»، فهذا ضَرْبٌ مِنَ البَدِيعِ الـمَعْنَوِيِّ يُقال له «تفسيرُ الخَفِيِّ»، أو «التَّبْيِينُ». أشارَ إلى هذا البَديعِ المعنويِّ صاحبُ «نَورِ الأقاح» بِقولِه:

ومنه تَفْسِيرُ الخَفِي كَشْفُ العَمَى … عَمَّا مِنَ الأَلْـفَـاظِ قَبْلُ انْبَهَمَا[1]

قولُ النَّاظمِ: «انْبَهَمَا» لو قالَ مَكَانَه: «استَبْهَما» لكان أقْوَمَ. والله أعلم.



(١) «فيـض الفتّـاح على نَور الأقـاح» لعبد الله بن الحـاج إبراهيم العَلَويّ الشّـنقيطيّ (٢/ ٢٧٩)، و«القول البديع في علم البديع» لـمَرْعيِّ بنِ يوسف الحنبليِّ، ص: (١٤٦).

١٥ـ مِنْ كُلِّ نَضَّاخَةِ الذِّفْرَى إِذَا عَرِقَتْ عُرْضَتُها طَامِسُ الأَعْلامِ مَجْهُولُ

أوّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

مِن كلِّ نضَّاخَةِ الذِّفرَى: «مِن» حرفُ جرٍّ لِبيَانِ ابتداءِ الغَايَةِ.

كلِّ: اسمٌ مجرورٌ بـ «مِن»، وهو مضافٌ.

نضّاخَةِ: مضافٌ إليه مجرورٌ، وهو مضافٌ.

الذِّفرى: مضافٌ إليه مجرورٌ، وعلامةُ جرِّه كسرةٌ مقدَّرَةٌ على الألفِ مَنَعَ مِنْ ظُهُورِهَا التّعذّر، و«أل» في «الذِّفرى» عِوَضٌ عَنِ الضّميرِ المضافِ إليهِ المَحذوفِ، والتّقديرُ «مِن كلِّ نضَّاخةٍ ذفراها». على حدِّ قولِ صاحبِ «الجَامعِ بينَ التَّسهيلِ والخُلاصَة، المانعِ مِنَ الحَشْوِ والخَصَاصَة»:

وجوِّزْ انْ يَنُوبَ في غَيْرِ صِلَهْ مَقَامَ مُضْمَرٍ وبَعْضٌ حَظَلَهْ[1]

وقولُه «**مِنْ كُلِّ نضّاخة الذِّفرى**» شِبْهُ جُمْلَةٍ في محلِّ رفعٍ نعتٌ ثانٍ لـ «عُذَافِرة».

إذا: اسمٌ مُتَمَحِّضٌ للظّرفيّةِ الزّمانِيَّةِ، ولا شَرْطَ فِيهِ هُنَا، كما أَشار إلى ذلك السُّيوطِيُّ[2]، وغيرُه مِنْ عُلَمَاءِ العَرَبِيَّةِ. ومنه قولُه تَعَالَى فِي القُرْآن: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ [الليل: ١]. مبنيٌّ على السُّكونِ في محلِّ نَصْبٍ بـ «نضَّاخة»، لأَنّهُ وصْفٌ يعملُ عَمَلَ فِعْلِه، وإِضَافَتُه لَفْظِيَّةٌ. و«إذا» مضافٌ.

(١) ألفيّة الإمامِ العالمِ العَلّامَةِ المُختار بن بونه، ممزوجةً في ألفيّةِ إمامِ النُّحاةِ أبي عبدِ الله محمّد جمال الدِّين بن عبد الله بنِ مَالِكٍ، لِتَتْمِيمِ أحْكَامِها وشَرْحِ مَسَائلها، ص: (٥٧). الطّبعة الأولى بالمطْبعة الحُسَيْنِيَّة المِصْرِيَّة. سنة (١٣٢٧) هجريّة.

(٢) «همع الهوامع شرح جمع الجوامع» في علم العربيّة للسُّيوطيّ (١/ ٢٠٦). دار المعرفة للطِّباعة والنَّشر - بيروت - لبنان.

عَرِقَتْ: فعلٌ ماضٍ معلومٌ مبنيٌّ على الفتح، وفاعلُه ضَميرٌ مستترٌ فيه جَوَازًا تقديرُه «هي» يعودُ على «كلّ نضَّاخة». وجملةُ «عَرِقَتْ» في محلِّ جرٍّ مضافٌ إليه، والتّقديرُ: «مِن كلِّ نضَّاخةِ الذِّفْرَى وَقْتَ عَرَقِها».

عُرْضَتُها: «عُرِضةُ» مبتدأٌ مرفوعٌ، وهو مضافٌ. و«ها» مضافٌ إليه في محلِّ جرٍّ.

طامسُ الأعلام: «طامسُ» خبرُ المبتدإ مرفوعٌ، وهو مضافٌ. «الأعلامِ» مضافٌ إليه مجرورٌ.

مجهولُ: خبرٌ ثانٍ للمبتدإ مَرفوعٌ، وجملةُ «عُرْضَتُهَا طَامِسُ الأعلامِ مجهولٌ»، في محلِّ جرٍّ نعتٌ لـ «كلِّ نضَّاخة الذِّفرَى» الّتي هي نكرةٌ.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

مِنْ كلِّ نضَّاخة الذِّفرى: «كلِّ» نكرةٌ مضافةٌ إلى «نَضَّاخة»، وهي نكرةٌ مضافةٌ إضافةً لفظيَّةً إلى «الذِّفرَى»، ومثلُ هذا يُفيدُ استِغْرَاقَ أفرادِ المُنَكَّرِ إلَى المُضَافِ إلَيهِ، نحوُ «كلٌّ» مِن قولِه تَعَالَىٰ في التّنزيلِ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[1].

نضَّاخة: أي غزيرَة العَرَقِ السَّائِلِ، مِن «النَّضخ» الّذي هو شدَّةُ فَوَرَانِ المَاءِ وانْفِجَارِهِ مِن ينبُوعِه[2]، ومنه في التّنزيلِ: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾[الرحمن: ٦٦] أي

(١) الآية برقم (٣٥) من سورة الأنبياء، وهي بتمامها هكذا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾. اهـ.

(٢) «لسان العرب» (٣/ ٦١).

«فَوَّارَتَـان». فشَبَّه كعبٌ «ذِفـرَى» هذه النَّاقَةِ بينبُـوعٍ في كثرةِ فَوَرَانِ العَـرَق، والتّاءُ لِتَأْنِيـثِ «نَضَّاخ» مِـن أَمثلَةِ الـمُبَالَغَةِ وهو وَصْفٌ للنَّاقة، لِـمَا تَقَرَّرَ في علمِ النَّحوِ أنَّ التّاءَ الـمَربوطَةَ تَأتِي فِي آخرِ الأوصاف المشتقَّةِ الّتِي تَشْتَرِكُ بَينَ الـمُذَكَّرِ والـمُؤَنَّثِ كَثيرًا لِلْفَرْقِ.

الذِّفرى: العَظْم خَلْفَ الأُذُنِ[١] وَذَلِكَ عندَ سَـيرِهَا في الشّـمسِ، ولذلك قال «إذا عَرِقَـتْ» أي إذا تَصبَّبَتْ هذه الذِّفرى بِالعَـرقِ كثيرًا، وأَلِفُ «الذِّفرى» للتّأنيثِ أو لِلإلحَـاقِ[٢]، فَهـي لازِمةٌ، وعَليـه فـ«ذِفرى» مجرَّدةً مِـن «أل» ومِن الإضافة فيها لُغتَان:

١- فَمِـنَ العَـرَبِ مَـنْ جَعَـلَ أَلِفَهَـا أَلِـفَ تَأنيـثٍ تَمْنَعُ الاسْـمَ مِـنَ الـصَّرف، فلَمْ يُنوِّنْهَا.

٢- ومنْهُـمْ مَـنْ جَعَلَهَـا أَلِـفَ إلْحَاقٍ بـ «هِجْـرَعٍ» فَنَوَّنَهَـا، وأشـارَ سـيبويهِ إلى هَاتِـينِ اللُّغَتَـينِ بِقولِـه: «فأمَّا (ذِفْـرى) فقد اخْتَلَـفَ فيها العَـرَبُ فيقولون: «هـذه ذفـرًى أَسـيلةٌ»، ويقـول بعضُهم: «هـذه ذِفْرَى أسـيلةٌ» وهـي أقلُّها، جَعَلوهـا تُلحـقُ بنات الثلاثـة بِبَنَـاتِ الأربعةِ، كـما أنَّ واوَ «جَـدْوَل» بِتلك الـمَنْزِلَة»[٣]. اهـ.

(١) «القاموس المحيط» (٢/ ٣٥).

(٢) «لسان العرب» (٤/ ٣٠٧).

(٣) كتاب سيبويه (٣/ ٢١١).

....

عُرْضَتُها: هِمَّتُها وقوَّتُها، أو ما يَعْتَرِضُ لَها أَمَامَها[١]، فيكون مَعْروضًا لَها على أنَّ «فُعلَة» بِمَعْنَى «مَفْعُول»، عَلى مَا تَقَرَّرَ في عِلمِ الصَّرفِ، وأشارَ إِليهِ الحَسَنُ ابنُ زَينٍ في مُتَمِّمَةِ لاميّةِ الأفْعَالِ بِقَولِه:

وفُعلةٌ لاسمِ مِفْعُولٍ وإنْ فُتِحَتْ ... مِنْ وَزْنه العَيْنُ يَرْتَدَّ اسمَ مَن فَعَلا[٢]

طامس الأعلام: «طامس» قَفْرٌ دارسٌ مَمْحُوٌّ[٣]. «الأعلام» جمعُ «عَلَم» وهو الشّيءُ يُنْصبُ في الطّريقِ، أو غيره يُهتدَى بِهِ[٤]. و«أل» في «الأعلام» عِوَضٌ عن الضَّمِيرِ المُضَافِ إليه، والتَّقديرُ «عُرْضَتُها طامسةٌ أَعْلَامُه».

مجهول: غيرُ معلوم، فـ «مجهول» اسمُ مفعولٍ للفِعلِ الثُّلاثيِّ المُتَعَدِّي: جَهِلَ الشَّيءَ على وَزنِ «فَعِلَ» بِكسْرِ العَينِ، إذا عَدِمَ العِلْمَ به[٥]، فلِكونِ المكانِ مجهولًا لِطمسِ أعلامِه لا يُهتَدى فيه. يُقالُ: أَرضٌ مَجْهَل كـ «مَقْعَد»: لا يُهْتدى فيها، لا تُثنَّى ولا تُجمعُ[٦]. لِمِثْل هذه الأرضِ أسماءٌ كثيرةٌ، مِنْ قبيلِ المُترادفَاتِ في عِلْمِ اللُّغَةِ عندَ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ بِهَا. مِنهَا: اليَهْماءُ والفلاةُ والهَوْجَلُ. وقد

---

(١) «أساس البلاغة» للزَّمَخْشريّ (٢/ ١٠٩)، و«لسان العرب» (٧/ ١٧٨).

(٢) «الطُّرَّةُ» شرح لاميّة الأفعال لابنِ مالك تأليف العلَّامة حَسَن بن زَين الشّنقيطيّ، ص: (٩٨). تحرير وتنسيق عبد الرّؤوف حُسَين عليّ. الطّبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

(٣) «القاموس المحيط» (٣/ ٢٢٧)، و«لسان العرب» (٦/ ١٢٦).

(٤) «لسان العرب» (١٢/ ٤١٩)، و«القاموس المحيط» (٤/ ١٥٣).

(٥) «القاموس المحيط» (٤/ ٣٥٣).

(٦) المرجع السَّابق.

....

وردَ ذِكْـرُ: يَهماء وهَوْجَل، في بَيتٍ مِن قَصيدةِ الشَّـنْفَرَى المَعروفـةِ بـ«لاميَّةِ العربِ» وهو:

ولسْـتُ بمِحيارِ الظَّلامِ إذا انْتَحَتْ هُدى الهَوجَلِ العِسِّيفِ يَهْماءُ هَوْجَلُ. اهـ

فـ «يَهْماءُ» فاعلُ «انتحَتْ». و«هَوجَلُ»: بدلٌ مِنْ «يَهماءَ» بدَلَ كُلٍّ مِنْ كلٍّ.



١٦ـ تَرْمِي الغُيُوبَ بِعَينَيْ مُفْرَدٍ لَهِقٍ إذَا تَوَقَّدَتِ الحِزَّانُ والمِيْلُ

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

تَرْمِي: فعلٌ مضارعٌ معلومٌ، مرفوعٌ لِتجرُّده مِنَ النَّواصبِ والجوازمِ، وعلامةُ رفعِه ضمَّةٌ مُقدَّرةٌ على اليَاءِ منَعَ مِنْ ظُهُورِها الثِّقَلُ. وفَاعِلُه ضميرٌ مستترٌ فيه جَوَازًا تقديرُه «هي» يعود إلى «كلّ نضاخةِ الذِّفرى».

الغيوبَ: مفعولٌ به منصوبٌ.

بعيني مُفْرَدٍ: «البَاءُ» حرفُ جرٍّ، معناه «الاسْتِعَانَةُ». «عَيْنَيْ» اسمٌ مجرورٌ بـ«البَاءِ» وعَلَامَةُ جرِّه «اليَاءُ»، و«عَيْنَيْ» مضافٌ. و«مُفرَدٍ» مُضَافٌ إليه مجرورٌ، والجارُّ والمجرورُ مُتَعَلِّقَانِ بـ«تَرْمِي» فَقَدْ تَعَدَّى هذا الفعلُ إلى المفعولِ الثَّاني بِوَاسِطَةِ الحرفِ الجَارِّ.

لَهِقٍ: نعتٌ لـ«مفرَدٍ» مجرورٌ.

إذا توقَّدَتْ: «إذا» اسمُ شرطٍ غيرُ جازمٍ يَتَضَمَّنُ الظَّرفيَّةَ الزَّمَانيَّة. وهذا هُوَ المرادُ مِنْ قولِ سِيبويهِ: «وأمَّا «إذا» فلِمَا يُسْتَقْبَلُ مِن الدَّهر، وفيها مُجازاةٌ، وهي ظرفٌ»[1]. اهـ. و«إذا» مبنيٌّ علَى السُّكونِ في محلِّ نصبٍ بِجَوَابِه المَحذُوفِ لِتَقَدُّمِ ذِكْرِه وهو «تَرْمِي»، والنَّصبُ بِذَلك قَولُ أكثرِ النُّحاةِ، وبِشَرْطِه قَوْلُ مُحَقِّقِيهم أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ ابنُ هِشَامٍ الأَنصَارِيُّ[2]. و«إذا» مضافٌ. «تَوَقَّدَتْ» فِعلٌ مَاضٍ معلومٌ مبنيٌّ على الفتحِ، و«التَّاءُ» للتَّأنيث.

(١) كتاب سيبويه (٤/ ٢٣٢).

(٢) «مغني اللَّبيب عن كتب الأعاريب» (١/ ٩٦)، تحقيق محمّد محي الدِّين عبد الحميد. دار الكتاب العربيّ - بيروت - لبنان.

الحِزّان: فاعلٌ مرفوعٌ.

والميـل: «الواوُ» حرفُ عطفٍ. «الميل» معطـوفٌ على المرفوع، وجملة «توقَّدت الحِزَّان والميل» في محلِّ جرٍّ مضافٌ إليه.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

ترمِـي الغُيوبَ: تَقْذِفُ الغُيُوبَ أمَامَها مِـن بَعِيدٍ نَاظِرَةً إِلَيهَا. و«الغيوب» جَمْعُ «غَيب» وَهُوَ مَا اطْمَأَنَّ مِنَ الأَرْضِ[١]، وَجَاء في قولِ الأخطلِ على هذا المعنى:

إِذَا مَـا بَـدَا بِـالغَـيـبِ مِـنْهَـا عِـصَابةٌ   أَوَيْنَ له مَشْيَ النِّسَاءِ اللَّوَاغِبِ[٢]. اهـ

الشّـاهد «الغيـب»، وهو ما انْخَفَـضَ مِن الأرضِ، يُريـدُ مَرعاها الّذي هي به لأنَّ البيـتَ في وصـفِ إبـلٍ. وقد تـأتِي «الغيوب» بمعنـى المواضع الّتـي تَغيبُ عن إدرَاكِهَـا بِالعَـينِ، فتَتَوجَّـس النَّاقة بِأُذُنِهَـا في أثناءِ نَظَرِهَـا لِتُقابِلَ بِمَا تَحْـذَرُ منه العَينُ مـا تُدْرِكُه بـالأُذُنِ فتُغْضِي عند ذلك طَرْفَهـا[٣]. و«الغُيُوبُ» بهـذا الـمَعْنَى جَاءَ فِي قَول أَبِي ذُؤَيبٍ الـهُذَلِيّ في وصف ثورٍ وحشيّ:

يَـرمِـي بِـعَـيْـنَـيْـهِ الـغُـيـوبَ وطَرفُه   مُغْضٍ يُصدِّقُ طَرْفُه مَا يَسْمَعُ[٤]. اهـ

(١) «القاموس المحيط» (١/ ١١٢)، و«لسان العرب» (١/ ٦٥٥).
(٢) «شعر الأخطل» أبي مالك غِياثِ بنِ غوثٍ التَّغلبيّ ص (٢٣٩). الطَّبعة الرَّابعة (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).
(٣) «القاموس المحيط» (١/ ١١٢)، و«لسان العرب» (١/ ٦٥٥).
(٤) «شرح اختيارات المفضّل الضبِّي» للتّبريزيّ (٣/ ١٧١٠).

وقولِ الأَخْطَلِ التَّغلبيِّ:

إليه أشار النَّاظِرون كأنَّه   هِلالٌ بَدَا مِنْ قُتْمَةٍ وغُيُوبٍ[(١)] .اهـ

ويُطْلَقُ «الغَيْبُ» على ما لا تُدْرِكُه الحَواسُّ، وهو ما وَرَاءَ عَالَمِ الشَّهادَةِ أَيْضًا. ومنه قوله تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [السَّجْدَة: ٦].

بِعَيْنَيْ مُفْرَدٍ: أي بِنَاظِرَتَي ثَورٍ وَحْشِيٍّ، فـ «مُفْرَد» نعتٌ لِمَوصُوفٍ محذوفٍ هو «ثور»، على ما تقرَّرَ في النّحوِ، ونَظَمَهُ ابنُ مالكٍ في «الخُلَاصَةِ» بقوله:

وما مِنَ المَنْعُوتِ والنَّعْتِ عُقِل   يَجُوزُ حَذْفُه وفي النَّعْتِ يَقِلّ

ووَصَفَ كعبٌ الثَّورَ بهذا الوَصْفِ لأنَّه الَّذي أفرَدَتْه خَشْيَةُ القنَّاصِ، فهُوَ لا يَأْلُو عَدْوًا للخَلَاصِ مِن صيدِ القنَّاصِ.

لَهِقٌ: وصْفٌ مُشْتَقٌّ على وزنِ «فَعِل»، فِعْلُه «لَهِقَ» على وزنِ «فَعِل». واللَّهِقُ: الأبيضُ، أوِ الشَّديدُ البَيَاضِ[(٢)]. يُوصَفُ به الثَّورُ، كما في بيت كعبٍ هذا. أشارَ ابنُ مالكٍ إلى هذا الوصف الشَّبيهِ بِفِعْلِه اللَّازمِ في الوزنِ بقولِه في «لاميَّةِ الأفعال»:

وَصِيغَ مِنْ لازِمٍ مُوَازِنٍ فَعِلا   بِوَزْنِهِ كَشَجٍ ومُشْبِهٍ عَجِلا[(٣)]. اهـ

---

(١) «شعر الأخطل»، ص: (١٩٢).

(٢) «اللَّهِقُ» وصفٌ مشتقٌّ على وزن «فَعِلَ». وفعلُه «لَهِقَ» على وزن «فَعِلَ». **واللَّهِقُ:** الأبيضُ. ويوصَفُ الثَّورُ الوحشيُّ به. «القاموس المحيط» (٣/ ٢٨١)، و«لسان العرب» (١٠/ ٣٣٢).

(٣) «الطّرّة» شرح لاميَّةِ الأفعال لابنِ مالكٍ تأليفُ العلّامةِ حسَن بن زين الشِّنقيطيّ، ص: (٨٧).

....

تَوَقَّدَت: اشتعَلَتْ[١].

الحِـزَّان: جَمْعٌ على وزنِ «فِعْلان»، مُفردُه «حَزِيـزٌ» ويُجْمَعُ على: «أَحِزَّةٍ» أيضًا. و«حزِيـزٌ» مَوضـعٌ كَثُـرَتْ حِجارتُـه وغَلُظَـتْ كأنَّها السَّـكَاكِينُ، أو المـكانُ الغَلِيظُ يَنْقاد[٢].

المِيْل: قَدْرُ مُنْتَهى مَدِّ البَصر[٣].



(١) «أساس البلاغة» للزّمخشريّ (٢/ ٥٢١)، و«القاموس المحيط» (٣/ ٤٠٠).

(٢) «الكامل» للمُبَرِّد (٣/ ١٣٤٣)، و«لسان العرب» (٥/ ٣٣٥).

(٣) «تهذيب اللُّغة» للأزهريّ (١٥/ ٣٩٦)، و«القاموس المحيط» (٤/ ٥٣).

١٧- ضَخْمٌ مُقَلَّدُها، عَبْلٌ مُقَيَّدُها ... فِي خَلْقِها عَنْ بَنَاتِ الفَحْلِ تَفْضِيْلُ

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

ضَخْمٌ: خبرٌ لِمبتدإٍ محذوفٍ تقديرُه «هي ضَخمٌ»، لأنَّ حَذْفَ كلِّ ما يُعْلمُ مِن المبتدإ والخبرِ جائزٌ.

مُقَلَّدها: فاعلٌ لـ «ضخْم»، وهو صفةٌ مشبَّهةٌ باسمِ الفاعلِ تَعْمَلُ عَمَلَ فِعْلِها، كأنَّه قال «هي يَضْخُمُ مُقَلَّدُها». و«مقلَّد» مضافٌ. و«ها» مضافٌ إليه مَبنيٌّ على السُّكونِ في محلِّ جرٍّ.

عَبْلٌ: خبرٌ ثانٍ للمبتدإ، مرفوعٌ.

مُقَيَّدُهَا: «مقيَّد» فاعلٌ لـ «عَبْل» عَمِلَ عَمَلَ فِعْله كأنَّه قال «عَبُلَ مقيَّدُها».

فِي خَلْقِهَا: «في» حرفُ جرٍّ يُفيدُ الظَّرفيَّةَ. «خَلْقِ» اسمٌ مجرورٌ بـ «في»، و«خلْقِ» مضافٌ. و«ها» مضافٌ إليه في محَلِّ جرٍّ، والجارُّ والمجرورُ خبرٌ مقدَّمٌ وُجوبًا لِلاختصاصِ فيهما بالإضافةِ إلى معرفةٍ.

عن بناتِ الفحْلِ: «عن» حرفُ جرٍّ بمعنى «على». «بنات» اسمٌ مجرورٌ بـ «عن» و«بنات» مضافٌ. «الفحلِ» مضافٌ إليه مجرورٌ، والجارُّ والمجرورُ في محلِّ نَصبٍ حَالٌ مِنْ «تَفْضِيل».

تفضيلُ: مبتدأٌ نكرةٌ سَوَّغَ الابتداءَ به تَأَخُّرُه عن خَبَرِه الظَّرفِ المُختَصِّ، مَرفوعٌ، وجملةُ المبتدإِ والخَبَرِ في مَحَلِّ رَفْعٍ خبرٌ ثالثٌ للمبتدإِ الأوَّلِ المحذوفِ.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

ضخْمٌ: عظِيمٌ في غِلَظٍ. هو صفةٌ مُشبَّهةٌ باسمِ الفاعلِ، على وزنِ «فَعْل» بدونِ تـاءٍ للمذكَّر، وبالتَّاء للمؤنَّثِ. وفِعْلُه عـلى وزنِ «فَعُلَ»، ومعناه «عَظُمَ». فالضَّخْمُ: العَظِيمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ[١].

مُقَلَّدُها: عُنُقُها، وهو اسـمُ مَكَانٍ مِن «قَلَّد» بِزِنةِ اسـمِ المفعولِ مُرَادًا به اسـمُ المكان هُنا، لِـمَا تقرَّرَ في فنِّ الصَّرفِ أنَّ اسمَ المَكانِ والزَّمَانِ والمصدرَ الـمِيمِيَّ واسمَ المفعولِ مِمَّا فوقَ الثُّلاثِيِّ بِزِنَةٍ واحدةٍ، والسِّيَاقُ هو الَّذِي يُعيِّنُ الـمُرَادَ. فـ «مُقَلَّدُها» كِنايـة عـنْ «العُنُق»، لأنَّه مَحَلُّ «القِـلَادَةِ» الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا الفِعـلُ «قَلَّد» بمعنى وَضَعَ الواضِعُ قِلادَةً في عُنُقٍ[٢].

عَبْـلٌ مُقَيَّدُهـا: «عَبْـلٌ»: ضَخْـمٌ[٣]، صِفَةٌ مُشَـبَّهَةٌ باسـمِ الفَاعِلِ مِـن الفِعْلِ «عَبُلَ» أي «ضَخُمَ». «مُقَيَّدُهَا» مَوْضِعُ القَيْد، فـ«مقيَّدُها» اسمُ مَكانٍ مِثْلُ «مُقلَّد»، فـ«مقيَّدُها» كِنَايَةٌ عَنْ مَحَلِّ القَيْدِ الَّذِي هو السَّاقَان.

في خَلْقِهَـا عَـنْ بَنَـاتِ الفَحْـلِ تَفْضِيـلٌ: «خَلقِهـا» تقديرُهَـا الَّـذي قُـدِّرَتْ عليـه، وقُطِع شَـكْلُهَا بِهِ، لأنَّ الأَصْـلَ فِـي «الخَلْـق» التَّقْدِيرُ لُغَةً[٤]، قـال زُهَيرُ بنُ أبي سُلمَى:

---

(١) «القاموس المحيط» (٤/ ١٤٢).

(٢) «القاموس المحيط» (١/ ٣٣٠)، و«لسان العرب» (٣/ ٣٦٦).

(٣) «القاموس المحيط» (٤/ ١٤٢).

(٤) «لسان العرب» (١٠/ ٨٥)، و«القاموس المحيط» (٣/ ٢٢٨).

ولأَنـتَ تَفْـرِي مَـا خَلَقْـتَ وبَعْضُ القَومِ يَخلُقُ ثُمَّ لا يَفْرِي[١]

و«الفِرْيُ» مصدرُ الفعلِ «تَفري» في البيتِ هو القَطْعُ[٢] لِـهَذا الـمُقَدَّرِ. فهذا القطْعُ إيجادٌ لِحقيقةِ صُورةِ الشَّيءِ المُقَدَّرةِ. وإذا أُسْنِدَ الفِعْلُ «خلَقَ» إلى اللهِ كانَ معنَاه الإنشاءَ للشَّيءِ على مِثَالٍ أَبْدَعَهُ جَلَّوَعَلَا على تقديرٍ مُقارِنٍ لِلإنْشَاءِ، أو سَابِقٍ لَه. ولا يُسْنَدُ فعْلُ «خَلَقَ» إِلَى غيرِ اللهِ بِهذَا المَعنَى شَرْعًا، لِفسَادِ الـمَعنَى.

بنـات الفَحْل: «الفَحْل» الذَّكَـرُ مِن الإبل[٣]. و«بناتُه» النُّوقُ، مِنْ جُموعِ النَّاقَةِ لِلأُنْثَى مِنَ الإبِلِ[٤]. وإضافةُ بَنَات - جمع بِنْـتٍ - إلى الفحْلِ، لإفادةِ أنَّ اللهَ خلَقَها مِـنْ ماءِ الفَحْل[٥]. ونَظيرُ هـذا في كلامِ العَرَبِ إضَافةُ «بنات» إلى «البَيضِ» في قولِ غَيلانَ:

تَـبْرِي لَـهُ صَـلْعَـةٌ خَـرْجَـاءُ خَاضِعَةٌ فالخَرْقُ دُونَ بناتِ البَيضِ مُنتَهَبُ[٦]

يَقصِدُ بـ «بنات البَيض» فِرَاخَ النَّعامة، لأنَّها مِنَ البَيضِ[٧] مخلوقةٌ.

(١) شرحُ الأعْلَمِ الشَّنْتَمَرِيِّ لأشعارِ الشُّعراء السِّتَّة الجاهليِّيْنَ، ص (٢٤٢) مخطوط، و«شرح ديوان زُهير بن أبي سُلمى» صَنعة أبي العبّاس ثعلبُ. الطَّبعة الأولى (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
(٢) «القاموس المحيط» (٤/ ٣٧٣).
(٣) «لسان العرب» (١١/ ٥١٦)، و«القاموس المحيط» (٤/ ٢٨).
(٤) «لسان العرب» (١٠/ ٣٦٢).
(٥) «لسان العرب» (١٤/ ٩٣).
(٦) «ديوان ذي الرُّمَّة» بشرح الباهلي (١/ ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩).
(٧) «خزانة الأدب» (٣/ ٢٧٥).

....

تفضيل: مَزِيَّةٌ زِيادةٍ عليها في الخِلْقَةِ الجِسمِيَّة. لأنَّ «تفضيلًا» مصدرُ «فَضَّلَهُ» أي مَزَّاه، بمعنى جعلَ له مَزِيَّةً[1].



(١) «القاموس المحيط» (٤/ ٣١).

١٨- غَلْبَاءُ وَجْنَاءُ عُلكُومٌ مُذَكَّرَةٌ　　في دَفِّهـا سَـعَـةٌ، قُـدَّامَـهـا مِيلُ

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

غلبـاءُ: خبرٌ مرفوعٌ لِمبتدإٍ محذوفٍ تقديـرُه «هـي»، ولم ينوَّن لأنّـه ممنوعٌ مِن الصّرفِ لِألِفِ التّأنيثِ المَمْدُودَةِ.

وجناءُ: خبرٌ ثانٍ مرفوعٌ.

عُلْكوم: خبرٌ ثالثٌ مرفوعٌ.

مُذَكَّرةٌ: خبرٌ رابعٌ مرفوعٌ.

في دفِّهـا: «في» حـرفُ جرٍّ. «دفّ» اسـمٌ مجرورٌ بـ «في»، وهـو مضافٌ. و«ها» مضـافٌ إليـه مبنـيٌّ على السُّـكونِ في محـلِّ جـرٍّ، والجـارُّ والـمَجْـرُورُ الـمُخْتَصَّانِ بِالإِضَافَةِ إِلى الضّميرِ خَبرٌ مُقَدَّمٌ وُجُوبًا.

سعةٌ: مبتدأٌ مؤخَّرٌ، مرفوعٌ، على حدِّ قولِ ابنِ مَالكٍ في «الخُلاصَة»:

ونحـوُ «عـنـدي دِرْهَـمٌ» و«لـي وَطَرْ»　　مُـلْـتَـزَمٌ فِـيـهِ تـقـدُّم الخَـبَـرْ

وهَـذِهِ الجملةُ الاسـميَّةُ في محـلِّ رفعٍ خبرٌ خَامِسٌ، لِجـوازِ تَعَدُّدِ الخبـرِ لِـمُبْتَدَإٍ واحدٍ.

قُدَّامَهـا: «قُدَّامَ» ظرفُ مَكانٍ، مفعولٌ فيه منصوبٌ، و«قُدَّام» مضافٌ. و«ها» مُضَافٌ إليه مَبْنِيٌّ على السُّكُونِ في مَحَلِّ جرٍّ، وهذا الظَّرْفُ الـمُخْتَصُّ بالإِضَافَةِ إلى هَذَا الضّميرِ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، أو مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ هو الخَبَرُ تَقْدِيرُه «كَائِن».

مِيلُ: مبتدأٌ مرفوعٌ، مُؤَخَّرٌ وُجوبًا. وجُملةُ «قُدَّامها مِيلُ» مِن المبتدإِ والخَبَرِ، خَبَرٌ سَادِسٌ في محلِّ رفع.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

غَلْبَـاءُ: مؤنَّـثُ «أَغْلَب»، يُوصَفُ به العُنُـقُ لِغِلَظِه. يُقـال: «غَلِبَ» على وزنِ «فَعِـلَ» كـ «فَرِح» غَلُـظَ عُنُقُه. ومَصْدَرُهُ «غَلَبٌ» بِالتَّحرِيـكِ. و«غَلْبَاءُ» هُنَا وَصْفٌ لِلنَّاقةِ بِمَعنَى عَظِيمَةُ الخِلقةِ[1].

وَجْنَـاءُ: تامَّةُ الخَلْق، غَلِيظةُ لَحْمِ الوَجْنَةِ صُلْبَةٌ شديدةٌ[2].

عُلكُوم: شَـدِيدَةٌ عظيمةٌ[3]، ويَشْـهدُ أيضًا لِوصْفِ النَّاقَةِ الشَّديدةِ بـ «عُلكُوم» مـا وَرَدَ مِـنْ هذا اللَّفظِ في قَوْلِ عَلقَمَةَ بنِ عَبَـدة، المعروف بـ «علقمة الفَحْـل» وهو شَاعِرٌ جاهِلِيٌّ:

هَل تُلْحِقَنِّي بِأُخْرَى الكيِّ إذْ شَحَطُوا ... جُلْذِيَّةٌ كَأَتَانِ الضَّحْلِ عُلكومٌ[4]

«الـجُلْذِيَّة» النّاقةُ الصُّلبَةُ[5]، مَأخوذٌ مِن «الجِلْذاءة» وهي الأَرضُ الغَليظةُ[6].

(١) «تهذيـب اللُّغـة» للأزهريّ (٨/ ١٣٨)، و«القاموس المحيط» (١/ ١١١)، و«لسـان العرب» (١/ ٦٥٢).

(٢) «القاموس المحيط» (٤/ ٢٧٤)، و«لسان العرب» (١٣/ ٤٤٣).

(٣) «تهذيب اللُّغة» (٣/ ٣٠٨)، والقاموس المحيط (٤/ ١٥٤)، ولسان العرب (١٢/ ٤٢٣).

(٤) «شرح اختيارات المفَضَّل» للخطيب التّبريزيّ (٣/ ١٦٠٧ - ١٦٠٨).

(٥) «لسان العرب» (٣/ ٤٨١).

(٦) المرجع السّابق.

....

و«أتـان الضَّحْلِ» صَخرةٌ تكونُ في مَسيلِ الـمَاءِ فَتَتَشَرَّبُ الماءَ وتَـمْلَاسُّ[١]، فشَبَّهَ النَّاقةَ في الصَّلَابَةِ بِهَا. و«الضَّحلُ» الماءُ القليلُ[٢].

مُذكَّرةٌ: مُتَشبِّهةٌ بِالجَمَلِ في الخَلْقِ والخُلُق[٣]. ويَشْهَدُ لـ «مُذكَّرة» بِهَذَا المعنَى قَوْلُ غَيْلانَ ذي الرُّمَّة فِي وصْفِ نُوْقٍ:

يَـتْـبَـعْـنَ شَـأْوَ عَـلَـنْـداةٍ مُـذَكَّـرَةٍ ... خَطَّارَةٍ جُرَّةٍ إحدَى المَمَاهِيرِ[٤]. اهـ

فقولُهُ «عَلَنْداة»: شديدة. «مُذكَّرة»: تُشْبِهُ الذَّكَر. «الـمَمَاهير» الماهرة في السَّيْر ومفردُه «مِمْهار».

دفُّهـا: جَنْبِهَـا، إذْ مِنْ مَعَانِي الـدَّفِّ: الجَنْبُ مِنْ كلِّ شيءٍ، وقـدْ يُفَسَّرُ بِصَفْحَةِ الجَنْبِ[٥].

سعةٌ: اتّساعٌ، فلا يَلْحَقُ مِرْفقَاها جَنْبَيْها.

قُدَّامها: أمامَها.

ميـلٌ: قَـدْرُ مُنْتهَى مدِّ البَصَرِ سَيرُها، يُريدُ أنَّها تَقْطَعُ مَسافةَ مُنْتهى مَدِّ البصَرِ بِسُرْعةٍ.

---

(١) المرجع السّابق.
(٢) المرجع السَّابق.
(٣) «القاموس المحيط» (٢/ ٣٥).
(٤) «ديوان ذي الرُّمَّة» بشرح الباهليّ (٣/ ١٨٢١).
(٥) «لسان العرب» (٩/ ١٠٤).

١٩- وَجِلْدُهَا مِنْ أَطُومٍ مَا يُؤَيِّسُهُ طِلْحٌ بِضَاحِيَةِ الـمَتْنَيْنِ مَهْزُولُ

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

وجِلْدُها: «الواوُ» حرفٌ للاسْتِئْنَافِ. «جِلْدُ» مُبتدأٌ مرفوعٌ وهو مضافٌ. «ها» مضافٌ إليه مبنيٌّ على السّكونِ في محلِّ جرٍّ.

مِـن أَطُوم: «مِن» حرفُ جرٍّ لابتداءِ الغَايةِ، يُبيِّنُ الغايـةَ والمبدأَ الّذِي مِنهُ هذا الجِلْدُ. «أَطوم» اسـمٌ مجرورٌ بـ «مِن»، والجـارُّ والمجرورُ متعلِّقـان بِمحذوفٍ، خبرُ المبتـدإِ، عند أهل البصرة. والتّقدير «وجلدُها كائنٌ أو استَقرَّ مِـنْ أَطوم»، على حَدِّ قولِ ابنِ مالكٍ في «الخُلاصة»:

وأَخْبَـرُوا بِظَـرْفٍ أَو بحَـرْفِ جَرّ نَـاوِيـنَ مَـعْنَـى كَـائِـنٌ أو اسْتَقَر

مـا يُؤَيِّسُـه: «ما» حرفُ نفـيٍ، مبنيٌّ على السُّـكـونِ لا محَلَّ لـه مِن الإعراب. «يُؤَيِّـسُ» فعـلٌ مضارعٌ معلومٌ مرفـوعٌ لِتجرُّدِه مِـن النَّواصبِ والجـوازمِ. و«الهاءُ» ضميرٌ مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلّ نصْبٍ، مفعولٌ به.

طِلْـحٌ: فاعلُ «يُؤَيِّس»، مرفوعٌ. وجملةُ «مَا يُؤَيِّسُـهُ طِلْحٌ» فِي محَلِّ رَفعٍ خَبرٌ ثانٍ لِلمُبْتَدَإِ.

بِضَاحِيَـةِ الـمَتْنَيْن: «الباءُ» حرفُ جرٍّ، معناه الظّرفيّةُ. «ضاحية» اسـمٌ مجرورٌ بـ «الباء»، وهو مُضافٌ. «الـمَتْنَيْنِ» مُضافٌ إليه مجرورٌ، وعلامةُ جرِّه الياءُ نيابةً عنِ الكَسْرَةِ لأَنَّه مُثَنًّى، وشِـبهُ الجملةِ «بِضَاحِيَةِ الـمَتنَـينِ» في محلِّ رفعٍ نَعتٌ لـ «طِلْح»، لأنَّ الجُمَلَ وكَذَا شِبْهُ الجُمَل بَعْدَ النَّكِراتِ صِفَاتٌ.

مهزُول: نعتٌ ثانٍ لـ «طلح»، مرفوعٌ، ويجوزُ أنْ يكونَ «مهزول» نعْتًا أوَّلَ، ويكونَ شبهُ الجملةِ «بِضاحِيةِ المَتْنَيْنِ» في مَحَلِّ نَصْبٍ، حالًا مِن المنعوتِ «طِلْح»، وهو نكرةٌ قد وُصِفَ، فَجَازَ مَجِيءُ الحَالِ مِنْهُ، عَلَى مَا تَقَرَّرَ في علمِ النَّحْوِ.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

جِلْدُها: «الجِلْدُ» و«الجِلِدُ» بالتَّحْرِيكِ بِكَسْرَتَينِ: «المَسْكُ» بفتحِ الميمِ وسُكُونِ السِّينِ، هو غِشَاءُ جَسَدِ الحَيوانِ[(١)].

أُطُوم: على وزنِ «فَعُول» بفتحِ الهمزةِ: سُلَحْفاةٌ بَحْرِيَّةٌ غليظةُ الجِلْدِ. أو سَمَكَةٌ يُقال لها: المَلِصَةُ والزَّالِخَةُ. يُشَبَّه بها جِلْدُ البعيرِ الأمْلَسِ[(٢)].

ما يُؤَيِّسُه: ما يَسْتَخْرِجُ مِنهُ شَيئًا بالتّأثيرِ فيه[(٣)]، فلا يُغَيِّرُه ذَلك الطِّلح بِالتّلْيِينِ لِعَدَمِ قُدْرَتِه عَلَى ذَلِك.

طِلْح: أي «قُرَادٌ»، وهي حَشَرَةٌ تَتَعَلَّقُ بِجِلْدِ الحَيَوَانِ لِتَمْتَصَّ الدَّمَ مِنه[(٤)].

ضاحية المَتنَيْنِ: «الضّاحي» في الأصلِ «البَارِزُ للشّمسِ». و«التّاء» للتّأنيثِ أَكسَبَتِ الوصْفَ الاسميّة، فالمرادُ بـ«الضّاحيةِ» الجهةُ الظّاهرةُ البارزةُ مِنْ جَنبَيْهَا وهُمَا المَتْنَان.

---

(١) «القاموس المحيط» (١/ ٢٨٣)، و«لسان العرب» (٣/ ١٢٤).
(٢) «لسان العرب» (١٢/ ٢٠)، و«القاموس المحيط» (٤/ ٧٥).
(٣) «لسان العرب» (٦/ ١٩)، و«القاموس المحيط» (٢/ ١٩٩).
(٤) «لسان العرب» (٢/ ٥٣١)، و«القاموس المحيط (١/ ٢٣٨).

....

مهزول: مُنْحَلٌ، فهُوَ اسـمُ مَفعُولٍ تَامٌّ مِنْ فِعـلٍ مُتَعَدٍّ هُوَ «هَزَل» إذْ يُقَالُ قَولًا جَاريًـا عـلى قَانـونِ اللّغةِ «هَزَلْتُه أنـا أهْزِلُه[1] هَـزْلًا»، مِنْ حَـدِّ «ضَرَبَ»، في الوَزْنِ -مَاضِيًا ومُضَارِعًا - وفي التّعدِّي. وقدْ يَأتي «هَزَلَ» لَازِمًا ومُضَارِعُهُ «يَهْزِلُ» بِكَسْرِ العَينِ أيضًا، وله مَعنيَان:

الأوَّل: هَزَلَ الرّجُلُ في الأمْر، إذا لم يَجِدَّ.

الثَّاني: هزَلَ الرَّجُل هَزْلًا: افْتَقَرَ[2].



(١) «لسان العرب» (١١/ ٦٩٦).

(٢) المرجع السّابق.

٢٠- حَرْفٌ أَخُوهَا أَبُوهَا مِنْ مُهَجَّنةٍ ... وعَمُّها خالُهَا قَوْدَاءُ شِمْلِيلُ

أوّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

حرفٌ: اسمٌ مرفوعٌ لأَنَّه خَبَرٌ لِـمبتدإٍ محذوفٍ، تقديره «هي».

أخوها أبوها: «أخوها» أخو: مبتدأٌ مرفوعٌ وعلامةُ رفعِه «الواوُ»، و«أخو» مضافٌ. و«ها» مضافٌ إليه مبنيٌّ على السُّكونِ في محلِّ جرٍّ. «أبوها» أبو خبرُ المبتدإِ مرفوعٌ وعلامةُ رفعِه «الـوَاوُ». و«أبو» مُضَافٌ. و«ها» مضافٌ إليه مَبنيٌّ على السُّكُونِ فِي مَحَلِّ جرٍّ، وجملة «أخوها أبوها» في محلِّ رفعٍ خبرٌ ثانٍ للمبتدإ الأوَّلِ الـمحذوفِ.

مِن مُهجَّنةٍ: «مِن» حرفُ جرٍّ لابتداءِ الغَايَةِ. «مُهَجَّنَةٍ» مجرورٌ بـ«من»، وشبهُ الجُمْلةِ أي الجارُّ والـمَجرورُ في محلِّ نَصْبٍ حالٌ مِنَ المبتدإِ المقدَّرِ الـمَحذُوفِ.

وعمُّها خالُها: «الواوُ» حرفُ عطفٍ. «عمُّها» عمُّ: مبتدأٌ مرفوعٌ، و«عمُّ» مضافٌ. و«ها» مضافٌ إليه في محلِّ جرٍّ. «خالُها» خالُ: خبرُ المبتدإِ مرفوعٌ، و«خال» مضافٌ. «ها» مضافٌ إليه في محلِّ جرٍّ. وجُمْلَةُ «عمُّها خالُها» معطوفةٌ على جملةِ الخَبَرِ الثّانِي «أخوها أبوها» في محلِّ رفعٍ.

قَوداءُ: خبرٌ ثالثٌ للمبتدإِ المقدَّرِ مرفوعٌ.

شمليلُ: خبرٌ رابعٌ مرفوعٌ.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

حرفٌ: «نَاقَةٌ». ولا يقال للجمَلِ «حَرفٌ» بل هو خَاصٌّ بالأنثَى، وهو وَصْفٌ للنَّاقَةِ النَّجِيبَةِ المَاضِيَةِ الَّتِي أَنْضَتْهَا الأَسْفَارُ، قال أهلُ اللُّغةِ «شُبِّهتْ بِحَرْفِ السَّيفِ في مَضَائِهَا ونَجَائِهَا ودِقَّتِهَا» [١].

أخوها أبوها: اختُلِفَ في المرادِ منه على قولينِ:

الأوَّل: لِأَبي مَنْصُورٍ الأَزْهَرِيِّ فَقَدْ قَال: «هذهِ نَاقَةٌ ضَرَبَهَا أَبُوهَا ليس أَخُوهَا فَجَاءَتْ بِذَكَرٍ، ثُمَّ ضَرَبَهَا ثَانِيَةً فجاءتْ بِذَكَرٍ آخرَ فالولَدَانِ ابْنَاهَا لِأَنَّهُمَا وُلِدَا مِنْهَا، وهُمَا أَخَوَاها أَيضًا لأبيها لأَنَّهما وَلَدا أَبيها، ثُمَّ ضَرَبَ أَحَدُ الأَخَوينِ الأمَّ، فَجَاءَتْ الأمُّ بِهَذِهِ النَّاقَةِ وهي الحَرْفُ، فَأَبُوهَا أَخُوهَا لِأَبِيها لِأَنَّه وُلِدَ مِنْ أُمِّها، والأخُ الآخَرُ الّذِي لَمْ يَضْرِبْ عَمُّها لِأَنَّه أخو أَبِيها، وهو خالُها لأنّه أخو أُمِّها لِأَبِيهَا، لِأَنَّه مِن أَبِيهَا وأَبُوهُ نَزَا عَلَى أُمِّه» [٢]. اهـ.

القولُ الثَّاني: لِلمُفَضَّلِ: «هذا جَمَلٌ نَزَا عَلَى أُمِّه، ولها ابنٌ آخرُ هو أخو هذا الجَمَلِ، فوَضَعَتْ نَاقةً فَهَذِهِ النَّاقَةُ الثَّانِيَةُ هي الموصوفةُ، فصَارَ أَحَدُهما أَبَاهَا، لأنَّه وَطِئَ أُمَّهَا، وصَارَ هُو أَخَاهَا لأنَّ أمَّها وَضَعَتْهُ، وصار الآخَرُ عَمَّها لأنّه أخو أَبِيهَا، وصار هو خَالَها لأنّه أخو أمِّهَا، قال ثَعْلَبٌ: وهذا هو القَولُ» [٣]. اهـ. قال بعضُ

(١) «تهذيب اللّغة» لأبي منصور الأزهريِّ (٥/ ١٤ - ١٥).
(٢) «تهذيب اللُّغة» للأزهريّ (٦/ ٦١).
(٣) «لسان العرب» (١٣/ ٤٣٢).

العلماءِ: «قولُ المُفَضَّل: (وَصارَ هو خالَهَا) هذا لا يَتِمُّ إلَّا إنْ رُوعِيَ أنَّ جَمَلًا نَزَا على ابنَتِه فَخَلَفَ مِنْهَا هذين الجَمَلَيْنِ». وعليه فقولُ الأَزْهَرِيِّ أَمْثَلُ.

مِنْ مُهَجَّنَةٍ: أي مِن الهِجَان، وهي البِيضُ الكِرَامُ مِنَ الإبلِ[1]، وقدْ حَصَلَ ذلك مِن صيغةِ «مُهَجَّنَة»، الّتي هي اسمُ مفعولٍ لِلفِعلِ المَأخُوذِ مِن لَفظِ «الهِجَان»، على وَزْنِ «فَعَّل» لإفادةِ نِسبةِ المَفعُولِ إلى ما اشتُقَّ الفِعْلُ مِنهُ، على مَا تَقَرَّرَ فِي فَنِّ الصَّرْفِ، وأَشارَ إليه العَلَّامَة الصَّبَّان نَقْلًا عنِ الدَّمَامِينيّ رَحِمَهُمَاٱللَّهُ[2]. و«الهِجَانُ» يقعُ على الواحدِ والجمعِ فتَقُولُ «بَعيرٌ هِجَان» و«إبلٌ هِجَان». والسِّرُّ في ذلك مِن جِهَةِ علمِ الصَّرفِ ما أفادَ سِيبويْهِ بِقَولِه: «إنَّ وَزْنَ «فِعَالٍ» في «هِجَانٍ» جَمْعًا كَوَزْنِ «فَعِيل» مُفْرَدًا في نَحْوِ «ظَرِيف»، أَشْبَهَ هذا الجَمْعُ ذلك المفرَدَ في اللّفظِ فِي أنَّ كُلًّا ثُلاثيُّ الأصولِ، وأنَّ الزِّيادَةَ قَبْلَ الأَخِيرِ، وأنَّ عَدَدَ الحروفِ مُتَّحِدٌ، فَتَشَارَكَا في الأَحْكَام فَجَمَعُوا «فَعِيلًا» على «فِعَال» في «ظَرِيف»، وَوَحَّدُوا «فِعَالًا» في «هِجَان» مُوَافِقًا لِلَفْظِ «فَعِيل»، وجَمَعُوا «هِجَانًا» مُوَافِقًا لِجَمْعِ «فَعِيل». فليس «هِجَان» كالمَصَادِرِ الّتي وُصِفَ بها، نحو «ضَيْفٍ» و«جُنُبٍ» و«زَوْرٍ» ومَا أَشْبَهَهَا، لأنَّك تَقُولُ «هِجَانَان» فتُثَنِّيه، فَإِذَا أمْكَنَتْ تَثْنِيةُ «هِجَان» أَمْكَنَ جَمْعُه، ففَارَقَتْ تِلكَ المَصَادِرَ الّتي لا تُثَنَّى ولا تُجْمَعُ»[3]. انتهى كلامُه رَحِمَهُٱللَّهُ.

---

(١) «القاموس المحيط» (٤/ ٢٧٧)، و«لسان العرب» (١٣/ ٤٣٣)، و«خزانة الأدب» (٥/ ٢٠١).

(٢) «حاشية الصّبّان» على شرح الأشمونيّ (٤/ ٢٤٤).

(٣) «كتاب سيبويه» (٣/ ٦٣٩ - ٦٤٠)، بتحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون. دار الجيل - بيروت -.

وعمُّها خالُها: تقدَّم بيانُه فأَغْنَانَا عَنِ الإِعَادَةِ.

قَـودَاء: مُذكَّـر «أَقْـوَد»، وصـفٌ للطَّويلِ العُنُـقِ والظَّهْـرِ مِنَ الإبـلِ والنَّاسِ والـدَوابّ. فـ «القـوداء» الطَّويلة[1]. وفُسِّر بالذَّلُـولِ الـمُنقَـادةِ[2]. وهو خلافُ ما تواترَ نقلُه مِن جمهورِ أهلِ اللُّغةِ عنِ العربِ.

شِمْلِيلُ: خَفِيفَةٌ سَرِيعَةٌ. والفِعْلُ «شَمْلَلَ» إذا أَسْرَعَ في السَّيرِ كَثِيرًا[3]. وقد ذَكَرَ محمّدُ بنُ الطَّيِّب الفَاسِيّ أنّه مِن «شَمِل»[4]. اهـ. قُلْتُ: وهو كذلك، على مَا تَقَرَّرَ فِي فَنِّ الصّرفِ مِن إلحـاقِ الفعلِ الثّلاثيّ بِالرُّبَاعِيِّ فِـي الوَزْنِ وعَـدَدِ الحُرُوفِ بِتكْرِيرِ اللَّامِ، وهو الإلْحَاقُ الـمُطَّرِدُ عندَ الصَّرْفِيِّينَ، عَلَى ما حَكَاهُ ابنُ جِنِّيٍّ[5] عَنْ أَبِي عُثْمَانَ الـمَازِنِيِّ رَحِمَهُمَاٱللَّهُ. والوَصْفُ مِن «شَـمْلَلَ» عَلى وَزْنِ «فِعْلِيل» للإكْثَـارِ والـمُبَالَغَةِ، ونَظِيرُه في كلامِ العَـرَبِ «رِعْدِيد» و«غِرْبِيـب» الأوّلُ لِلْجَبَانِ الكَثِيرِ الارْتِعَادِ[6]، والثّاني لِلشَّـدِيدِ السَّوَادِ[7]، وفِعْلُهما «رَعْدَدَ» و«غَرْبَبَ». ولَـمَّا كَانَ الإلْحَاقُ فِي نَحْوِ «شَـمْلَلَ» مُطَّرِدًا كان هذا الوصْفُ الـمَأْخُوذُ منه سـائغًا لِانْبنَائِـهِ عَلَى أَصْلٍ مُطَّرِدٍ،

---

(١) «لسان العرب» (٣/ ٣٧١).

(٢) «أقربُ الموارد إلى فُصَح العربيّة والشّوارد» (٢/ ١٠٥٠).

(٣) «القاموس المحيط» (٣/ ٤٠٣)، و«لسان العرب» (١١/ ٣٧١).

(٤) «فيض نشـر الانشـراح مِـنْ رَوْض طيِّ الاقتراح» تأليف الإمام اللُّغويّ المحدّث أبي عبد الله محمّد الطّيِّب الفاسيّ (٢/ ٨٢٣). الطّبعة الأولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

(٥) «الخصائص» لابن جنّيّ (١/ ٣٥٨).

(٦) «لسان العرب» (٣/ ١٧٩).

(٧) يقال: أَسْوَدُ غِرْبِيبٌ حالِكٌ، وأمّا «غرابيبُ سُودٌ» فـ «السُّود» بدلٌ لأنَّ توكيدَ الألوانِ لا يتقدَّمُ. «القاموس المحيط» (١/ ١١٠).

وهـذا معنـى قولِ أبي عليٍّ الفَـارِسِيِّ عَلَى مَا حَكَاهُ عنْه تِلميذُه ابـنُ جِنِّيٍّ بِقَولِه: «قال أبو عليّ وقْتَ القِرَاءَةِ عَلَيهِ كِتَابَ أَبِي عثمانَ: لَو شَـاءَ شَـاعِرٌ أو سَـاجِعٌ أو مُتَّسِعٌ أنْ يَبْنِيَ بِإِلْحَاقِ اللّامِ اسْمًا وفِعْلًا وصِفَةً لجَازَ، ولَكَانَ ذَلكَ مِنْ كَلَامِ العَرَبِ»[1]. اهـ



(١) «الخصائص» لابن جنّيّ (١/ ٣٥٨).

٢١- يَمْشِي القُرادُ عليها ثُمَّ يُزْلِقُهُ مِـنْهَـا لَـبَـانٌ وَأَقْـــرَابٌ زَهَـالِـيـلُ

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

يَمْشِـي: فعلٌ مضارعٌ معلومٌ مرفوعٌ، وعلامةُ رفعِه ضمّةٌ مقدَّرةٌ على الياءِ مَنَعَ مِن ظهورِها الثِّقلُ.

القُرادُ: فاعلُ «يمشي»، مرفوعٌ.

عليها: جارٌّ ومجرورٌ متعلِّقان بـ«يمشي». و «على» لِلاسْتِعْلَاءِ.

ثُمَّ يُزْلِقُه: «ثمَّ» حرفُ عطفٍ، مَبْنِيٌّ عَلَى الفتحِ لا محلَّ له مِنَ الإعرابِ. «يُزلِقُه» يُزْلِقُ: فعلٌ مضارعٌ معلومٌ، مرفوعٌ معطوفٌ على المرفوعِ قَبْلَهُ. و«هاء» الضَّميرِ مَبْنيٌّ على الضَّمِّ في مَحَلِّ نَصْبٍ، مَفعولٌ به.

منها: «مِن» حرفُ جرٍّ لابتداءِ الغَايَةِ المَكَانِيَّةِ. و«ها» ضميرٌ يعودُ إلى «حرف النَّاقة»، مبنيٌّ على السُّكُونِ في مَحَلِّ جَرٍّ بـ«مِن»، والجارُّ والمجرورُ مُتَعَلِّقَان بـ«يُزْلِقُ».

لَبَانٌ: فاعلُ «يُزْلِقُ» مرفوعٌ.

وأقرابٌ: «الواوُ» حرفُ عطفٍ. «أَقرَابٌ» اسمٌ مَعْطُوفٌ على «لَبَانٌ» تَابِعٌ لَهُ في رَفْعِه.

زهاليل: نعتٌ لـ «أَقْرابٌ» مرفوعٌ.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

القُرادُ: هو «الطِّلْحُ» الّذي تَقَدَّمَ ذِكْرُه في البيتِ التّاسِعِ عَشَرَ. فبَيْنَهُما تَرادُفٌ.

يُزْلِقُه: يُزِلُّه. مضارعُ «أَزْلَقَ» بمعنَى «أَزَلَّ».

لَبَانٌ: صَدْرٌ، أو وَسَطُه[١].

أَقْـرابٌ[٢]: خَـوَاصِرُ. ومنـه قـولُ رُؤْبَةَ بـنِ العَجَّـاجِ في وصفِ أُتُنٍ وحشِـيَّةٍ: «لواحِـق الأَقْرَاب فيهـا كالمَقَق»[٣] أي ضَوَامِرُ الخَـوَاصِرِ. و«الـمقَق» مَصْدَرُ «مَقَّ» عـلى وَزْنِ «فَعِلَ»، مَعْنَـاهُ «الطُّولُ البَيِّنُ»[٤]. و«الكافُ» في قولـه «كالـمَقَـق» زائدةٌ لِلتَّوكِيدِ[٥]، والأصلُ «فِيها الـمقَـقُ». ومفردُ «أقراب»: قُرْبٌ وقُرُبٌ.

زَهَالِيلُ: مُلْسٌ. ومُفرَدُه «زُهْلُول»، وقد جَاءَ في «لَاميَّة الشَّنفرَى»:

وَلِـي دُونَـكُـم أَهْـلُـونَ سِـيدٌ عَمَلَّسٌ ... وأَرْقَـطُ زُهْـلُـولٌ وعَـرْفـاءُ جَـيْـأَلُ

الشّاهِدُ: «زُهْلُولٌ» أَملَسُ نَاعِمٌ[٦].

❁ ❁ ❁

---

(١) «القاموس المحيط» (٤/ ٢٦٥).

(٢) جمعُ: قُرْبٍ بضمِّ القاف وسُكون الرَّاء، أو بضمِّ القاف والرَّاء، هو مِنَ الشَّاكلة إلى مَرَاقِّ البَطْنِ. «لسان العرب» (١/ ٦٦٨).

(٣) «لسان العرب» (١٠/ ٣٤٦).

(٤) «القاموس المحيط» (٣/ ٢٨٣)، و«لسان العرب» (١٠/ ٣٤٦).

(٥) المسـائل الـمُشْـكِلَةُ المعروف بـ«البغداديّات» لأبي عليّ النّحـويِّ ص (٣٩٩ - ٤٠٠). مطبعة العاني - بغداد -.

(٦) «لسان العرب» (١١/ ٣١٣).

٢٢- عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ بِالنَّحْضِ عَنْ عُرُض   مِرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الـزَّوْرِ مَفْتُولُ

أَوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

عَيْرَانةٌ: خبرٌ لمبتدإٍ محذوفٍ تقديرُه «هي».

قُذِفَتْ: فِعلٌ ماضٍ مجهولٌ، مبنيٌّ على الفتحِ. و«التّاءُ» للتّأنيثِ، ونائبُ فاعلِه ضَمِيرٌ مُستتِرٌ فيه جَوَازًا تَقديرُه «هي» يَعودُ إلى «عَيْرانة».

بالنَّحضِ: جارٌّ ومجرورٌ تَعَلَّقَا بـ«قُذِفَتْ».

عن عُرُض: جارٌّ ومجرورٌ، و«عن» مُرَادِفَةٌ لـ«مِن». والجارُّ والمجرورُ في محلِّ نصبٍ حالٌ مِن الضَّميرِ الـمُسْتَتِرِ في «قُذِفَتْ»، وهما مَعْمُولانِ لـ«قُذِفَتْ» لِتَعَلُّقِهِمَا بِهِ. وجملةُ «قُذِفَتْ بالنَّحْضِ» في محلِّ رفعٍ خبرٌ ثالثٌ للمبتدإ.

مِرْفقُها: «مِرْفَقُ» مبتدأٌ مرفوعٌ، وهو مضافٌ. و«ها» ضميرٌ مبنيٌّ على السُّكُونِ في مَحَلِّ جَرٍّ، مضافٌ إليه.

عن بَنَاتِ الزّورِ: «عن» حرفُ جرٍّ بِمَعْنَى «الـمُجَاوَزَة». «بنات» اسمٌ مجرورٌ بـ«عن»، و«بنات» مضافٌ. و«الزّورِ» مضافٌ إليه مجرورٌ، والجارُّ والمجرورُ مُتعلِّقان بـ«مفتول» الآتي بَعْدَهما.

مفتول: خبرُ المبتدإ مرفوعٌ. وجملةُ «مرفقها عن بنات الزّور مفتول»، في محلِّ رفعٍ خبرٌ ثالثٌ للمبتدإ الـمُقَدَّرِ الـمَحذُوفِ في أوَّلِ البَيتِ.

....

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

عَيْرَانَـةٌ: نَاجِيَةٌ نشـيطةٌ صُلبةٌ، أَشَـارَ الفَيرُوزْأَبَادِيُّ إلى هذا المعنَـى لِهَذَا اللَّفظِ في كَلَامِ العَـرَبِ(١). والألـفُ والنُّونُ زَائدتَانِ، لأنَّ «العَيْرَ» هـو الحِمَارُ، وغَلَبَ على الوَحـشِيِّ في الاسْـتِعْمَالِ، ومُؤَنَّثُه «عَـيْرَةٌ»، فـ«التّاءُ» في «عَـيرة» و«عَيرانةٍ» للتّأنيثِ، وهُمَـا اسْـمَانِ جَامِدَانِ فَلَحَـاقُ هَذِهِ التَّـاءِ بِهِمَا سَـمَاعِيٌّ، بِخِلافِ الأوصافِ المُشْـتَقَّةِ كـ«مُسْـلِم»، فَلَحَاقُ التَّاءِ بها قِيَاسِيٌّ لِلفَرْقِ بينَ الـمُذكَّرِ والـمُؤنَّثِ. أشـارَ إلى ذلك الأَشْمُونيُّ(٢)، وغَيرُه مِنَ النُّحاةِ.

قُذِفَـتْ: رُمِيَتْ بقُوَةٍ، لِدَلَالَةِ هَذِهِ الـمَادَّةِ على هذا المعنى في كلام العربِ، قال تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الأحزاب: ٢٦]. فقـولُ كعـبٍ في ناقتِه «قُذِفَتْ بالنَّحضِ» أي رُمِيَتْ بالنَّحْضِ، لِقولِ العربِ: قُذِفَتِ النَّاقةُ باللَّحْمِ قَذْفًا وَلُدِسَـتْ به لَدْسًـا، كأَنَّها رُمِيَتْ به رَمْيًا فأَكْثَرَتْ منه(٣).

النَّحضُ: اللّحمُ الـمُكْتَنِزُ(٤).

---

(١) «القاموس المحيط» (٢/ ٩٨).

(٢) «شرح الأشمونيّ لألفيّة ابن مالكٍ» مع حاشية الصَّبَّان عليه وشرح الشّواهد للعَيني (٤/ ٩٦-٩٧).

(٣) «لسان العرب» (٩/ ٢٧٧)، و«القاموس المحيط» (٣/ ١٨٣).

(٤) «القاموس المحيط» (٢/ ٣٤٥)، و«الكامل» للمبرِّد (٢/ ١٠٢٣).

....

عنْ عُرُض: أيْ عنْ جانبٍ قريبٍ منها؛ يَعْتَرِضُك هذا النَّحضُ منها. و«عُرُض» بضَمّتَين، أو ضمٍّ فسُكُونٍ كما قال ثَعْلَب[١] وغيرُه[٢]. وجاء لفظُ «عُرض» بهذا المعنى في قولِ غَيلانَ:

فَتَارَةً يَخِضُ الأعْنَاقَ عَنْ عُرُضٍ وَخْضًا وتُنْتَظَمُ الأسْحَارُ والحُجُبُ[٣] اهـ

مِرْفَق: كـ «مِنْبَر»، و«مَرْفِق» كـ «مَجْلِس»، لُغتَان في هذا اللّفظِ، والمعنَى واحدٌ هو «مَفْصِلُ الذِّرَاعِ مِنَ العَضُد».

بنات الزَّور: «الزَّور» وَسَطُ الصَّدْرِ[٤]. و«أل» في «الزَّور» عِوَضٌ عنِ الضَّميرِ «الهاءِ» المضافِ إليه، والتَّقديرُ «عنْ بَناتِ زَوْرِها»، ويَقْصِدُ بـ «البَنَاتِ» مَا حَوَالَي الزَّورِ مِنْ أَضْلَاعٍ، فقولُه «بَنَات الزَّور» جَارٍ على طَرِيقَةِ العَرَبِ مِن إضَافَةِ لَفْظِ «بِنْتٍ» مَفْرَدًا، أو «بَنَاتٍ» جَمْعًا إلَى اسْمِ جِنْسٍ مُفْرَدٍ غيرِ الدَّهْرِ، لِلدَّلالةِ على أنَّ «بنتًا» أو «بنات» شيءٌ أو أشياءُ تَصْدُرُ مِنْ ذَلِكَ الـمُضَافِ إليه، أو هي فِيه، فيَقُولُونَ «بِنْتُ شَفةٍ»، يَقْصِدُون: الكلِمَةَ، لأنَّها تَخرُجُ منها. ويُضيفون «بنات» إلى اسمِ جنسٍ، يَكْنُونَ بذلك عنْ أشياءَ مُعَيَّنَةٍ معروفٍ صُدُورُها ووُجودُها في ذلك الاسمِ، نحوُ «بناتٍ» مضافًا إلى «الماء» في قولِ الأَخْطَل:

---

(١) «مجالس ثعلب» لأبي العبَّاس أحمدَ بنِ يحيى ثعلب، القسم الثّاني، ص: (٥٢٠). الطّبعة الثّانية، دار المعارف مصر.
(٢) «القاموس المحيط» (٢/ ٣٣٥).
(٣) «ديوان ذي الرُّمَّة» بشرح الباهليّ (١/ ١٠٦).
(٤) «القاموس المحيط» (٢/ ٤٢).

كأنَّ بَنَاتِ الماءِ في حَجَرَاتِه   أبَارِيقُ أَهْدَتْها دِيَافٌ لِصَرْخَدا[(١)] اهـ

فـ «بناتُ الماء» كِنايةٌ عن طُيورٍ في الماءِ. وما في قولِ غَيْلانَ ذي الرُّمَّة:

خَرَاعِيبُ أُمْلُودٌ كأنَّ بَنَانَهَا   بناتُ النَّقا تَخْفى مِرَارًا وتَظْهَرُ[(٢)] اهـ

فـ «بنات النَّقا» يُريدُ بها دوابَّ مِثْلَ العَظَاةِ بِيْضًا يَكُنَّ في النَّقا وهو الرَّمْلُ، فشَبَّه الأصابعَ بِهَا. وقولُه «خَرَاعيبُ»: طَويلاتٌ، مُفْرَدُه «خُرْعوبةٌ». و«أُمْلُود» ناعمٌ. وما في قول غَيلانَ ذي الرُّمَّةِ أيضًا:

طاوي الحَشَا قَصَّرَتْ عَنهُ مُحَرَّجَةٌ   مُستَوْفَضٌ مِنْ بَنَاتِ القَفْرِ مَشْهُوم[(٣)]

محلُّ الشَّاهد قولُه: «بنات القَفْر» معناه: الوُحوشُ، لأنَّ القفر، بفتحِ القافِ: الفَلاةُ. وبَنَاتُها ما يكون فيها مِنْ هذه الوُحُوشِ. فَغَيلَانُ يَصِفُ في هذا البيتِ ثَورًا وَحْشِيًّا بِأنَّه ضَامِرُ الحَشَا وهو المِعَى. أَعيَتْ وعَجَزَتْ كلابٌ مُشْلاةٌ به أنْ تَلْحَقْنَهُ، وهي مُعَلَّمَةٌ في أَعْناقِهَا بالوَدَعِ وهو الحَرَج، فقال: مُحَرَّجَةٌ. وأنَّ هذا الثَّورَ الوَحْشِيَّ مُسْرِعٌ، وهو معنى قولِه: مُسْتَوْفِضٌ. مَذعورٌ مُفْزَعٌ، وهو معنى قولِه: مَشْهومٌ. وما في قولِ أُمَيَّةَ بنِ أبي عائذٍ الهُذَليِّ:

فَسَبَتْ بَنَاتِ القَلبِ فَهْيَ رهائِنُ   بِخِبَائِهَا كالطَّيرِ في الأقفاصِ[(٤)] اهـ

---

(١) «شعر الأخطل»، ص: (٢٢٢).
(٢) «ديوان ذي الرُّمَّة» بشرح الباهليّ (٢/ ٦٢٢). الطّبعة الثّالثةُ (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
(٣) «ديوان ذي الرُّمَة» بشرح أبي نصر الباهليّ صاحبِ الأَصْمَعِيّ (١/ ٤٣٠).
(٤) «لسان العرب» (١٤/ ٩٣).

إنَّما عنى بـ «بنات القلب» طَوَائِفَهُ[١].

وإذا أضافُوا «بِنْتًا» أو «بَنَاتٍ» إلى «الدَّهْرِ». كَانَ الـمَعْنِيُّ بِمعنَى «بِنْت» المُصيبَةُ أو النَّازِلَةُ. وكان المعنِيُّ بـ «بَنَات» النَّوائبُ أو المصائبُ. قال الـمُتَنَبِّي:

أبِنْتَ الدَّهْرِ عِندِي كُلُّ بِنْتٍ فكيفَ وَصَلْتِ أنتِ مِن الزِّحَامِ[٢]

فـ «بنتُ الدّهر» الَّتي ناداها هي الـمُصيبةُ الَّتي نزلتْ به.

وقال الأخْطَلُ:

ومــا يَبْقـى عـلى الأيَّــامِ إلا بَنَاتُ الدَّهـرِ والكَلِمُ العَقُور[٣] اهـ

الشَّاهدُ: بَنَاتُ الدَّهْر. المرادُ بها النّوازلُ.

وقال الـمُرار بنُ مُنْقِذ:

بـنـاتُ الـدَّهْـرِ لا يَحْـفِـلْـنَ مَحْـلا إذا لَمْ تَبْـقَ سَائمَـةٌ بَقِينَا[٤] اهـ

«بنـاتُ الدَّهْرِ لا يَحْفِلْنَ مَحْلًا» أيْ لا يَكْشِـفْنَ جَدْبًا، مِنْ «حَفِلَ الشَّيءَ» بِمَعْنَى جَلَاهُ[٥].

---

(١) المرجع السّابق.

(٢) «شرح ديوان المتنبّي» (٤/ ٢٧٧) وضعه عبد الرّحمن البَرْقوقيّ. مطبعة السّعادة بمصر.

(٣) «شعر الأخطل»، ص: (١٩٧).

(٤) «شرح اختيـارات المُفَضَّـل» للتّبريـزيّ (١/ ٣٥٩). الطّبعةُ الثّانية - بـيروت - (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م). دار الكتب العلميّة.

(٥) «لسان العرب» (١١/ ١٥٨). دار صادر - بيروت -.

....

مَفتُول: اسـمُ مفعولٍ للفِعْـلِ «فتَلَ» الـمُتَعَدِّي بِمَعْنَى «لَـوَى»، واللَّيُّ لِلْحَبْلِ وغيرِه، ويُريدُ كَعْبٌ أنَّ مِرْفَقَ ناقَتِه مَثْنِيٌّ عَنْ جَنْبَيْهَا.



٢٣- كَأَنَّمَا فَاتَ عَينَيهَا ومَذْبَحَها   مِنْ خَطْمِهَا ومِنَ اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيلُ

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

كأنَّما: أصلُه «كَأَنّ» حرفُ تشبيهٍ مُؤَكِّد مِن أَخواتِ «إنَّ»، كُفَّ عَنِ العَمَلِ بِدُخُولِ «مَا» الكَافَّةِ عليه، فلمْ يَخْتَصَّ بِالدُّخُولِ على الاسمِ، بلْ يَدخُل على الفِعْلِ أيضًا.

فَاتَ: فعْلٌ مَاضٍ مَعْلُومٌ، مَبْنِيٌّ على الفتحِ.

عَيْنَيْهَا: «عَيْنَي» مَفعولٌ به مَنْصُوبٌ، وعلامةُ نَصْبِهِ اليَاءُ، وحُذِفتْ نونُ التَّثْنِيَةِ للإضَافَةِ، عَلَى مَا تَقَرَّرَ فِي علمِ النَّحوِ، وإليهِ أَشَارَ ابنُ مالك في «الخُلاصَة» بِقوله:

نُونًا تَلِي الإعرَابَ أو تَنْوِينًا   مِمَّا تُضِيفُ احذِفْ كَطُورِ سِيْنا

و«عَينَي» مضافٌ. و«ها» مضافٌ إليه مَبْنِيٌّ عَلَى السُّكونِ فِي مَحَلِّ جرٍّ.

ومذبَحَها: «الواوُ» حرفُ عَطْفٍ. «مَذْبَحَ» معطوفٌ على المَنْصُوبِ قَبْلَه فهو منصوبٌ، و«مذبحَ» مُضَافٌ. و«ها» مُضَافٌ إليه في مَحَلِّ جرٍّ.

مِنْ خَطْمِها: «مِنْ» حرفُ جرٍّ لابتداء الغايةِ المَكَانِيَّةِ، فـ«مِنْ» بيانيّةٌ. «خَطْم» اسمٌ مجرورٌ بـ«مِنْ»، وهو مضافٌ. و«ها» ضميرٌ مَبْنِيٌّ عَلَى السّكونِ في محلِّ جرٍّ مضافٌ إليه.

ومِنْ اللَّحْيَيْن: «الواوُ» حرفُ عطفٍ. «مِن» حَرْفُ جرٍّ مثلُ السَّابِقِ. «اللَّحيَيْن» اسمٌ مجرورٌ بـ«مِنْ»، وعلامةُ جرِّه الياءُ نيابةً عن الكسرةِ لأَنَّه مُثَنًّى، و«الألفُ واللّامُ» مِن «اللَّحيَينِ» عِوَضٌ عن «ها» الضّميرِ المُضَافِ إليه المَحْذُوفِ، والتَّقْديرُ «ومِن لَحْيَيْها». أشارَ إلى حذفِ المُضافِ إليه المعرفةِ، إذا كان ضميرًا وإنابةِ «أل» عنهُ في

....

الـمُضافِ شيخُ مشايخِنا في قُطْرِ شِنقيطَ العلاَّمة المختارُ بنُ بونه الجَكَنيّ الشِّنقيطيّ في «الجامع بين التَّسهيلِ والخُلَاصَة المانع مِنَ الحشو والخصاصَة»(١) بقوله:

وجَـوِّزْ انْ يَـنُـوبَ فِي غَـيـرِ صِـلَـهْ   مَـقَـامَ مُـضْـمَـرٍ وبَـعْـضٌ حَـظَـلَـهْ

وشبهُ الجملة «مِن خطْمِها» وما عُطِفَ عليه في محلِّ نصبٍ حالٌ مِن «بِرْطِيل»، والعاملُ في الحالِ «فات»، لِتَعَلُّق شبهِ الجُملَةِ بِهِ.

بِرْطِيـل: فَاعل «فَـاتَ» مرفوعٌ. وجملـةُ «كَأَنَّما فـاتَ بِرْطِيلٌ عَينَيْهَـا ومَذْبحها مِـن خَطْمِهَـا ومِنَ اللَّحيَـيْنِ» في موضعِ رفعٍ نَعْـتٌ لـ «عَيرَانـة»(٢)، لأنَّ الجُمَلَ بعدَ النَّكِراتِ صفاتٌ.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

فات: تقدَّمَ وسبَقَ، أي «كأنَّما تقدَّم عَيْنَيَها ومذبحها بِرْطيلٌ، مُوازٍ صُورَةَ الخَطْم واللَّحيَيْن».

مذبحها: «المذبح» مكانُ الذَّبحِ وهو الـمَنْحَر في أَعَلَى الصَّدْرِ منها.

مِن خَطْمِها: «الخَطْم» مُقَدَّم أنفِها وفَمِها.

---

(١) في أَلْفَـيْ بيـتٍ في النّحوِ والصّرف: أَلْفٍ لابن مالكٍ، وألفٍ لابن بونه، نَظَمها من «التَّسـهيل» وغيـرِه وخلَطَهـا في خُلاصَةِ ابن مالك، وسـمّى الألفيَّتَينِ: «الجامع بين التّسـهيل والخلاصة» وتَحدُّثًـا بنعمـةِ الله أقولُ: قـرأْتُ هذا الكتابَ كلَّه على شـيخِنَا أحمدَ محمّد الحَسَـنِيِّ الشّـنقيطيّ بالمدينـة النّبويَّة. وأنهيتُ قراءتَـه عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتاريخ (٢٨/ ٠٩ / ١٤١٧هـ) بعد صلاةِ الظُّهرِ يومَ الخميسِ في بيتِه. ولله الحمدُ والـمنّةُ.

(٢) المتقدّم في أوّل البيت الثّاني والعشرين.

....

اللَّحْيَيْن: تثنيةُ «اللَّحي»، وهو عَظْمُ الحَنَكِ الَّذِي عَليه الأَسْنَان.

بِرْطِيل: قال أبو عَمْرو بنُ العلاءِ: «هو حَجَرٌ مُستَطِيلٌ عَظِيمٌ شُبِّهَ بِهِ رَأْسُ النَّاقَةِ»[١].

وقَدِ استَعْمَل البُحتُرِيُّ لفظَ «بِرْطِيل» في معنَى «الرِّشْوَة» مُجَارِيًا لِلْعَوَامِّ في ذلك في قوله:

ورُحِضَتْ[٢] قَنَّسْرِينُ حتَّى أُنْقِيَتْ جَنَبَاتُها عَنْ ذلك البِرْطِيلِ

قال أبو العلاءِ المَعَرّي[٣] عند شَرحِ هذا البَيتِ: «البِرْطِيلُ الّذي تَستَعْمِلُه العامّةُ بِمَعنَى الرِّشوةِ لا يُعْرَفُ في الكلامِ القديمِ، ولا شكَّ أنَّ أبا عُبادةَ لم يَعْنِ إلَّا الكلمةَ العامِّيّةَ، والبِرْطيل في كلام العرب حَجَرٌ مُسْتَطِيل، وقولُ العَامَّةِ بِرطيلٌ يَجِبُ أنْ يَكُونَ مَأْخوذًا مِن هذا اللّفظِ، يُريدُون أنَّ الرِّشوةَ حَجَر قد رُمِيَ بها مَن يُخاصِمون»[٤]. اهـ.

تنبيه: ذكر صاحبُ «القاموس المُحيط»[٥] معانيَ أربعةً لـ «البِرْطيل» منها: الحَجَرُ والرِّشْوةُ، ولم يَذكُرِ الفرقَ بينهما كما فَعَلَ أبو العلاءِ[٦].

---

(١) «لسان العرب» (١١/ ٥١)، و«القاموس المحيط» (٣/ ٣٣٤).
(٢) «رُحِضَتْ» أي غُسِلَتْ، يقالُ «رَحَضَ فُلانٌ الثّوبَ» غَسَلَهُ فهو رحيضٌ ومرحوضٌ.
(٣) واسمه أحمد بن سُليمان. كما في مقدمة «القاموس» للفيروزأبادي.
(٤) «عَبَث الوليد» في الكلام على شعر أبي عُبادة الوليد بن عبيد البحتريّ. إملاء فيلسوفِ المَعَرَّة: أبي العَلاءِ، ص: (١٩٩). الطّبعة الثّامنة. دار الاتّحاد العربيّ للطّباعة.
(٥) في الجزء الثّالث، صحيفة ٣٣٤.
(٦) وهذه التّفْرِقةُ مِن أبي العلاء أَقْوَمُ وأَولى في العربيّة.

٢٤- تُمِرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلٍ   فِـي غَـارِزٍ لَـمْ تُخَـوِّنْـهُ الأَحَالِيلُ

أوّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

تُمِـرُّ: فعلٌ مضارعٌ معلومٌ، مرفوعٌ لِتجرُّده مِـن النَّواصب والجـوازم، وفاعلُه ضميرٌ مستترٌ فيه جوازًا تقديرُه «هي» يعود إلى «عَيرانة».

مِثلَ: اسمٌ منصوبٌ لأنّه مفعولٌ به وهو مضافٌ.

النَّخل: مضافٌ إليه مجرورٌ.

ذا: نعتٌ لـ «مثلَ»، منصوب، وعلامةُ نصبِهِ الألِفُ لأنّه مِن الأسـماءِ السّتَّةِ أو الخَمْسَـةِ الّتِـي عَلَامَةُ إعْرَابِهَا الحُـرُوفُ عندَ الجُمُهورِ، خِلَافًا لابـنِ عَقيل مِن شُرَّاح الألفيَّـة، القائـلِ بـأنَّ علامةَ إعرابِهـا حـركاتٌ مُقَدَّرةٌ في هـذه الحـروفِ[1]. و«ذا» مضافٌ.

خُصَل: مضافٌ إليه مجرورٌ.

في غَـارِزٍ: «في» حرف جرٍّ يفيدُ «الـمُصَاحَبَةَ» هنا، بِمَعْنَى «مَعَ». «غَارِز» اسـمٌ مَجْرُورٌ بـ «في»، والجارُّ والمجرورُ في محلِّ نَصْبٍ نَعْتٌ ثانٍ لـ «مثلَ».

لم تخوِّنـه الأحاليـل: «لم» حرفُ نَفْيٍ وجَـزْمٍ وقَلْب. «تُخَـوِّن» فعلٌ مضارعٌ معلومٌ مجزومٌ بـ «لم». و«الهاءُ» ضميرٌ متَّصِلٌ مبنيٌّ على الضّمِّ في محلِّ نَصْبٍ، مفعولٌ بـه. «الأحاليلُ» فاعلُ «تُخوِّن» مرفوعٌ، وجملـةُ «لم تُخَوِّنه الأحاليل» في محلِّ جرٍّ صفةٌ لـ «غَارِز».

---

(١) «شرح ابن عَقِيل» على ألفيّة ابن مالكٍ، ومعه حاشـية الخُضَريّ عليه (١/ ٧١). الطّبعة الأولى (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م). دار الكتُبِ العِلْميّة - بيروت - لبنان.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

تُمِرُّ: تُدِير فَتلْوِي.

مثلَ عَسِيب النخْل: أي مِثْلَ جَرِيدةِ النَّخْلِ[١]. فـ«مثلَ» نعتٌ لِمنعوتٍ محذوفٍ تقديرُه «ذَنَبًا مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْل»، فَحَذَفَ المَنعوتَ وأَقَامَ النَّعتَ مُقَامَه، على حدِّ قولِ ابنِ مالكٍ في «الخُلاصة»:

ومَا مِنَ المَنْعُوتِ والنَّعْتِ عُقِل ... يَجُوزُ حَذْفُه وفي النَّعتِ يَقِلْ

ذا خُصَل: أي «صاحبَ خُصَل». و«خُصَل» جمع «خُصْلَة» بضمِّ الخاءِ المُعْجَمَةِ: لَفِيفَةٌ أو طَاقَةٌ مِن الشَّعَرِ المُجْتَمع[٢].

في غَارِز: أي مَعَ ضَرْعٍ. و«غارِز» في الأصل وصفٌ للضِّرْع يقِلُّ اللَّبَنُ فِيهِ[٣]، فأُقِيمَ الوَصْف مُقامَ المَوصُوفِ فَأَصْبَحَ اسمَ جنسٍ عامًّا، كَما تَقَرَّرَ في عِلمِ النَّحو. قال النَاظمُ:

ورُبَما اسْتُغْنِيَ بِالنُّعوتِ عَنْ ... تَقْدِيرِ مَنْعُوتٍ وللتَّعْمِيمِ عنّ[٤]. اهـ

---

(١) المُستقيمة الدّقيقة يُكْشَطُ خُوصُها. «القاموس المحيط» (١/ ١٠٤)، و«لسان العرب» (١/ ٥٩٩).

(٢) «القاموس المحيط» (٣/ ٣٦٨)، و«لسان العرب» (١١/ ٢٠٧).

(٣) يقال «غَرَزَ الضَّرع» قلَّ لبَنُه، و«غَرَزَتْ النَّاقة» تَغْرُزُ غُرُوزًا وغرازًا: قلَّ لبَنُها. فيُسْنَدُ الفعلُ تارَةً إلى الضَّرْعِ محَلِّ اللَّبنِ، وتارة إلى الناقةِ صاحبَةِ الضَّرعِ، وهنا أُسْنِدَ إلى الضَّرْعِ. «القاموس المحيط» (٢/ ١٨٤)، و«لسان العرب» (٥/ ٣٨٦ - ٣٨٧)، و«مجالس ثعلب» القسم الثَّاني، ص: (٥٠٣).

(٤) هذا البيت من «الجامع» للمُختار بن بُونه، في النَّحو والصَّرف، ص: (٢٢٩). الطّبعة الأولى =

....

لَمْ تُخَوِّنْـه الأَحَالِيلُ: «تُخَوِّنْه» تنقِّصه، «الأحاليل» جمعُ «إحليل»، وهو مَخرَج اللَّبـنِ مِـن الضَّرْع، فإذا لم يَنقُصْ ما في الضِّرْع مِن اللَّبن كان وفيرًا فيه، وذلك أقوى لها عَلَى السَّير. فالضَّميرُ في قوله « تُخَوِّنْه» يعودُ في ظاهرِ لفظِه إلى «غارز»، وفي معناه إلى مـا في «غارز» وهو اللَّبن، فيكونُ هذا العَوْدُ للضَّميرِ مِنْ قَبِيلِ «الاسْتِخْدَامِ» في علمِ البَدِيعِ، وهو أنْ يوجدَ لفظٌ له مَعْنيَانِ، وأُريدَ بِالضَّميرِ العَائِدِ إلى هذا اللَّفظ أحَدُ المَعنيَـيْنِ، وهو «اللَّبنُ» هنـا، دُونَ المَعْنَى الآخَرِ وهو «الغـارِز» الّذي هو «الضَّرْع»، ودَلَّ عَلَى إِرَادَةِ اللَّبَنِ أنَّ الّذي يُخَوَّنُ هو «اللَّبن»، لا مَحَلُّه الّذِي هُوَ «الغَارِزُ». وأَشَارَ إلى هـذا «الاسْـتِخْدَامِ» مِن المُتَأَخِّرِيـنَ العَلّامةُ مَرْعِيُّ بنُ يوسـفَ الفقيهُ الحنبليُّ[1]، والعلَّامةُ عبدُ الله بنُ الحَاجِّ إبراهيمَ العَلَوِيّ الشِّنقيطيّ بقوله:

ومِـنْـهُ الاسْـتِـخْـدَامُ قَـصْـدُ مَـعْـنَـيَـين ... بِـلَـفْـظِ ذَيْـنِ وضَـمِـيرٍ دُونَ مَـيـن[2]

ونَفْـيُ إسْـنَادِ التَّخْوِينِ عن الأحَاليلِ، وهي ليسـتْ فاعِلـةً في متعارَف النَّاسِ حقيقـةً حتَّـى يُمكِنَ نَفْيُه عنْهَا، - بَل الفاعِلُ هو الحالِبُ أو الفَصِيلُ - أسْـلوبٌ مِن أسـاليبِ العَـرَبِ: يَنْفون الفِعْلَ عن المَحَـلِّ الّذِي يَحْصُلُ فيه، فيُسْـنِدُونَ هَذَا الفِعْلَ المَنْفيَّ إلى ذلك المحلِّ الّذِي يَحصلُ فيه لِـمَا بينهما مِن الـمُلَابَسَةِ؛ فَهَذَا نوعٌ مِن الإسنادِ للمَحَلِّ أو نفيهِ عنه يُسَمَّى بـ «المجاز العقليِّ» في اصطلاح علمِ البَيان[3].

= بالمطبعة الـحُسَيْنِيَّة المصريَّة سنة (١٣٢٧) هجريّة.

(١) «القول البديع في علم البديع»، ص: (٢٠٩).

(٢) «فيضُ الفتّاح على نَور الأقاح» (٢/ ٢٢٢)، الطّبعة الثَّانية.

(٣) «أسرار البلاغـة» لعبـد القاهر الجرجانيّ، ص: (٣٧٣). قرأه وعلّـق عليه أبو فِهر محمود محمّد شاكر. الطَّبعة الأولى.

٢٥- قَنْواءُ في حُرَّتَيْها لِلبَصِيرِ بِهَا   عِتقٌ مُبِيْنٌ وَفِي الْخَدَّيْنِ تَسْهِيْلُ

أوّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

قَنْواء: خبرٌ مرفوعٌ لِـمبتدإٍ محذوفٍ تقديرُه «هي».

في حُرَّتَيْهَا: «في» حرفُ جرٍّ يُفيدُ الظَّرْفيَّةَ. «حُرَّتَي» مجرورٌ بـ«في»، وعلامةُ جَرِّه الياءُ المفتوحُ مَا قبْلَها، المكسورُ مَا بَعْدَها وهو نونُ المثنَّى المحذوفةُ للإضافة. فـ«حُرَّتَيْ» مضافٌ. و«ها» مضافٌ إليه مبنيٌّ على السُّكونِ في محلِّ جرٍّ، والجارُّ والمجرور «في حُرَّتَيها» خبرٌ مقدَّمٌ وُجوبًا، لِكَونِه ظَرْفًا مُخْتَصًّا وكَونِ المبتدإ الآتي نَكِرَةً.

للبصير: «اللّامُ» حرفُ جرٍّ. «البصير» مَجرورٌ بـ«اللّام».

بها: جارٌّ ومجرورٌ متعلِّقان بـ«البصير»، وقولُه «للبصير بها» شبهُ جُمْلَةٍ في محلِّ نصبٍ حالٌ مِن «عِتْق».

عتقٌ: مبتدأٌ مؤخَّرٌ وجوبًا، مرفوعٌ.

مُبِيْنٌ: نعتٌ للمبتدإ مرفوعٌ، وجملةُ «في حُرَّتيها للبَصِيرِ بها عِتْقٌ مُبِينٌ» في محلِّ رفعٍ خبرٌ ثانٍ للمبتدإ المحذوفِ.

وفي الخدَّين تَسهيل: «الواوُ» حرفٌ لِعطفِ جُمْلةٍ على أُخرى قَبْلَهَا. «في» حرفُ جرٍّ. «الخدَّينِ» مجرورٌ بـ«في»، وعلامةُ جرِّه الياءُ لأنَّه مثنًى، والنّونُ عِوَضٌ عن التَّنوينِ في الاسمِ المُفْرَدِ، والأصلُ «وفي خدَّيها» فأُقيم «أل» مقامَ الضَّميرِ، والجَارُّ والمَجْرُورُ خبرٌ مُقَدَّمٌ وُجوبًا. «تَسْهيلٌ» مُبتدأٌ مُؤَخَّرٌ وُجُوبًا، علَى حدِّ قَولِ ابْنِ مَالك في «الخُلَاصَة»:

....

ونحوُ عِندِي دِرْهَمٌ ولِي وَطَرْ   مُلْتَزَمٌ فِيهِ تَقَدُّمُ الخبَرْ

وهذه الجملةُ الاسميَّةُ «وفي الخدَّينِ تَسْهِيلُ» معطوفةٌ على الجملةِ قبلَها «في حُرَّتَيْها للبصير بها عِتْقٌ مُبِينٌ»، فتأْخُذُ حُكْمَها وهو الخَبَرِيَّةُ لِلْمُبْتَدَإِ.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

قَنْواءُ: مؤنَّثُ «أَقْنَى»، وَهُوَ وَصْفٌ لِلأَنْفِ الـمُتَّصِف بـ«القَنَى». و«القنى» في الأنف طُولُهُ ودِقَّةُ أَرْنَبَتِه مع حَدَبٍ في وَسَطِه، يقال «قَنِيَ الأَنْفُ يَقْنَى قَنًى»، فهو «أقْنَى» للمُذَكَّر، وهي «قَنْوَاءُ» للأنثى الّتي في أَنْفِها «القَنَى»[1]. و«القَنَى» مصدرٌ قياسِيٌّ.

فائدة صرفيَّة: إنْ قال قائل: الفِعْل «قَنِيَ» يائِيُّ اللَّامِ، فَحَقُّ مُؤنَّثِ الوَصْفِ أنْ يُقال فيه «قَنْيَاء»، كما يقال «لَمِيَ لَمْياء»، فلِمَ قال كعْبٌ «قَنْوَاء»؟ أُجيب عن هذا بأنَّ هذا الفعلَ أَصْلُه «قَنِوَ» - كما أشار إليه الفيرُوزْأباديّ في «قاموسه»[2]- تطرَّفتِ «الواوُ» إثرَ كَسْرَةٍ فقُلِبَتْ يَاءً تَخْفِيفًا، نظيرُه «رَضِيَ» و«شقِيَ» أَصْلُهُما «رَضِوَ» و«شَقِوَ»، فقُلِبت «الواوُ» «ياءً» لِهذه العلَّةِ عِندَ الصَّرفيِّينَ، فَمَنْ نَظَرَ إلى صَيْرُورَةِ الوَاوِ ياءً قال» قَنْياء»، ولم يُسْمَعْ مِنَ العَرَبِ. ومَنْ نظرَ إلى الأصل قال «قَنْوَاءُ»، وهو الوَارِدُ في كلامِ العَرَبِ. وبِاعْتِبَارِ مُقْتَضى الأَصْلِ أو القَلْب جَرَتْ كتابَةُ الألف في مصْدَرِه فتُكْتَبُ «قَنًى» على القَلْبِ، و«قَنًا» عَلَى الأَصْلِ. واللهُ أعلمُ.

---

(١) «القاموس المحيط» (٤/ ٣٨٠)، و«لسان العرب» (١٥/ ٢٠٣)، و«خزانة الأدب» (١٠/ ١٦٩).

(٢) «القاموس المحيط» (٤/ ٣٨٠).

....

في حُرَّتَيها: «الحُرَّتان» الأُذُنَانِ[١].

للبصير بها: أي للخَبيرِ العَالِمِ بِهَا[٢]. فـ «البَصِيرُ» فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِل. يقال: بَصُرَ بِالشَّيءِ، بِضَمِّ العَينِ: عَلِمَ به[٣]. ومنه قولُه تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ [طه: ٩٦][٤]. أي علِمْتُ ما لم يَعْلَمُوا ويَخبُروا. وقولُه تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ١١]. أي فعَلِمَتْ به وخَبَرَتْ. وقولُ عِمرَانَ بنِ عِصَام:

وذِي رَجعٍ تَلَقَّاني طَلِيقًا ... ولَيْسَ إذَا تَوَلَّى يأْتَلِيني

بَصُرْتُ بشأْنِه فَصَفَحْتُ عَنْهُ ... مُحافَظَةً عَلَى حَسَبي ودِيْنِي. اهـ

عِتْقٌ: أصَالةٌ وكَرَمٌ وجَمالٌ. يُقال: عَتَقَ الشَّيءُ يَعْتُقُ عِتقًا، أي كَرُمَ[٥].

مُبِينٌ: ظاهرٌ واضحٌ[٦].

وفي الخَدَّينِ: الخَدَّان جانِبَا الوَجْه[٧].

---

(١) «لسان العرب» (٤/ ١٨٣)، و«القاموس المحيط» (٢/ ٧).

(٢) «لسان العرب» (٤/ ٦٥)، و«أساس البلاغة» (١/ ٤٨).

(٣) «القاموس المحيط» (١/ ٣٧٣)، و«تهذيب اللُّغة» (١٢/ ١٧٤).

(٤) الآية بتمامها: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾. رقم الآية (٩٦) من سورة طه.

(٥) «لسان العرب» (١٠/ ٢٣٦)، و«الكامل» للمبرّد (١/ ٩٨).

(٦) «أساس البلاغة» للزّمخشريّ (١/ ٧٤)، و«القاموس المحيط» (٤/ ٢٠٤).

(٧) «لسان العرب» (٣/ ١٦٠)، و«القاموس المحيط» (١/ ٢٩٠).

تَسهِيل: تَيسِيرٌ وانْحِدَارٌ، فهما مُستطيلان لا مستديران لِقلَّة لَحْمِ الخَدَّيْنِ. وذلك مُستحسنٌ عند العربِ فِي وصْفِ الخدِّ لا سِيَّما في الإنسان، ومِنْ ثَمَّ عَدُّوا اسْتِطَالَةَ الخَدَّينِ مِن جَمَالِ المَرْأَةِ. ويَشْهَدُ لِذَلكَ قَولُ طُفَيلِ الغَنَوِيِّ في وَصْفِ امرأةٍ:

أَسِيْلَةُ مَجْرَى الدَّمْعِ خُمْصَانَةُ الحَشى ... بَرُودُ الثَّنَايَا ذَاتُ خَلْقٍ مُشَرْعَبِ[1].اهـ

الشَّاهد «أَسِيلَة مَجْرَى الدَّمْع»، فـ «مَجْرَى الدَّمْع» هو الخدُّ، و«أَسِيلَة» صفةٌ مُشَبَّهَةٌ باسْمِ الفَاعِلِ على وَزْنِ «فَعِيل» بِالتَّاءِ للمُؤَنَّثِ، وفِعْلُهُ: أَسُلَ، عَلى وزنِ «فَعُلَ»، يُقالُ «أَسُلَ خَدُّه»: امَّلَسَ وطَالَ[2].



(١) «مُشَرْعَب»: اسم مفعول للفِعْلِ «شَرْعَبَ الشَّيءَ» إذا طَوَّلَهُ، فـ«مُشَرْعَبٌ» مُطَوَّلٌ. «لسان العرب» (١/ ٤٩٤).

(٢) «القاموس المحيط» (٣/ ٣٢٨)، و«لسان العرب» (١١/ ١٥ - ١٦).

٢٦- تَخدِي على يَسَرَاتٍ - وهْيَ لاحِقَةٌ - ذَوَابِلٍ، مَسُّهُنَّ الأَرْضَ تَحْلِيلُ

أوّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

تخدي: فعلٌ مضارعٌ معلومٌ، مرفوعٌ لتجرُّده مِن النّواصب والجوازم، أو لحلولِه محلَّ الاسمِ عندَ أهلِ البَصْرَة، وعلامةُ رفعِه ضَمَّةٌ مقدَّرةٌ على الياءِ مَنَعَ مِن ظهورها الثِّقل، وفاعلُه ضميرٌ مُستَتِرٌ فيه جوازًا تَقْدِيرُه «هي» يعودُ إلى «قنواء»، وجملةُ «تخدي» مِنَ الفِعلِ والفَاعِلِ في محلِّ رفع نعت لـ «قنواء».

على يَسَرات: جارٌ ومجرور متعلِّقان بـ «تخدي».

وهي لاحقةٌ: «الواوُ» للحالِ، «هي» ضميرُ «يَسرات»، مبنيٌّ على الفتح في محلِّ رفعِ مبتدأٍ. «لاحقةٌ» خبرُ المبتدإ مرفوعٌ، وجملة «وهي لاحقةٌ» في محلِّ نصبٍ، حالٌ مِنْ «يسرات»، وهي نَكِرَةٌ، ولا يجُوزُ أنْ يَكُونَ صَاحِبُ الحَالِ نَكِرَةً إلّا بِمُسَوِّغٍ، وهو هنا أنَّ «يسرات» خُصِّصتْ بِوَصْفَينِ قَبلَ الحَالِ هما «ذوابل»، و «مسُّهُنَّ الأرضَ تَحْليل»، قُدِّم الحالُ عليهما في اللّفظِ لِلنَّظْمِ، والأصلُ في تَرتِيبِ تركيبِ كَلِماتِ البَيتِ «تَخدِي على يَسِرَاتٍ ذَوَابِلَ، مَسُّهنَّ الأرضَ تَحْلِيلٌ وهي لاحِقَةٌ». وأشار إلى هذا المسوِّغ الّذي هو التَّخصيصُ بِالوصْفِ ابنُ مالكٍ في «الخُلَاصَةِ» بِقَولِه:

ولمْ يُنَكَّرْ غالبًا ذو الحالِ إنْ ... لمْ يتأخَّرْ أو يُخَصَّصْ أو يَبِنْ
مِن بعدِ نَفْيٍ أو مُضاهِيهِ كـ «لا ... يَبْغِي امْرُؤٌ عَلَى امْرِئٍ مُسْتَسْهِلًا». اهـ

والشَّاهدُ: «أو يُخَصَّصْ».

ذَوَابِلٍ: نعتٌ لـ «يسرات» مجرورٌ، وعلامةُ جرِّه الفتحةُ لأنّه ممنوعٌ مِن الصَّرفِ لِصيغةِ «مَفَاعِل». مَنَعَ مِنْ ظُهُورِ الفَتْحَةِ صَرْفُ «ذوابل» وتنوينُه للضَّرورةِ الشِّعريّةِ،

....

على حدِّ قولِ سِيبويْهِ: «اعْلَمْ أنَّه يَجُوزُ في الشِّعْر ما يَجُوزُ في الكلام مِنْ صَرْفِ مالا يَنْصَرِفُ، يُشَبِّهونَهُ بما يَنصرِفُ مِنَ الأَسْماءِ لِأنَّها أَسْماءٌ، كَما أنَّها أَسْماءٌ»[1]. اهـ. ونظمَ ذلك ابنُ مالكٍ في «الخُلاصَةِ» بِقَولِهِ:

ولاضْطِرَارٍ أو تَنَاسُبٍ صُرِفْ ... ذُو المَنْعِ والمَصْرُوفُ قدْ لا يَنْصَرِفْ

مسُّهُن الأرضَ تَحْلِيل: «مَسُّ» مبتدأٌ مرفوعٌ وهو مضافٌ. «هُنَّ» ضَمِيرٌ مبنيٌّ على الفتحِ مِن جِهَةِ اللّفظِ، مضافٌ إليه، وفي محلِّ رفعٍ مِن جهة المعنى، فاعلٌ لهذا المصدرِ المضافِ. «الأرضَ» مفعولٌ به لـ «مسَّ»، منصوبٌ، وإلى إضافةِ المصدرِ إلى فاعله لفظًا، ويأتي المفعولُ به بعدَ الفاعِلِ، أشارَ ابنُ مَالكٍ في «الخُلاصَةِ» بِقَولِه:

وبَعْدَ جَرِّه الَّذي أُضِيفَ لَهْ ... كَمِّلْ بِرَفْعٍ أَو بِنَصْبٍ عَمَلَهْ

«تحليل» خبرُ المبتدإِ مرفوعٌ، وجُمْلَة «مسُّهُن الأرضَ تحليلٌ» اسميَّةٌ في محلِّ جرٍّ نَعْتٌ ثَانٍ لـ «يَسراتٍ».

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

تَخدي: تُسْرِعُ وتَزُجُّ بِقَوائِمِهَا إلى الأَمَام. ويَشهَدُ لِهَذَا المعنى في هذه الكلمةِ قولُ الرَّاعي في وصفِ بقرةٍ وحشِيَّةٍ تقدَّمَ ذِكْرُها كَلَامه:

حتَّى غَدَتْ في بَيَاضِ الصُّبح طَيِّبةً ... رِيحَ المَبَاءَة تَخْدِي والثَّرَى عَمِدُ[2]

---

(١) كتاب سيبويه (١/ ٢٦).

(٢) «لسان العرب» (١٤/ ٢٢٤).

....

يَسَرَات: قَوَائِمُ لَيِّنَةٌ سَهْلَةٌ. جَمعُ «يَسَرَة» بِالتَّحريكِ بِفتَحَاتٍ، و«يَسْرة» بالسُّكون إذا كُنَّ طَوْعَها[1].

لاحقة: أي يَلْحَقُ بَعضُها بَعضًا.

ذوابلٍ: مهازيل، فيها بعضُ اليُبْس.

مسُّهن: «المسُّ» إفضاءُ جسْمٍ إلى آخرَ بِمُلَاقَاتِه له، كَإِفْضَاءِ الإنسانِ بِيدِهِ إلى شيءٍ مِنْ غيرِ حَائِلٍ أو بِحَائِلٍ، فيُصيبُه[2].

تحليل: أي قليل. مصدرُ حَلَّلَ اليمينَ. وذلك إذا حلفَ الرَّجُلُ ثُمَّ اسْتَثْنى استِثْناءً مُتَّصِلًا بِاليَمِينِ غيرَ مُنْفَصِلٍ فيُقال: آلَى فلانٌ أَلْيَةً لمْ يَتَحَلَّلْ فيها، أي لم يِسْتَثْنِ. ثُمَّ جُعِلَ ذلك مَثَلًا للتَّقليل[3]. و مِثْلُهُ: ضَرَبْتُه تحلِيلًا ووَعَظْتُه تَعْذِيرًا، أي لم أُبالِغْ في ضَرْبِه ووَعْظِه[4]. فاسْتِعْمالُ كعبٍ لـ «تحليل» هنا، يُريدُ وَقْعَ مَنَاسِمِ ناقتِه على الأرضِ مِنْ غيرِ مُبالَغَةٍ لِسُرْعَتِها. ونظيرُ هذا الاسْتِعْمَالِ لهذا اللَّفظَ ما في قولِ عَبْدَة ابن الطَّبيب في وصفِ بقرةٍ وحشيَّةٍ:

---

(١) وذلك أنّ اشتقاق الكلمة مِنْ قولهم «يَسَر الشَّيءُ» بمعنى «خفَّ»، فقيل «يَسَرَةٌ» لقائمةِ النّاقةِ وغيرها مِن هذا لِخفَّتِها عند السَّير. أشار ابنُ مالك إلى معنى «يَسَرَ» هذا في آخر «الإعلامِ بِمُثَلَّثِ الكلام» بقوله:

وأَمْكَنَ اسْتَحْضِرْ وَخَفَّ بِيَسَرْ ... فَاحْمَدْ فَهَذَا آخِرُ الكِتَاب

(٢) «القاموس المحيط» (٢/ ٢٥١)، و«لسان العرب» (٦/ ٢١٧ - ٢١٨).

(٣) «تهذيب اللُّغة» للأزهريّ (٣/ ٤٣٨).

(٤) المرجع السَّابق.

....

تَخْفِيْ التُّرَابَ بِأظْلَافٍ ثَمَانِيَةٍ   في أَرْبَعٍ مَسُّهُنَّ الأرضَ تَحْلِيْل[١]

وَوَرَدَ «تحليل» في الاستعمالِ لِقلَّةِ مَسِّ قَوَائِمِ الدَّابّةِ للأرضِ مِنَ السُّرْعَةِ عِنْدَ الأخْطلِ التَّغلبيِّ أيضًا، وهو يَصِفُ حِمَارًا وحشيًّا مع أُتُنِه:

فهَاجَهُنَّ على الأهواءِ مُنحَدِرٌ   وَقْعُ قَوَائِمه في الأَرضِ تَحْلِيلُ[٢]. اهـ

«فَهَاجهُنَّ» أي هيَّجَ الحِمَارُ الوَحْشِيُّ الأُتُنَ، وانطلقَ بِهِنَّ علَى أَهْوَائِهِنَّ، وهي القَصْدُ إلى السَّمَاءِ. فلَفْظُ «تَحليل» يُستعملُ في وَصْفِ فِعْلٍ خَفَّ في شيءٍ، كَمَسِّ قوائمِ ناقةِ كعبٍ الأرْضَ، فيُوصَفُ بأنَّه تحليلٌ. فخرجَ «تحليلٌ» بِذلك مخرَجَ المَثَلِ السَّائرِ في علْمِ البديع[٣].

❀❀❀

---

(١) «شرح اختيارات المُفَضَّل» للخطيب التِّبريزيّ (٢/ ٦٦٧). ومعنى «تَخْفِي» تُظْهِرُ وتَسْتَخْرِجُ، مبنيٌّ للمعلوم، ماضيه «خَفَى». «لسان العرب» (١٤/ ٢٣٤).

(٢) «شعر الأخطل» صَنعة السُّكَّريّ، رِوايَتُه عن أبي جعفرٍ محمّد بن حَبيبٍ ص (٥٢)، تحقيق الدّكتور فخر الدّين قَباوة. دار الفِكْرِ المعاصر - بيروت - لبنان. دار الفكر - دمشق - سورية.

(٣) «القول البديع في علم البديع» لِمَرْعيّ بن يوسف الحنبليّ ص (١٩٢). الطّبعة الأولى (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

٢٧- سُمْرِ العُجَايَاتِ يَتْرُكْنَ الحَصَى زِيَمًا لَمْ يَقِهُنَّ رُؤُوسَ الأُكْمِ تَنْعِيلُ

أوّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

سُمْـرِ: بكسْر «الـرّاء» كسْرةَ إعرابٍ، نعتٌ ثالثٌ لـ «يَسَرَاتٍ» في البيتِ الّذي قَبْلَ هَذَا. و«سُمْرِ» مضافٌ.

العُجايات: مضافٌ إليه مجرورٌ، والإضافةُ لفظيَّةٌ.

يَتْرُكْنَ: فعلٌ مضارعٌ معلومٌ، مبنيٌّ على السُّكُونِ لاتِّصَالِه بِنُونِ النِّسْوَةِ، في محلِّ رفعٍ لِتجرُّدِه مِن النّواصب والجوازم. و«النُّونُ» ضميرٌ مبنيٌّ على الفتحِ في محلِّ رفعٍ فَاعِلٌ.

الحصى: مفعولٌ به أوَّلُ لـ «يَتركْنَ» بمعنى «يُصَيِّرْنَ»، منصوبٌ وعلامةُ نصبِه فتحةٌ مقدَّرةٌ على الألفِ مَنَعَ مِنْ ظهورِهَا التَّعذُّرُ.

زِيَمًا: مفعولٌ به ثانٍ لـ «يتْرُكْنَ» منصوبٌ، وجملةُ «يتْرُكْنَ» في محلِّ جرٍّ نعتٌ رابعٌ لـ «يَسَرَاتٍ»، وَيَصِحُّ كونُ محَلِّها النَّصْبَ على الحَالِ مِن «يَسَرَات».

لم يَقِهُنَّ: «لم» حرفُ جَزمٍ ونَفْيٍ وقَلْبٍ. «يقِهنَّ» «يقِ» فعلُ مضارِعٌ مجزومٌ بـ «لم» وعلامةُ جزْمِه حَذفُ حَرفِ العِلَّةِ «اليَاءِ». و«هنّ» ضميرُ «يسرات» مبنيٌّ على الفتحِ في محلِّ نصْبٍ، مفعولٌ به أوَّلُ لـ«يقِ».

رؤوسَ: مفعولٌ به ثانٍ له منصوبٌ، و«رؤوس» مضافٌ.

الأُكْم: مضافٌ إليه مجرورٌ.

....

تَنْعِيل: فاعلُ «يق» مرفوعٌ. وجملةُ «لم يقهنَّ رؤوسَ الأكْمِ تَنْعيلُ» نعتٌ خامسٌ لـ «يَسَرَاتٍ»، أو في محلِّ نَصْبٍ حَالٌ مِنها.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

سمرٌ: جَمْعُ «أَسْمَر» و«سَمْرَاءَ»، وصْفَينِ دَالَّينِ على لَونٍ ظَاهِرٍ، فَهُمَا صِفتَانِ مُشَبَّهتَان بِاسْمِ الفَاعِلِ عَلَى وَزْنِ «أَفْعَل» للمُذَكَّرِ و«فَعْلَاء» للمُؤنَّثِ[١]. والفعلُ «سَمِرَ» بِكسْرِ العَين، يُقَالُ «سَمِر يَسْمَر سَمْرًا» كان لونُه بينَ السَّواد والبَيَاض[٢]. وإضافةُ «سُمْر» إلى «العُجَايَات» مِن إضافةِ الوَصْفِ إلى الموصوفِ، فهي إضافةٌ لفظيَّةٌ، إذِ التَّقديرُ «العُجايَاتُ السُّمْرُ».

العُجايات: جمعٌ مفردُه «عُجَايَة» أو «عُجَاوة»، وهما لُغتانِ: واويَّةٌ ويائيَّة[٣]. ويدلُّ على اللُّغتينِ أنَّ الفِعلَ المُشْتقَّ منها: «عجا يَعْجو»، ناقصٌ واويٌّ على وزن «فَعَلَ» بِفتح العَينِ. أو «عَجِيَ يَعْجَى» ناقصٌ يائيٌّ على وزنِ «فَعِلَ» بِكسْرِ العَينِ. فمَنْ قال بالـمُفْردِ يَائِيًّا مِنَ العَرَبِ فإنَّه يَجْمَعُه على «عُجايات»، ومَنْ قال منهم بالـمُفْرَدِ واويًّا فإنَّه يجمعُه على «عُجاوات».

---

(١) كتاب سيبويه (١/ ١٩٤). الطّبعة الأولى، وكتاب «الكافية في النّحو» لابن الحاجب النّحويّ المالكيّ، بشرح رضيِّ الدِّين الإستِرَاباذيّ النّحويّ (٢/ ٢٠٥). دار الكتب العلميّة - بيروت- لُبنان.

(٢) «لسان العرب» (٤/ ٣٧٦)، و«القاموس المحيط» (٢/ ٥١).

(٣) «لسان العرب» (١٥/ ٣٠)، و«القاموس المحيط» (٤/ ٣٥٩).

وجـاء الجمـعُ على «عُجايات» في هذا البيتِ للصَّحَـابِيِّ الجليلِ كعبِ بنِ زهيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَوَرَدَ كَذَلك فِي قَوْلِ عَبْدَةَ بنِ الطَّبيبِ الـمُخَضْرَمِ:

مُـــرَدَّفَـــاتٍ عـلـى آثَـــارِهــا زَمَـعًـا ... كَأَنَّها بالعُجَايَاتِ الثَّآلِيلُ[1]. اهـ

وفسَّر أبو زيدٍ الأنصاريُّ «عُجايـات» بقوله: «والعُجَايَـاتُ عَصَبُ الأوظِفَةِ والأَرْسَاغ»[2]. اهـ.

يتركـن: أي يُصيِّرن، فالفعـلُ «يَتْرُكُ» المُتَّصِلُ بنونِ النِّسـوةِ ينصِبُ مفعولين أصلُهما مبتدأٌ وخبرٌ.

الحصى: اسـمُ جنسٍ جَمْعِيٌّ - معناه «صغـارُ الحِجَارَة». ومفـردُه «حَصَاةٌ»- يُفَـرَّقُ بينَـه وبينَ مفرده بالتَّاء، ويوافق المفردَ المذكَّرَ مِن الأسـماءِ، في وصْفه وفي عود الضَّمـيرِ إليه مُذكَّـرًا، فتَقولُ «الحصى المتفرِّق»، أو «تفرُّقُه» أو «هذا الحصى»، أشـارَ صاحـبُ «الجامـعِ» المختارُ بنُ بونه إلى هذِهِ الأحكامِ في اسـمِ الجنسِ الجمعيِّ بِقوله فيه:

وهْــوَ إذَا فِي وَصْــفِــه وفِي خَــبَرْ ... يُــوافِــقُ الــمُـفْـرَدَ مِــنْ دُونِ حَــذَرْ

أو مِيزَ عنْ فَـرْدٍ بِنَـزْعِ «يـا» النَّسَب ... أو تَــاءِ تـأنـيـثٍ وتـذْكـيرٌ غـلَـبْ

---

(١) «شرح اختيـارات الـمُفَضَّـل» للتِّبْريـزيّ (٢/ ٦٦٨). قولـه «مُرَدَّفَات» نعتٌ ل«أظلاف» في البيت السَّابق، أي أنَّ هذه الأظْلافَ أُتْبِعَتْ زَمَعًا، و«الزَّمَعَةُ» زائدةٌ مُعَلَّقَةٌ خَلفَ الظِّلْفِ. قاله أبـو زيد الأنصاريّ. وقوله «الثَّآليلُ» جَمْعُ «ثُؤْلُول» خَرَاجٌ يكونُ بِجَسَـدِ الإنسـانِ ناتِئٌ صُلْبٌ مُسْتَدِيرٌ.

(٢) كتاب «النّوادر في اللّغة» لأبي زيد الأنصاريّ، ص: (٩). طُبع ببيروت سنة (١٨٩٤م).

فَاسْمًا لِجَمْعٍ أو لِجِنْسٍ يُدْعَى إِنْ كَانَ هَكَذَا ولَيْسَ جَمْعًا[١]. اهـ

وقد يُجْمَعُ لفظُ «حصاةٍ» جمعَ سَلَامَةٍ لِمُؤنّثٍ إلْحَاقًا به، على «حَصَيَات». وهو سماعيٌّ.

زِيَمًا: قِطَعًا مُتفرِّقَةً، لأنَّه في الأصل جمعُ «زِيمَةٍ» للقِطْعَة مِن الإبل، أقلُّها البَعِيرَانِ والثّلاثةُ، وأكثرُها الخمسةَ عشرَ ونحوُها[٢]. و«فِعَل» في «زِيَم» وَزْنٌ لِجَمْعِ الكثرةِ، بِكَسْرِ أوَّلِه وفتحِ ثَانِيه، مُطَّرِدٌ في «فِعلة» المُفْرَد إذا كَانَ اسْمًا تامًّا كما قيَّده بِذَلِكَ ابنُ مَالِكٍ[٣]. وهو مُنْطبقٌ على «زِيمَة». ثُمَّ إنّه يُستعمَلُ هذا الجمعُ «زِيَمٌ» في أجزاءِ الشّيءِ المُتفرِّقَة، فيقال: «اللَّحم زِيَمٌ» أي قِطَعٌ، ومنه قولُ زِيَادِ بنِ حَمَلٍ الحَماسِيِّ:

مَتَى أَمُرُّ عَلَى الشَّقْراء مُعْتَسِفًا خَلَّ النَّقَا بِمَرُوحٍ لَحْمُها زِيَمٌ[٤]

ومنه قولُ المخبَّل السَّعديّ أيضًا في وصْفِ قوائمِ نَاقَتِه وهي تطَأُ الحصى:

تَذَرُ الحَصَى فِلَقًا إذَا عَصَفَتْ وجَرَى بِحَدٍّ سَرَابِها الأُكُمُ[٥]. اهـ

---

(١) ألفيّة الإمام العالم العلّامة المختار بن بونه، ممزوجةً في ألفيّة إمام النّحاةِ أبي عبدِ الله محمّد جمال الدّين بن مالك، ص: (٣٣٥). الطّبعة الأولى بالمطبعةِ الحُسَيْنِيَّة المِصْرِيَّة سنة (١٣٢٧هـ).
تنبيهٌ: «الجامع» تسميةُ المؤلِّف ابن بونه لكتابه هذا، و«الألفيّةُ الممزوجةُ» تسميةُ الّذين طبعو الكتابَ أوّلَ مرّةٍ بمصر.

(٢) «لسان العرب» (١٢/ ٢٧٩).

(٣) «تسهيلُ الفوائد وتكميلُ المقاصد»، ص: (٢٧٢).

(٤) «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقيّ (٣/ ١٣٩٩).

(٥) «شرح اختيارات المُفَضَّل» للخطيب التّبريزيّ (١/ ٥٥٠).

فقولُه «فِلَقًا» بمعنى «زِيَم». فهما مُترادفانِ عِندَ بَعضِ أَهْلِ اللُّغَةِ وَهُوَ الصَّحِيحُ.

يَقِهُنَّ: يحفَظُهُنَّ ويصُونُهُنَّ.

الأُكْمُ: بِضَمٍّ فسُكُونٍ، جمعُ تَكسيرٍ سَماعيٌّ لـ «أَكَمَة» بالتّاء في المفردِ على وزنِ «فَعَلَة»، ويُجْمعُ على «إِكَام» وَزْنِ «فِعَال» وَهو أكثرُ مِنْ جمعِه على «فُعْل»، أشار سيبويهِ إِلَى هَذَينِ الجَمْعَينِ السَّماعِيَّينِ له بقوله: «وأمَّا ما كان على «فَعَلَةٍ» فإنّه كُسِّرَ على «فِعَال»، قالوا «ناقة ونِيَاق» كَما قَالُوا «رَقَبة ورِقَاب»، وقد كسَروه على «فُعْل» قَالُوا «نَاقَةٌ ونُوقٌ»[1]. اهـ. وقال في مَوْطِنٍ آخَرَ[2]: «وقدْ كُسِّرَ على «فُعْل» وذلك قَلِيلٌ». اهـ. وجاء «إِكَامٌ» جمعًا لـ «أَكَمَة» في قولِ لَبِيد بنِ رَبِيعَةَ العَامريّ في «مُعلّقتِه» المشهورةِ:

فبِتِلْك إذْ رَقَصَ اللَّوَامِعُ بالضُّحى ... واجْتَابَ أَرْدِيَةَ السَّرَابِ إِكَامُهَا[3]

وما يذْكرُهُ بَعْضُ العلماءِ مِن أنَّ «أُكْمًا» جَمْعُ «إِكَام»، كـ «كِتَاب وكُتُب»، وسُكِّن الكافُ مِن «أُكْم» في الشِّعْرِ لِلضَّرُورَةِ فَلَيْسَ بِظَاهِرٍ عِنْدِي، بَل كلٌّ مِن «أُكْم» و«إكام»

(١) كتاب سيبويه (٣/ ٥٩٤).

(٢) كتاب سيبويه (٣/ ٥٧١).

(٣) قولُه «فَبِتِلْكَ» أي بِتِلْكَ النّاقة أقضي اللُّبَانة. وقوله «رقص اللّوامع» أي تَحرَّك واضْطَرَبَ اللّوامِع أي لَوامِعُ السَّراب في الضُّحى. «واجتاب» أي قَطَعَ وَلَبِسَ. «إكامُها» فاعلُ «لَبِسَ» ويقصِدُ أنَّ الإكامَ وهي التِّلالُ المُرْتَفِعَةُ يعلُوها السَّرابُ فَجَعَل السَّرابَ ثِيابًا لها وشبَّهَ السّرابَ بالأرديَةِ الّتي هي الثِّيابُ وأضافَها إليه مِنْ إضافةِ المُشَبَّهِ به إلى المُشَبّهِ. «شرح القصائد السّبع الطِّوال الجاهليّات» لابن الأنباريّ، ص: (٥٧١).

....

جمعٌ مستقِلٌّ لـ «أكَمَة»، وكذلك «أُكُمٌ» بِضَمَّتَيْنِ، وله جُمُوعٌ أُخْرَى سَمَاعِيَّةٌ غَيرُ هذهِ، ولَهُ جَمْعَان قِيَاسِيَّانِ:

الأوّل: أنْ يُستغنى بِتجريدِه مِن التَّاء للدَّلالَة على الكثرَة فيقال «أَكَمٌ»، ومنه قولُ رُؤْبَةَ بْنِ العَجَّاجِ:

.... بَلْ بَلَدٍ مِلْءُ الفِجَاجِ قَتَمُهْ

لا يُشْتَرَى كَتَّانُهُ وجَهْرَمُهْ يَجْتَابُ ضَحْضَاحَ السَّرَابِ أَكَمُه[١]

الثاني: أنْ يُجْمَعَ جَمْعَ سَلامةٍ لِمُؤنَّثٍ للدّلالَةِ على القلَّة، فيقال «أَكَمَات»، أشارَ ابنُ مالكٍ إلى هذين[٢].

و«الأكم» هي التِّلال، و«التّلال» جمعُ مفردُه «تلٌّ» وهو قِطْعَةٌ مِنَ التُّرابِ والحصى والرَّمْلِ مُجْتَمِعَةً، أَرْفَعُ مِمَّا حَوْلَهَا[٣].

تنعيل: مصدر «نَعَّلَه» بمعنى أَلْبَسَهُ نَعْلًا، والمرادُ هنا: تَنعيلُ حافِرِ البِرْذَوْنِ بِطَبَقٍ مِنْ حَديدٍ يَقيهِ الحِجارةِ، وكذلك «التَّنْعيلُ» يَأْتِيْ لِخُفِّ البَعِيرِ بالجِلْدِ لِئَلَّا يَحْفَى. «يَحْفى» ماضِيهِ: حَفِيَ، بمعنى انْمَحى مِنْ كثرةِ السَّيرِ[٤].

(١) «ديوان رؤبة بن العجّاج»، ص: (١٥٠)، دار قتيبة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الكويت.
(٢) «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد»، ص: (٢٦٨). طُبِعَ سنة (١٣٧٨هـ - ١٩٦٧م).
(٣) «القاموس المحيط» (٤/ ٧٥)، و«لسان العرب» (١٢/ ٢٠ - ٢١).
(٤) «القاموس المحيط» (٤/ ٥٨)، و«لسان العرب» (١١/ ٦٦٧).

٢٨- كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْها إِذَا عَرِقَتْ وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالقُورِ العَسَاقِيلُ

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

كأَنَّ: حرفٌ مِن أخوات «إنَّ» للتَّشْبيه الموكّد، ينصبُ الاسمَ ويرفع الخبر.

أَوْبَ: اسم «كأنَّ» منصوبٌ، وهو مضافٌ.

ذراعَيْها: «ذِرَاعَي» مضافٌ إليه مجرورٌ وعلامةُ جرِّه الياءُ، وهو مضافٌ. «ها» مضافٌ إليه في محلِّ جرٍّ، وخبرُ «كأنَّ» سَيَأْتِي بَعْدَ بَيْتَينِ، فِي قولِه «شدَّ النَّهار ذِرَاعَا عيطَل نَصَف».

إذا: ظرفُ زمانٍ لا شَرْطَ فيه، مبنيٌّ على السُّكونِ في محلِّ نَصْبٍ بـ «أوب»، وهو مَصْدَرٌ يَعْمَلُ عَمَلَ فِعْلِه، وعَمَلُه في الظَّرْفِ تَعَلُّقُه به، و«إذا» مضافٌ.

عَرِقَتْ: فعْلٌ ماضٍ معلومٌ مبنيٌّ على الفَتْحِ، وفاعِلُه ضميرٌ مستتِرٌ فيه جوازًا تقديرُه «هي» يعودُ إلى «قنواء». و«التَّاءُ» المتَّصلة بـ «عرِقتْ» للتَّأنيثِ حرفٌ لا محلَّ له مِنَ الإعْرَابِ، وجملةُ «عَرِقَتْ» مِن الفِعلِ والفَاعِلِ المُسْتتِرِ فيه في محلِّ جرٍّ مُضَافٌ إليه، والتَّقديرُ «كأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا وَقْتَ عَرَقِها».

وقدْ تلفَّع: «الواوُ» واوُ الحالِ، وهي لِرَبْطِ الجُملَةِ الحَالِيَّةِ بِصَاحِبها. «قد» حرفُ تَحقِيقٍ مَبْنِيٌّ عَلَى السُّكُونِ لَا مَحَلَّ لَه مِن الإعْرَابِ. «تلفَّعَ» فعلٌ ماضٍ معلومٌ مبنيٌّ على الفتحِ.

بالقُور: «الباءُ» حرفُ جَرٍّ. «القُور» مجرورٌ بـ «البَاءِ» وعَلَامَةُ جَرِّه الكَسْرةُ الظَّاهرةُ، والجارُّ والمجرورُ مُتَعلِّقَانِ بـ «تَلَفَّع».

العَسَاقِيلُ: فاعلُ «تلفَّع»، مرفوعٌ وعلامةُ رفعِهِ الضَّمَّة الظّاهِرَةُ، وجُمْلَةُ «وقد تلفَّع بالقور العساقيل»، في محلِّ نصْبٍ حالٌ مِن الظَّرْف «إذا» المضافِ إلى جملةِ «عرِقَتْ»، وعاملُ الحالِ الفِعْلُ «عرِقَ».

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

أَوْب: هو «الرُّجُوع» مصدرُ «آبَ يؤُوبُ أَوْبًا»[(١)]. والـمُرَادُ بِه هنا سُرْعَةُ تَقْليبِ اليَدَينِ والرِّجْلَينِ في السَّير[(٢)]، يُقَالُ «مَا أَعجَبَ أَوبَ يَدَيْهَا» أي رُجُوعها في السَّيْرِ، هذا إذا كانَ الرُّجُوعُ سَرِيعًا قويًّا، وقد يكونُ الرُّجُوعُ بطيئًا ضعيفًا، كما في قولِ رجُلٍ مِنْ بنِي أَسَدٍ في وصفِ امْرَأةٍ بِالبُطءِ في السَّيْرِ وهي تتمايَلُ:

مَرِيضَاتُ أَوْبَاتِ التَّهَادِي كَأنَّهَا   تَخَافُ عَلَى أَحْشَائِهَا أنْ تَقَطَّعَا[(٣)]. اهـ

فـ «التّهادي»: التَّمايُلُ في المِشْيَةِ[(٤)]، يصفُ امرأةً بالنَّعمةِ والرِّقَّة وضَعْفِ الحَرَكَة لِثِقَلِ رِدْفِها ودِقَّة خِصْرِها.

ذِراعَيها: مثنَّى «ذِرَاع»، والذِّرَاعُ بالكَسْرِ للإنسان مِنْ طَرَفِ المرفقِ إلى طَرَفِ الإصْبَعِ الوُسْطَى[(٥)] والسَّاعِدُ وقدْ تُذَكَّرُ فِيهِمَا، ومِنْ يَدَي البَقَرِ والغَنَم فوقَ الكراع، ومِنْ يدَيِ البعير فوق الوَظِيف، وكَذَلِكَ مِنَ الخَيلِ والبِغَالِ والحَمِيرِ[(٦)].

(١) «القاموس المحيط» (١/ ٣٧)، و«لسان العرب» (١/ ٢١٧).
(٢) «لسان العرب» (١/ ٢٢٠)، و«القاموس المحيط» (١/ ٣٧).
(٣) «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقيّ (٣/ ١٢٨٣). نشره أحمد أمين وعبد السّلام هارون، الطّبعة الثّانية (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م).
(٤) «القاموس المحيط» (٤/ ٤٠٢)، و«لسان العرب» (١٥/ ٣٥٩).
(٥) «القاموس المحيط» (٣/ ٢٢).
(٦) المرجع السَّابق.

عَرِقَتْ: تَرَشَّحَ جِلْدُها بِالعَرَقِ الّذِي هُوَ مَائِعٌ يَسِيلُ مِنْ أُصُولِ شَعَرِ الجِلْدِ[١].

تلفَّع: اشتَمَلَ والْتَفَّ الإنسانُ بالثَّوبِ يُغَطِّي جَسَدَهُ. ويُسْتَعارُ «تَلَفَّعَ» لِغيرِ الإنْسَانِ، فيُقال: تَلَفَّعَ الشَّجَرُ والأرضُ بِالخُضْرَةِ، كما في قولِ كَعْبٍ هُنَا[٢].

بالقور: «القور» جمع «قَارَةٍ»، وهي الجَبَلُ الصَّغيرُ المُنْقَطِعُ عنِ الجِبَالِ[٣].

العَسَاقِيلُ: جمعُ «عُسْقول»، وهو «السَّرَابُ»، والسَّرابُ ما تَراه نِصْفَ النَّهارِ مِن اشْتِدَادِ الحَرِّ كالماءِ يَلْصَقُ بالأَرْضِ[٤]. وما أَلْطَفَ قولَ أَديبِ شِنقيط الكَبيرِ في وقْتِه مُحَمَّدِ بنِ حَنبَل الحَسَنِيّ في وَصْفِ إبلٍ:

تَغْدُو صَوَادِيَ ما لَهَا مِن مَشْرَب   إلَّا الوُرُودُ عَلَى السَّرَابِ الجَارِي[٥]. اهـ

وأَصْلُ الكَلام: «وقدْ تَلَفَّعَتِ القُورُ بِالعَسَاقِيلِ»، لَكنَّه قَلَبَ الكلام قَلْبًا مَعْنَوِيًّا[٦] فجَعَلَ «التَّلَفُّع» لـ«العَسَاقِيل»، مع أنَّه لـ«القُور» حقيقةً، وهي فاعِلُ التَّلَفُّع. ولَمَّا لمْ يَكُنْ فِي هذَا الإسْنَادِ إلى «العَسَاقِيل» لَبْسٌ جازَ. وقد أشارَ ابنُ السَّرَّاج[٧]، وابنُ

---

(١) «لسان العرب» (١٠/ ٢٤٠).
(٢) «لسان العرب» (٨/ ٣٢٠)، و«أساس البلاغة» للزّمخشريّ (٣/ ٣٤٨).
(٣) «القاموس المحيط» (٢/ ١٢٣).
(٤) «لسان العرب» (١١/ ٤٤٨)، و«القاموس المحيط» (٤/ ١٦).
(٥) مِنْ قَصيدَتِه: «أُنْسِ الإطار».
(٦) والمشهورُ في هذا «القلْب» المعنويِّ أنْ تَجْعَلَ الفاعلَ في المَعْنَى مَفْعُولًا بِهِ فِي اللَّفْظِ، والمَفْعُولَ بِهِ فِي المَعْنَى فَاعِلًا فِي اللّفظِ.
(٧) في كتابه «الأصول في النّحو» (٣/ ٤٦٣). الطّبعة الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م). مؤسّسة الرِّسالة.

....

مالكٍ(١)، وابنُ هشامٍ الأنصاريُّ(٢)، إلى أنّ هَذَا القَلبَ الـمَعْنَوِيَّ مِنْ أساليبِ كلامِ العربِ. وممَّا يدُلُّ على أنَّ القَلْبَ وقعَ في بيتِ كعبٍ، بإسنادِ «التَّلَفُّعِ» إلى «العساقيلِ» دونَ «القُورِ»، أنَّ العكْسَ الَّذي هو الأصْلُ قدْ وَرَدَ في كلامِ العربِ ما يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ. مِنه ما في قَولِ غَيْلانَ ذي الرُّمَّة:

تَرَى قُورَها يَغْرَقْنَ في الآل مَرَّةً ... وآوِنَةً يَخْرُجْنَ مِنْ غامِرٍ ضَحْلٍ(٣).اهـ

فغرقُ القُورِ في «الآلِ»، يَجعلُها تَتَلفَّعُ بـ «الآلِ» الَّذي هو السَّرَابُ.

وما في قولِ ابنِ الرِّقَاعِ:

وإذا بَدَا عَلَمٌ لَهُنَّ كأَنَّهُ ... في الآلِ حِيْنَ بَدَا ذُؤَابَةُ عَائمِ(٤). اهـ

قال أبو عليٍّ الفارسيُّ: أي قدْ غطَّى الآلُ الجَبَلَ فإنَّما يَظْهَرُ رأْسُهُ(٥). اهـ. قلتُ: وبهذه التَّغطيةُ مِنَ الآلِ للجبَلِ يَكُونُ الجَبَلُ قَدْ تَلَفَّعَ بِهِ عَلَى الأَصْلِ الـمُومَى إليه. والله أعلمُ.

---

(١) «شرح التّسهيل» لابن مالك (٢/ ١٣٢). الطّبعة الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).
(٢) «مغني اللّبيب عن كتُبِ الأعاريب» لابن هشام الأنصاريّ (٢/ ٦٩٩) تحقيق محمّد محي الدِّين عبد الحميد. دار الكتاب العربيّ - بيروت - لبنان.
(٣) «ديوان ذي الرُّمَّة» غيلان بن عُقْبَةَ العدويّ شرح الإمام الباهليّ (١/ ١٤٨) تحقيق الدّكتور عبد القدُّوس أبي صالح. الطّبعة الثّالثة (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
(٤) شرح الأبيات المُشكلة الإعراب، المسمّى: «إيضاح الشِّعر» ألّفه أبو عليٍّ الفارسيّ، ص: (٥١٨). الطّبعة الأولى (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م). دار القلم دمشق . دار العلوم والثّقافة بيروت.
(٥) المرجع السّابق.

٢٩ـ يومًا يَظَلُّ به الحِرْباءُ مُصْطَخِدًا ... كَأنَّ ضَاحِيَه بالشَّمْسِ مَمْلُولُ

أوّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

يومًا: ظرفُ زمانٍ، مفعولٌ فيه منصوبٌ بـ«أَوب»، لِأَنّه بَدَلٌ مِن الظَّرْفِ قبلَه «إذا» في البيتِ السّابقِ، بَدَلَ كُلٍّ مِن كُلّ، أو عطفُ بيان.

يَظَلُّ: فعلٌ مضارعٌ ناقصٌ، مرفوعٌ لتجرُّده مِن النَّاصبِ والجازِمِ، يرفع الاسمَ وينصبُ الخبرَ.

بـه: «الباء» حرفُ جرٍّ بمعنى «في». و«الهاء» ضميرٌ يعودُ إلى «يومًا» مَبنيٌّ على الكَسْرِ في مَحَلِّ جرٍّ.

الحِرباء: اسمُ «يظلُّ» مرفوعٌ.

مُصْطخِدًا: خبرُ «يظلُّ» منصوبٌ. وجملةُ «يظَلُّ به الحِرْباءُ مُصْطَخِدًا» في محلِّ نصبٍ نعْتٌ لـ«يومًا».

كأنّ: حرْفٌ للتَّشبيهِ المؤكِّدِ، ينصِبُ الاسمَ ويرفعُ الخبرَ.

ضاحيَه: «ضاحيَ» اسمُ «كأنَّ» منصوبٌ، وهو مضافٌ والضَّميرُ «الهاء» مضافٌ إليه مبنيٌّ على الضَّم في محلِّ جرٍّ.

بالشّمسِ: «الباءُ» حرفُ جرٍّ يُفيدُ الاستِعَانَةَ. «الشّمس» مجرورٌ بـ«الباءِ» والجَارُّ والمَجْرُورُ مُتعلِّقان بـ«مَمْلُول».

مَمْلـول: خبرُ «كأنَّ» مَرفوعٌ، وجملةُ «كأنَّ ضاحِيَه بالشَّمسِ مَمْلُول» في محَلِّ نصبٍ حَالٌ مِن الضَّميرِ المُستَتِرِ في «مُصْطَخِدًا» العائدِ إلى «الحِرْباءِ».

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

يَظَلُّ: مُضارعُ «ظَلَّ» الماضي الّذي على وزنِ «فَعِلَ». ومصدرُه «ظَلٌّ» و«ظُلُول»، وهما سَماعِيَّان[1]. ومعنى هذا الفِعْلِ مَعَ مَعمُوليه: الاسْمِ والخَبَرِ، على ما تَقَرَّرَ في علمِ النّحْوِ: اتِّصاف الاسْمِ بالخبرِ نهارًا[2]. فهو الجارِي فيه هنا: فالحِرباءُ يَتّصِفُ بالاصْطِخادِ نَهارًا عِندَ اشتِدَادِ حَرِّ الشَّمسِ.

الحِرباء: هو ذَكَرُ «أمِّ حُبَيْن» بدُونِ تاءٍ. ويقال «حِرْبَاءَةٌ» بالتّاء لِلأُنْثَى. وهي دُويبةٌ تُسمِّيها العربُ أيضًا «ابنَ الفَلَاة»، أَغْبَرُ اللّون ما دام صَغيرًا ثُمَّ يَصفَرُّ إذا كَبِر فإذا حَمِيَتْ الشَّمسُ أخذ جِلْدُه يصْفَرُّ[3]، وقال بعضُهم: تَستقبلُ الشَّمسَ وتَدُورُ مَعَهَا كيف دَارتْ وتَتَلوَّنُ أَلْوَانًا بِحَرِّ الشّمسِ، يُضْرَبُ به المَثَلُ في التَّقلُّب[4]، ويشهدُ قولُ الطِّرِمَّاحِ على تَسْمِيَةِ «الحِرْبَاء» بـ«ابنِ الفَلَاة»:

---

(١) «لسان العرب» (١١/ ٤١٥)، و«القاموس المحيط» (٤/ ١٠).

(٢) «شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك» مع حاشية الصّبّان عليه وشرح الشّواهد للعَيْنيّ (١/ ٢٢٦)، و«شرح المُفصَّل» لابن يَعِيش (٧/ ١٠٥)، وشرح كافية ابن الحاجب في النّحو للرَّضِيِّ (٢/ ٢٩٥).

(٣) «لسان العرب» (١/ ٣٠٧)، و«القاموس المحيط» (١/ ٥٣)، و«شرح ديوان الحماسة» للمرزوقيّ (٤/ ١٨٥٩).

(٤) «لسان العرب» (١/ ٣٠٧).

....

وانْتَمَى ابنُ الفَلاَةِ في طَرَفِ الجِذْ ... لِ وأَعْيَا عَلَيهِ مُلتَحدٌ[1]. اهـ

فهو يَنْتَقِلُ مِنْ عُودٍ إلى عُودٍ في الشَّجرةِ، عَلَى حَدِّ قَولِ أَبِي دُؤَاد الإيَادِيِّ:

أنَّى أُتِيحَ لَه حِرْبَاءُ تَنْضُبَةٍ ... لا يُرْسِلُ السَّاقَ إلا مُمْسِكًا سَاقًا[2]. اهـ

مُصْطَخِدًا: أي مُتَصَلِّيًا بِحَرِّ الشَّمسِ، مُنْتَصِبًا لها[3].

ضاحِيَه: جانِبُه البَارِزُ لِلشَّمْسِ، وقَدْ أصابَتْه، إذْ يقال قولًا جاريًا على قانونِ اللّغةِ «ضَحَا الرّجلُ يَضْحُو، وضَحِيَ يَضْحى» إذا بَرَزَ للشَّمسِ وأصَابَتْهُ[4]. قال الشّاعِرُ عُمر بنُ عبدِ اللهِ بنِ أبي رَبيعَةَ:

رَأَتْ رجُلًا أمَّا إذا الشَّمسُ عَارَضَتْ ... يَضْحَى وأَمَّا بالعَشِيِّ فيَخْصَر[5]. اهـ

وقدْ توسَّع العربُ في استعمالِ الفِعلِ «ضحَى» والوصفِ «ضاحٍ» لِمعنَى عَدَمِ السِّترِ والوِقايةِ والحِمايةِ والدِّفَاعِ، فَجَرَى ذَلِكَ الاسْتِعْمَالُ مُجْرَى الأَمْثَالِ، ويَشْهَدُ لِذَلِكَ قَوْلُ فَاطمةَ بنتِ الأَحْجَمِ الخُزاعِيَّةِ في رثاءِ والِدِها «الأَحْجَم»:

قدْ كنتَ لي جَبَلًا أَلُوذُ بظِلِّه ... فتَرَكْتَني أَضحَى بِأَجْرَدَ ضَاحٍ[6]. اهـ

---

(١) «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقيّ (٤/ ١٨٥٩). وقولُه «ابن الفلاة» دليلٌ على أنّ «حرباء» مُذَكَّرٌ لأنّ ألفهُ الممدودةَ لغير التّأنيثِ، وهي زائدةٌ فينصَرِفُ كما أشار إلى ذلك المُبَرِّدُ في «الكامل» (٢/ ٩٦٣، ١٠٠٤).

(٢) «شرح ديوان الحماسة» (٤/ ١٨٥٩).

(٣) «القاموس المحيط» (١/ ٣٠٦)، و«لسان العرب» (٣/ ٢٤٥).

(٤) «لسان العرب» (١٤/ ٤٧٧).

(٥) «الكامل» للمبرّد (٣/ ١١٥٣). الطّبعة الثّالثة. مؤسّسة الرّسالة.

(٦) «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقيّ (٢/ ٩٠٩ - ٩١٠)، و«أمالي أبي عليّ القالي» (٢/ ١ - ٢).

تقول: «كُنْتَ لي جَبَلَ عِزٍّ، آوي إليكَ في الشَّدائِدِ، وأُعَوِّلُ على حُسْنِ دِفَعِكَ في النَّوائبِ، وأَسْتكِنُّ بظِلِّكَ، وأَتحَصَّنُ بتَمَنُّعِكَ، فغَادرتَنِي بَارِزَةً للآفاتِ، ومُعرَّضةً للحوادثِ والنِّكاياتِ، لا مَعْقِلَ لي ممَّا يَدْهَمُ، ولَا مَلَاذَ عِنْدَمَا يَهْجُمْ. تَضْرِبُ ذلك مَثَلًا لِكَونِهَا مُعْوِرَةً لا وَاقِيَ لها ولا سَاتِرَ، ولا مُحامِيَ ولا مُدافِعَ»[1]. اهـ.

مَمْلُولُ: مَحْرُوقٌ مُسَخَّنٌ بِالشَّمْسِ. يقال «مَلَّ فُلانٌ الخبزَةَ» مِنْ بابِ «نَصَرَ» بفتح العَينِ في الماضي، وضَمِّهَا في المضارع «يَمُلُّها»، لأنَّه مُضَعَّفٌ مُتَعدٍّ، على ما تقرَّرَ في فنِّ الصَّرْفِ، أشار إليه ابنُ مالكٍ في «لاميَّة الأفعال» بقوله:

وَضُمَّ عَيْنَ مُعَدَّاهُ ويَنْدُرُ ذَا ... كَسْرٍ كَمَا لَازِمٌ ذا ضَمِّ احتُمِلَا. اهـ

الشَّاهدُ «وضُمَّ عَيْنَ مُعَدَّاه»، أي مُعَدَّى المُضَعَّفِ على وزن «فَعَلَ» في الماضي، فلو فَكَكْنا «مَلَّ» لقُلْنا «مَلَلَ».

❁ ❁ ❁

= الطَّبعة الثَّانية (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) دار الجيل.

(١) «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقيّ (٢/ ٩٠٩ - ٩١٠). قلت: شكوى هذه المرأةِ الخُزاعيّة بعد موتِ والِدِها الّذي كان يُساعِدُها، هذه الشّكوى الّتي صوّرَها الإمامُ المرزوقيُّ مِنْ هذا البيتِ تصويرًا رائعًا، ليستْ بمرضيَّةٍ في ميزان الإيمان بالله عندَ الصّابرينَ - لو كانتْ مُسْلِمَةً -؛ إذْ يَجِبُ على المُسْلِمِ أنْ يعتمِدَ على اللهِ، ويَتَّجِهَ إليه في كَشْفِ البَلْوى ودَفْعِ الكُرُبَاتِ مُطْلَقًا. وما أحسَنَ قولَ القائِلِ:

وقَائِلَةٍ ماتَ الكِرامُ فمَنْ لنا ... إذا عَضَّنا الدَّهْرُ الشَّديدُ بنابِهِ

فقُلْتُ لها مَنْ كان غايَةُ هَمِّهِ ... سُؤَالًا لِمَخْلُوقٍ فليسَ بِنابِهٍ. اهـ

٣٠- وقَالَ للقَوْمِ حَادِيهِم وقَدْ جَعَلَتْ وُرْقُ الجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الحَصَى قِيلُوا

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

وقـال: «الـواوُ» حـرفٌ بمعنى «إذْ»، عـلى ما قـدَّره سـيبويهِ والأَقْدَمون فهي للحالِ، مبنيٌّ على الفتحِ لا محلَّ له مِن الإعرابِ، وهو رَابِطٌ للجملَةِ الحَالِيّةِ بِصَاحِبِ الحَالِ. و«قال» فعلٌ ماضٍ معلومٌ مبنيٌّ على الفتح، مُسْندٌ إلى فاعلِه الآتي.

للقوم: «اللّام» حرفُ جرٍّ تُفيدُ التَّبليغَ، وهي الجارَّة لاسمِ السَّامعِ لـ «قَوْلٍ» أو ما في معناهُ. ذَكَرَهُ ابنُ هِشَـامٍ الأَنْصَارِيُّ[1]. «القومِ» اسمٌ مجرورٌ بِهَذِه اللّام. والجارُّ والمجرورُ متعلِّقان بـ «قال».

حادِيهـم: «حادي» فاعلٌ لـ «قـال»، مرفوعٌ، وعلامةُ رفعِه ضمَّـةٌ مُقدَّرَةٌ على الياءِ، مَنَعَ مِن ظُهورِهَا الثِّقَلُ، و«حادي» مضافٌ. والضَّميرُ «هِمْ» مُضَافٌ إِلَيه مبنيٌّ عَـلَى السُّـكُونِ فِي مَحَلِّ جَرٍّ مُضَافٌ إليه. وجملةُ «وقَالَ لِلقَـومِ حَادِيْهِم» في محلِّ نَصْبٍ حَـالٌ مِـن قَولِه «يومًـا»، وإنْ كَانَ نَكِرَةً، فَقَـدْ خُصِّصَ بِالوَصْفِ الّذِي سَـوَّغَ مَجِيءَ الحَالِ مِنه في علمِ النَّحوِ، على حدِّ قولِ ابنِ مَالِكٍ في «الخُلاصة»:

ولم يُـنَـكَّـرْ غَـالِـبًـا ذُو الحَــالِ إنْ لم يَـتَـأَخَّـرْ أو يُـخَـصَّـصْ ....

والتَّخْصِيْصُ بِالوَصْفِ أَوْ بِالإِضَافَةِ.

وقَـدْ جَعلَـتْ: «الواوُ» تَحتمل أنْ تَكُـونَ عَاطِفَةً، وأنْ تَكُونَ حَالِيَّةً لِسـبْقِ هذه الجُمْلَـةِ بجمْلَـةٍ حَاليَّـةٍ قبلَها، كَمَا أَشَـارَ إِلَيْهِ ابنُ هِشَـامٍ الأنصـاريُّ[2]. وقولُه «قد»

---

(١) «مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب» (١/ ٢١٣).

(٢) «مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب» (٢/ ٣٦٠).

....

حـرفُ تَحقيـقٍ مبنيٌّ على السُّـكونِ لا مَحَـلَّ له مِن الإعـرابِ. «جَعَلَـتْ» فعلٌ ماضٍ معلـومٌ مبنيٌّ على الفَتْحِ. والتَّاءُ للتَّأنيـث. و«جَعَلَ» مِن أَفْعَالِ المُقاربةِ للشُّروعِ يرفَعُ الاسمَ ويَنْصِبُ الخَبَرَ.

وُرْقُ: اسـمُ «جَعَلَ» مَرفوعٌ، وعلامةُ رفعِه الضَّمةُ الظَّاهرة على آخره و«وُرْقُ» مضافٌ.

الجَنَادِبِ: مضافٌ إليه مجرورٌ.

يركُضْـنَ: فعـلٌ مضـارعٌ مبنيٌّ على السُّـكونِ لاتِّصالِـهِ بنونِ النّسْـوَةِ في محلِّ رفـعٍ، لِـحُلُولِه مَحَلَّ الاسْـمِ عَلَى مَا ذَهَبَ إليه سِـيبَوَيْهِ[1]، وَوَافَقَهُ على ذلك أَبُو بَكر ابنُ السَّرّاج[2]، وابنُ هِشَـامٍ الأنْصَارِيُّ[3]، أو لِتجرُّدِه مِـن النَّوَاصِبِ والجَوَازِمِ كَمَا يَقُولُ أهلُ الكُوفَةِ. و«نونُ النّسوَةِ» ضَميرٌ مبنيٌّ على الفتحِ في محلِّ رفعٍ فاعل. وجملة «يركُضْنَ» في محلِّ نصبٍ خبرُ «جعل».

الحَصَى: مفعولٌ به منصوبٌ، وعلامةُ نصبِه فَتْحَةٌ مُقدَّرةٌ على الألفِ منعَ مِن ظُهورِها التَّعذُّر، وجملةُ «وقد جعلتْ وُرْقُ الجنادبِ يَرْكُضْنَ الحصى» على القولِ بِأنَّ «الواوَ» حاليَّةٌ وهو الرَّاجحُ في محلِّ نصبٍ مِنْ «حاديهم»، والعاملُ في الحالِ «قال».

---

(١) كتاب سيبويه (٣/ ٩ – ١٠).
(٢) «الأصـول في النّحـو» لأبي بكـر محمّد بن سَـهْل بن السـرّاج النّحويّ البغـداديّ (٢/ ١٤٦). الطّبعة الأولى (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م).
(٣) «مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب» لابن هشام الأنصاريّ (٢/ ٦٥٣).

قِيلوا: فعلُ أمْرٍ، مبنيٌّ على حذف النُّون. والواوُ ضميرٌ مبنيٌّ على السُّكونِ في محلِّ رفعٍ فاعلٌ. وجملة «قيلوا» في محلِّ نصْبٍ مفعول به لـ «قال» في أوَّل البيت. فاعترضتْ جملةُ الحالِ بينَ المَفْعُولِ وفِعْلِه، وذَلِكَ الاعْتِرَاضُ شَائِعٌ لا سِيَّما في الشِّعْرِ.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

حاديْهم: حَاثُّ إبلِهم على السَّيرِ بِحُدَائِه الَّذِي هو الغِنَاءُ لَهَا بِصَوتٍ يَسوق الإبلَ بهذا الغِنَاءِ[1]، على حدِّ قول الرَّاجِزِ:

فَغَنِّهَا فَهْيَ لَكَ الفِدَاءُ ... إنَّ غِنَاءَ الإبِلِ الحُدَاءُ[2]

وُرْق: جمعُ «أوْرَق» وَهوَ مَا لَونُه رَمَادِيٌّ، وقال المُبَرِّدُ: «الأوْرَقُ لونٌ بينَ الخُضْرةِ والسَّوَادِ»[3]. اهـ

الجناذب: جمعُ «جُنْدُب» بِضَمِّ الدَّالِ وفَتْحِها، أَوْ «جِنْدَب» بِفَتْحِ الدَّالِ وكسر الجيمِ كـ «دِرْهم» وزْنًا هو الصَّغيرُ مِن الجَرَادِ، وقيل ذَكَرُ الجَرَادِ[4].

(١) «القاموس المحيط» (٤/ ٣١٥)، و«لسان العرب» (١٤/ ١٦٨)، و كتاب «العَين» المنسوب إلى الخليل بن أحمد الفراهيديّ (١/ ٢٩٦).

(٢) «جمهرة اللغة» (٢/ ١٠٤٧) طبعة دار العلم للملايين بيروت لبنان، الطّبعة الأولى(١٩٨٧م)، و«مفتاح العلوم» للسّكّاكيّ (١/ ١٧٣). دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان، الطّبعة الثّانية (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

(٣) «الكامل» للمُبَرِّد (٢/ ١٠٥٥).

(٤) «لسان العرب» (١/ ٢٥٧).

....

يركُضْنَ: يُحَرِّكْنَ[1] بأرجُلِهِنَّ الحصى.

قيلوا: افعلوا «القَيْلُولَة»، وهي الاستِراحةُ مُطْلَقًا[2]، بِنومٍ أو بدُونِه في نهارٍ أو لَيْلٍ. فقد تكونُ نَومًا في الظَّهيرَةِ عند انتِصَافِ النَّهارِ أو قَبْلَهُ أو بَعْدَه بقليلٍ في الحَضَرِ أو السَّفر. وانتِصافُ النَّهارِ الَّذي هو وقْتُ القيلُولَةِ، يُسَمِّيه العربُ «تَهجيرًا». قال جريرٌ:

أُنِخْنَ لِتَهْجِيرٍ وَقَدْ وَقَدَ الحَصَى وَذَابَ لُعَابُ الشَّمسِ فَوقَ الجَمَاجِمِ[3]

فقولُه «أُنِخْنَ» أي أُبْرِكْنَ. ونونُ النِّسْوَةِ ضميرٌ يعود إلى الإبلِ الَّتي سَارُوا عليها في السَّفرِ نهارًا. وقولُه «لِتهجِيرٍ» أي لاشْتِدادِ حرِّ النَّهارِ، وإناخَةُ الإبلِ لأجْلِ الاسْتِراحةِ في مُنتَصَفِ النهار. وقد وَضَّحَ جريرٌ هَذَا الاشتِدادَ بقولِه: «وقَدْ وَقَدَ الحصى وذابَ لُعابُ الشَّمسِ فوقَ الجماجِمِ». فالواوُ الأولى واوُ الحالِ وما بعدها جملَةٌ حاليَّةٌ في محَلِّ نَصْبٍ، والواوُ الثَّانيَةُ لِعطْفِ الجملةِ الأخيرةِ على الأُولَى. أفادَ ذلك العطفُ اشتِراكَهُمَا فِي الحُكْمِ الَّذِي هُوَ الحَالِيَّةُ، علَى مَا تَقَرَّرَ فِي عِلْمِ المَعَانِي.

وذَكَرَ الإِمَامُ المُبَرِّدُ: «قَالَ». بمعنى الاسْتِرَاحَةِ في اللَّيل، فَسَاقَ بَيْتَينِ لِلَيلى الأَخْيَلِيَّة هما:

دعا قابِضًا والمُرْهَفَاتُ يَنُشْنَهُ فَقُبِّحْتَ مَدْعُوًّا ولَبَّيْكَ دَاعِيًا

---

(١) «القاموس المحيط» (٢/ ٣٣٢).

(٢) «القاموس المحيط» (٤/ ٤٢)، و«الكامل» للمُبَرِّد (٣/ ١٤٠٤)، و«أساس البلاغة» للزَّمخشَريِّ (٢/ ٢٨٩).

(٣) «لسان العرب» (١/ ٧٤١).

....

فَلَيْتَ عُبَيدَ الله كان مكانَهُ صريعًا ولم أَسْمَعْ لِتَوبَةَ ناعِيًا

ثُمَّ قال المُبَرِّدُ: «وكان سَبَبُ هذا الشِّعْرِ أنَّ تَوبَةَ بنِ حُمَيِّر العُقَيليّ ثُمَّ الخفاجِيّ غـزا فغَنِمَ، ثمَّ انصَرَفَ فعَرَّسَ في طَرِيقِهِ، فأَمِنَ فَقَالَ، فنَدَّتْ فَرَسُهُ إلخ...»[1]. اهـ

الشَّاهدُ قولُ الإمَامِ: «فقال»، أي استراحَ في اللَّيل قَيلُولةً في آخرِ اللَّيلِ، لأنَّ التَّعْريسَ هو النُّزُولُ في آخر اللَّيل في السَّفَرِ يَقَعون فيه وَقْعَةً للاسْتِراحةِ ثُمَّ يرتَحِلُون[2].



---

(١) «الكامل» تأليف الإمام أبي العبّاس محمّد بن يزيد المُبَرِّد (١/ ٤٠٤). الطّبعة الثّالثة (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

(٢) «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (٢/ ٢٣٠)، و«لسان العرب» لابن منظور الإفرِقِيّ المِصْريّ (١٣٦/٦).

٣١- شَدَّ النَّهَارِ ذِرَاعَا عَيْطَلٍ نَصَفٍ قَامَتْ فَجَاوَبَهَا نُكْدٌ مَثَاكِيلُ

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

شَدَّ النّهار: «شَدَّ» مصدرٌ منصوبٌ على النِّيابَةِ عَن ظَرفِ الزّمَانِ. وناصبُه «قِيلُوا»، والتّقْدِيرُ «قِيلوا وقْتَ شَدِّ النَّهَارِ»، فَحُذِفَ «وَقْتَ» وهو مُضَافٌ، فَحَلَّ محلَّه «شدَّ» وهو مَضَافٌ إليه، وانتصبَ انْتِصَابَ المُضَافِ، على حدِّ قول ابنِ مَالِكٍ في «الخُلاصَة»:

ومَا يَلِي المُضَافَ يَأْتِي خَلَفًا عَنْهُ فِي الاعْرَابِ إذا ما حُذِفَا

وبذلك حَصَلَتْ نِيَابَةُ المَصْدَرِ عن ظرفِ الزّمَانِ وذلك كثيرٌ، أَشَارَ إليه ابنُ مَالِكٍ في «الخُلاصَةِ» بِقَولِه:

وَقَدْ يَنُوبُ عَنْ مَكَانٍ مَصْدَرُ وَذَاكَ فِي ظَرْفِ الزَّمَانِ يَكثُرُ

هذا وجهٌ مِنَ الإعرَابِ لـ «شدَّ». ويجوزُ أنْ يُعْرَبَ في البيتِ بَدَلًا مِنْ «يومًا» بَدَلَ بعضٍ منْ كلٍّ، والتّقديرُ «شدَّ نَهارِه»، فتكُونُ «أل» مِنَ «النّهَارِ» فِي البيتِ عِوَضًا عنِ المُضَافِ إِلَيْهِ الضّميرِ العَائِدِ إِلَى «يومًا»، وهَذَا على جوازِ أنْ يُبْدَلَ بَدَلٌ مِنْ بدلٍ قبْلَهُ، إذْ «يومًا» كَمَا تَقَدَّمَ بَدَلٌ مِنْ «إذا». ومِمَّنْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ مِنَ العلماءِ: شيخُنَا مُحَمَّد الأمينُ الشِّنقيطيّ، فقال في إعرابِ «رَحْمانَ قُرْبَانًا» مِنْ قولِ جريرٍ في هجائه للأخْطَلِ التّغلبيّ النّصرانيّ:

هلْ تَتْرُكُنَّ إلى القِسِّينَ هِجْرَتَكُمْ ومَسْحَكُمْ صُلْبَكُمْ رَحْمَانَ قُرْبَانًا؟!

....

قال: و«قُرْبانًا» بدلٌ من «رَحمان»، بناءً على جَوَازِ أنْ يَكونَ مِنَ البَدَلِ بَدَلٌ كَما قَال بعضُ الـمُحَقِّقِينَ»[١]. اهـ.

ذِرَاعَا عَيْطَلٍ: «ذِرَاعَا» اسمٌ مرفوعٌ خبرُ «كأنَّ» المتقدِّمِ في قولِه السَّابقِ: «كأنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيهَا»، وعلامةُ رفعِه الألفُ نِيَابةً عَن الضَّمَّةِ، وحَمْلُ الكلامِ على الاعتِرَاضِ بِهذا الفَاصِلِ الطَّويلِ بينَ اسمِ «كأنَّ» وبينَ خبرِه، أولَى مِن حَمْلِه على حذف خبرِ «كَأَنَّ»، لِأَنَّ الحَذْفَ خلافُ الأصلِ فإذا وُجِدَ الأصلُ، وهو الذِّكْرُ مع مِثْلِ هذا الاعْتِرَاضِ كان الحملُ عليه أَهْوَنَ، كما أشارَ إليه أبو عليٍّ الفارسيُّ في نَظيرةِ مسألَتنا هذه فقال: «أمَّا حَمْلُهُ على الاعْتِرَاضِ فهو أَرْجَحُ الوُجُوهِ، لأنَّ الاعتراضَ قد شَاعَ في كلامهم واتَّسَعَ وكَثُرَ، ولم يَجْرِ ذلك عندهم مَجْرَى الفَصْلِ بين المتَّصلَيْنِ بِما هو أَجنبيٌّ، لأنّ فيه تسديدًا وتَبْيِينًا، فَأَشْبَهَ مِن أَجْلِ ذَلِكَ الصِّفَةَ والتَّوكِيدَ»[٢]. اهـ. قلتُ: إنَّ العَرَبَ دَرَجَتْ أَنْ تُعبِّرَ عَنْ حَرَكَةِ قَوائمِ النَّاقَةِ في السَّيرِ بِمِثْلِ هَذَا الأسْلُوبِ التَّشْبِيهِيِّ، وفي ذلك تَأْيِيدٌ لِكَونِ قولِ كَعْبٍ «ذِرَاعَا عَيْطَلٍ» خَبَرًا لِاسْمِ «كأنَّ» وإنْ تَأَخَّرَ عَنه مع الفَصْلِ الطَّويلِ بينهما، لِأَنَّ الـمَعْنَى يَربِطُ بَينَهُما. وقَدْ تَقَرَّرَ في أصولِ النَّحوِ أنّ الإعرابَ تَحْتَ الـمَعْنَى؛ وهذا الأسلوبُ التَّشْبِيهِيُّ أَشَارَ الإمَامُ

---

(١) «رحلة الحجّ إلى بيت الله الحرام» تأليف الشّيخ العلّامة محمّد الأمين بن محمّد المختار الشّنقيطيّ ص (٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣). الطّبعة الأولى (١٤٢٦هـ). دار عالم الفوائد للنّشر والتّوزيع - مكّة المكرّمة -.

(٢) «المسائل الحَلَبيّات» صَنعة أبي عليٍّ الفارسيِّ، ص: (١٤٣). الطّبعة الأولى (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

الـمُبَرِّدُ إليه بِقولِه: «ومِنَ التّشبيهِ المُطَّرِدِ عَلَى أَلْسِنَةِ العَرَبِ مَا ذَكَرُوا في سَيرِ النّاقَةِ وحَرَكَةِ قَوائِمِهَا، قَال الشّماخ:

كَأنّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعَا مُدِلَّةٍ ... بُعَيدَ السِّبَابِ حَاوَلَتْ أنْ تَعَذَّرَا

شَبَّهَ يَدَيهَا بِيَدَي مُدِلَّةٍ بِجَمالٍ ومَنْصَبٍ، قد سابَّتْ وأَقْبَلَتْ تَعْتَذِرُ، وتُشيرُ بِيَدَيْهَا فَوَصَفَ جَمالَها الَّذي بِهِ تُدِلُّ، ومَنصِبَها المَتَّصِلَ بِمَنْ ذَكَرْتُه»[١]. اهـ.

وقال آخرُ:

كَأنَّ ذِرَاعَيهَا ذِرَاعَا بَذِيَّةٍ ... مُفَجَّعَةٍ لَاقَتْ خَلَائِلَ عَنْ عُفْرِ
سمعْنَ لها واسْتَفْرَغَتْ في حَدِيثِهَا ... فَلا شيءَ يُفْرِي بِاليَدَينِ كَمَا تَفْري[٢]

وصَفَهَا بأنّها بَذِيَّةٌ وقد فُجِعتْ بِها أُسْمِعتْ ونِيْلَ منها، ولَقِيَتْ خَلائِلَها[٣] بَعْدَ زمنٍ وتلك الشَّكْوَى كامِنَةٌ فيها، وأَصْغَيْنَ إليهَا يَتَسَمَّعْنَ»[٤]. اهـ.

وليس ثَمَّةَ فَرْقٌ بينَ قَوْلَيْهِمَا في هذا الأسلوبِ التّشبِيْهِيِّ بـ «كَأَنّ»، وبَينَ قَولِ كَعْبٍ، إلّا «أَوْبُ» الـمُضَافُ في قولِ كعبٍ إلى «ذِرَاعَيْهَا»، فلو حُذِف هذا المضافُ وجاء المضافُ إليه مَقَامَه - كما قَالَ ابنُ مَالِكٍ:

ومَا يَلِي الـمُضَافَ يَأْتِي خَلَفًا ... عَنهُ في الاعْرَابِ إذَا مَا حُذِفَا

---

(١) «الكامل» للمُبَرِّد (٢/ ١٠٠٦).
(٢) «الكامل» للمبرِّد (٢/ ١٠٠٨).
(٣) «خلائل» مِن جُموعِ التّكسير لـ «خليلة». «لسان العرب» (١١/ ٢١٨). وقولُه «عَنْ عُفْرٍ» بعد «خَلائِل» معناه طُولُ عَهْدٍ. «لسان العرب» (٤/ ٥٨٨). وقولُه «تَفْري» تَقْطَعُ.
(٤) البيتان في «الكامل» للمُبَرِّد (٢/ ١٠٠٨ - ١٠٠٩).

لَاسْتَوتْ الأسَالِيبُ الثّلَاثَةُ في ظَاهِرِ اللَّفظِ، إلَّا أنَّ هذا المضافَ في قولِ كعبٍ تَصْرِيحٌ بما يَدُلُّ على نوعِ الحَرَكَةِ في كلٍّ مِنَ المُشَبَّهِ الّذي حَرَكَتُهُ حَرَكَةُ الذِّرَاعَينِ عِنْدَ السَّيرِ، ومِن المُشَبَّهِ بِهِ الّذِي حَرَكَتُه حَرَكَةُ اليَدَينِ، عِندَ الصِّيَاحِ بِالبُكَاءِ في مُصِيبَةِ موتِ وَلَدٍ أو غَيْرِه، فِي عَادَةِ نِسَاءِ العَرَبِ فِي الجَاهِلِيَّةِ.

و«ذِرَاعَا» مُضَافٌ. و«عَيْطَلٍ» مضافٌ إليه مجْرُورٌ.

نَصَفٍ: نَعتٌ لـ «عيطل»، تَابعٌ لهُ في إعرابه.

قامتْ: فعلٌ ماضٍ معلومٌ مبنيٌّ على الفَتحِ، وفَاعلُه ضميرٌ مُستترٌ فيه جوَازًا تقديرُه «هي» يعود إلى «عَيطَل». و«التَّاءُ» للتّأنيثِ، وجملةُ «قامتْ» في محلِّ جرٍّ نعتٌ ثانٍ لـ «عيطل».

فجاوبَها: «الفاء» حرفُ عطفٍ للتّرتيبِ. «جَاوَبَ» فعلٌ ماضٍ معلومٌ مبنيٌّ على الفَتْحِ. و«ها» ضميرٌ مبنيٌّ على السُّكونِ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ، مَفعولٌ به.

نُكْدٌ: فاعِلُ «جاوبَ» مَرفوعٌ، وعلامةُ رفعِهِ الضّمَّةُ الظّاهِرَةُ.

مثاكيل: نعتٌ لـ «نُكْدٍ» تابعٌ لِهَذَا اللّفظِ فِي إعْرَابِه، والغَرَضُ مِن هذا النَّعتِ التَّوكيدُ.

ثانيًا: تفسيرُ كلمات هذا البيت:

شدّ النّهار: وقتُ اشتدادِهِ وهو ارتِفَاعُه.

....

ذِرَاعَـا عَيْطَـل: الذِّرَاعُ مِن يَـدَيِ البَعِيرِ ما فوق الوَظِيف وَقَـدْ تَقَدَّمَ. «عَيطَل» امرأةٍ طويلة العُنُقِ في حُسْنِ جِسْمٍ[١].

نَصَفٍ: كَهْلةٍ. كأنَّ نِصْفَ عُمْرِهَا ذَهَبَ، ويقال «نَصَفَةٌ» أيضًا، والذَّكَرُ «نَصَفٌ» فقطْ بدون تَاءٍ[٢]. وتُوصفُ النَّاقةُ بـ«النَّصَفِ». قَالَ الشَّاعِرُ:

وإنْ أتَـوكَ وقَـالُـوا إنَّـهـا نَـصَـفٌ … فـإنَّ أَطْـيَـبَ نِـصْفَيهـا الَّـذي غَـبَرَا

قامتْ: أي تهَيَّأَتْ هذه العَيْطَلُ النَّصَفُ على البُكَاءِ عَلَى وَلَدِها الوَحِيدِ الفقيدِ، والعَـربُ تَستعمِلُ «قام» للشُّروعِ والعـزْمِ على فِعْلِ شيءٍ[٣]. وذلـك يُفسَّرُ بِالتَّهيُّئِ للفِعْلِ أيضًا. وجَاءَ الفِعْلُ «قَامَ» عَلَى هَذَا المعنى في قولِ أبي عَطَاءٍ السِّندي:

أَلا إنَّ عَـيْنًا لمْ تَجُـدْ يَـومَ وَاسِـطٍ … عَـلـيكَ بِجَـارِي دَمْـعِـهَـا لَجَـمُـودُ

عَـشـيَّـةَ قَـامَ الـنَّـائِـحَـاتُ وشُقِّقَتْ … جُيُوبٌ بِـأَيـدِي مَـأْتَمٍ وخُـدُود[٤]. اهـ

الشّـاهدُ قولُه «قامَ النَّائحَات». قال المرزُوقيُّ: «ومعنى قِيامِ النَّائحاتِ تهَيُّؤُها للنَّوحِ»[٥].اهـ.

فَجاوبَها: أي أَجَابَهَا وفَعَلَ مِثْلَ فِعْلِها.

---

(١) «لسان العرب» (١١/ ٤٥٥)، و«القاموس المحيط» (٤/ ١٧).

(٢) «لسان العرب» (٩/ ٣٣١).

(٣) «القاموس المحيط» (٤/ ١٦٨)، و«لسان العرب» (١٢/ ٤٩٧).

(٤) «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقيّ (٢/ ٧٩٩).

(٥) «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقيّ (٢/ ٨٠٠). الطّبعة الثّانية (١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م).

نُكُدٌ: جمع «ناكد» وهي الّتي لا يعيشُ لها ولدٌ[١]، والمرادُ أجابَهَا نسوةٌ أخرُ لا يَعيشُ لَهُنّ وَلَدٌ، وبَكَيْنَ مِثْلَ بُكَائِهَا وصِيَاحِهَا، على عَادَةِ العَرَبِ الجاهليِّين، في كونِ نسَائِهم يَجْتَمِعْنَ في مكانٍ للنِّيَاحَةِ عِنْدَ المُصِيبةِ، كما تقولُ الخَنْسَاءُ في بُكَائِهَا على أخِيهَا صَخْرٍ:

ولَولا كَثْرَةُ البَاكِينَ حَولِي … عَلَى أَخَوَاتِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي

مثاكِيل: جمع «مِثكال»، وهي المرأةُ الكثيرةُ الثَّكَل أو الثُّكْل، وهو الهَلاكُ والموتُ لِوَلَدِ المَرْأَةِ الوَحِيدِ[٢]. وفِعْلُه «ثَكِلَ» مِنْ بَابِ «شَرِبَ»، يقال «ثَكِلَتْ المرأةُ وَلَدَهَا» أي فَقَدَتْهُ، قال خُرَاشَةُ بنُ عَمْرٍو العَبْسِيُّ الجَاهِلِيُّ:

ونَحْنُ تَرَكْنَا عَنْوَةً أُمَّ حَاجِبٍ … تُجَاوِبُ نَوْحًا ساهِرَ اللَّيلِ ثُكَّلا[٣]. اهـ

أي: تَركْنَا أمَّ حَاجِبٍ مُجاوبةً نِسَاءً نائِحةً. عَنْوَةً: قَهْرًا وغَلَبَةً، لأَنَّا قَتَلْنا ابنَها جِهَارًا. و«ثُكَّلًا» جمعُ «ثاكِلَة» على وزنِ «فَاعِلَة»، إذْ «فَاعلٌ وفَاعِلَة» لِلمُذكَّر والمؤنَّثِ يُجمعانِ على «فُعَّل»، على حدِّ قولِ ابنِ مَالكٍ في «الخُلَاصَة»:

وفُعَّلٌ لِفَاعِلٍ وفَاعِلَة … وَصْفَينِ نحوُ عَاذِلٍ وعَاذِلَة

---

(١) «القاموس المحيط» (١/ ٣٤٢)، و«لسان العرب» (٣/ ٤٢٨). قلت: «نُكُدٌ» جمعٌ لـ«نَكِدٍ» وهو اسمُ فاعلٍ على وزنِ «فَعِل» لِفِعْلِه الثُّلاثيّ «نَكِدَ» وافَقَ وَصْفُهُ فِعْلَهُ في الوزنِ، لأنَّ معنى هذا الفِعْلِ شيءٌ يَعْرِضُ للإنسانِ ثُم يَزُولُ. على ما تقرّرَ في فنِّ الصَّرفِ.

(٢) «أساس البلاغة» للزّمخشريّ (١/ ٩٦)، و«لسان العرب» (١١/ ٨٩)، و«القاموس المحيط» (٣/ ٣٤٣).

(٣) «شرح اختيارات المُفضَّل الضَّبِّيّ» للخطيبِ التِّبْريزيّ (٣/ ١٦٣٥).

....

والتّحقِيقُ أنَّ هَذَا الثَّكَلَ، وهو فَقْدُ الوَلَدِ، يَتَسَبَّبُ منه حُزْنٌ وَأَلَمٌ عادةً، يُقَارِنُهما حَرَارَةٌ فِي القَلْبِ مِمَّا جَعَل سيبَوَيهِ يُفسِّره بقوله: وقالوا «ثَكِلَ يثْكَلُ ثَكْلاً»، وهو «ثَكْلَانُ وثكلى» جعَلُوه كـ«العَطَشِ» لأَنَّه حَرَارَةٌ فِي الجَوْفِ[١]. اهـ. فالخُلاصَةُ أنّ كعبًا شَبَّهَ حَرَكَة قَوَائِمِ نَاقَتِه في شِدَّةِ سَيرِهَا في الحَرِّ إلى سُعَاد، مِنْ قَولِه «كأَنَّ أَوبَ ذِرَاعَيهَا» في البيتِ الثّامِنِ والعِشْرِينَ، حَيثُ يوجد المشبَّهُ وأداةُ التَّشبيهِ، بِحَرَكَةِ ذِرَاعَي عَيْطَل في صِيَاحِهَا وبُكَائِهَا لِـمُصيبةٍ نزلتْ بها، ووجْهُ الشَّبهِ كَثْرَةُ وشدّةُ الحَرَكَةِ فِي كلٍّ، لِعُضْوَينِ هُمَا الذِّرَاعَان. ولَمَّا كَانَ وجْهُ الشَّبَهِ فِي «أَوبِ ذِرَاعَي النّاقة» أَقْوَى منه في «ذِرَاعَي عَيْطَل»، ومع ذلك جَعَل الأوّل مُشبَّهًا - ويستحقُّ أنْ يكونَ مشبَّهًا به -، كانَ التّشْبِيهُ مِنَ النَّوعِ الّذِي يُسَمَّى «تَشْبِيهًا مَقْلُوبًا» في علمِ البَيَانِ، لِـمَا تَقَرَّرَ فيه أنَّ الأَصْلَ جَعْلُ مَا كان وجهُ الشَّبهِ فيه قويًّا مُشَبَّهًا بِهِ فيؤخَّر، وما ليس كذلك يُجْعلُ مُشَبَّهًا فيُقدّم، فإذا عُكِسَ ذلك سُمِّيَ «مَقلُوبًا»[٢]، ولَعلَّ كعبًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَصَدَ إلى أنَّ وَجْهَ الشَّبْهِ وهو حَرَكةُ ذِرَاعَيْ نَصَفٍ أَبْلَغُ وأَتَمُّ مِنه في ذِرَاعَي نَاقتِه، وهي النُّكتَةُ البَلاغِيَّةُ فِي التَّشْبيهِ الـمَقْلُوبِ أَوْمَأَ إِلَيْهَا السَّكَّاكِيُّ[٣].

ويَشْهَدُ لِـهَذَا التَّشْبيهِ الـمَقلُوبِ مَا جَاءَ مِنهُ فِي قَولِ غَيلانَ ذِي الرُّمَّة:

وَرَمْلٍ كَأَوْرَاكِ العَذَارَى قَطَعْتُهُ ... إِذَا جَلَّلَتْهُ المُظْلِمَاتُ الحَنَادِسُ[٤] اهـ

---

(١) كتاب سيبويه (٤/ ٢٤).

(٢) «أسرار البلاغة» تأليف عبد القاهر الجرجانيّ، ص: (٢٠٤). قرأه وعلّق عليه أبو فِهْرٍ محمود محمّد شاكر. الطّبعة الأولى سنة (١٤١٢هـ - ١٩٩١م). النّاشر: مطبعة المدنيّ بِجُدّة.

(٣) «مفتاح العلوم» للسّكّاكيّ، ص: (٣٤٣).

(٤) «ديوان ذي الرُّمَّة» بشرحِ أحمدَ بنِ نَصْرٍ الباهليِّ صاحِبِ الأصْمَعِيّ (٢/ ١١٣١). الطّبعة الثّالثة =

ومِنْ أَجْلِ هَذِهِ النُّكْتةِ البَلاغِيَّةِ، والعِلَّةِ المعنويَّةِ الرَّاجِعَةِ إلى المشبَّه به في التّشبيهِ الـمَقْلُوبِ، يَظْهَرُ لِي لو قُلِبَ التَّشْبِيهُ المَعْرُوفُ عندهم، وهو «زَيدٌ كالأَسْدِ» إلى تَشْبِيهٍ مقلوبٍ، فيقال «الأسـدُ كعَنترةَ» مَثَلًا، لأنّ وجهَ الشَّبهِ وهي الشَّجَاعَةُ في مِثْلِ عنترةَ الإنسـانِ العاقلِ الشُّجاعِ أَتَمُّ وأَبْلَغُ منه في الأسدِ الحيوانِ المفترسِ، الَّذِي لا عقل له إذِ الشَّجاعة على التَّحقيقِ: الإقدامُ في مَحَلِّ الإقدامِ، والإحْجَامُ في مَحَلِّ الإحْجَامِ مِنَ الشُّجَاعِ، وذلك غَيرُ مَوجُودٍ في شجاعةِ الأَسدِ، فالإنسانُ الشُّجَاعُ قد يَصِيدُ الأسدَ الشُّجَاعَ. واللهُ أعلمُ.



= (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م). شبّه ذو الرُّمَّة الرَّمْلَ بأوراكِ العذارى على عكسِ التّشبيهِ لِنُكْتَةٍ. و«الواو» من قوله: «وَرَمْلٍ» واوُ «رُبَّ» ينجرُّ الاسمُ بعدها بـ «رُبَّ» محذوفةً مع بَقَاءِ عَمَلِها، على ما تقرّر في علْمِ النَّحوِ. و«جَلَّلَتْه» غَطَّتْهُ. و«الـمُظْلِماتُ الحَنادِسُ» الظُّلُماتُ الحوالِكُ.

٣٢- نوَّاحةٍ رِخْوةِ الضَّبْعَينِ ليسَ لَها   لَمَّا نَعَى بِكْرَهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

نوَّاحةٍ: نعتٌ ثالثٌ لـ «عيطل»، تابعٌ للفظهِ في جرِّه.

رِخْوَةِ الضَّبعَينِ: «رِخْوَةِ» نعتٌ رابعٌ لـ «عيطل» تابعٌ لـه في جرّه، و«رخوة» مضافٌ. و«الضَّبعَين» مضافٌ إليه مجرورٌ وعلامةُ جرِّه الياءُ.

ليسَ لَها مَعقُولُ: جوابُ «لَـمَّا». و«ليس» فعلٌ ماضٍ ناقصٌ جامدٌ مبْنيٌّ على الفتح، مِن أخواتِ «كان» يرفعُ الاسمَ وينصبُ الخَبَرَ. و«لها» جَارٌّ ومَجرورٌ متعلِّقان بمحذوفٍ هو خبرُ «كانَ». والتَّقْدِيرُ «مَوجُودًا لَهَا».

لَمَّا: كلمةٌ تختصُّ بالماضي، فتَقْتَضِي جملتَينِ وُجِدَتْ ثَانِيَتُهُمَا عِنْدَ وُجُودِ أُولاهما الوَاقعـةِ بَعدَ «لـمَّا». واخْتَلَفَ النُّحَاةُ في معنَى «لـمَّا» فقال سِـيبويهِ: هي للأَمْرِ الَّذِي وَقَـعَ لِوُقُوعِ غَيْرِهِ[1]. اهـ. ويشرحُ المتَأَخِّرُونَ ذلك بقولِهم «حرفُ وُجودٍ لِوُجُودٍ»، أو «حـرفُ وُجُوبٍ لِوُجُوبٍ»[2]، وقال أبو عليٍّ الفارسيُّ ومَنْ وافقه مِن عِلْيَةِ طَلَبَتِه كابـنِ جنِّيّ والمرزوقيّ: هـي عَلَمٌ للظَّرف بمعنى «حين»، وذهـبَ ابنُ مَالكٍ إلى أنّ «لـمَّا» ظرفٌ لِمَا مَضَى مِنَ الزّمان كـ«إذْ» إذا وَلِيَ «لـمَّا» فعلٌ ماضٍ لفظًا ومعنًى، وفيه معنى الشَّرط[3].

وإعـرابُ «لَـمَّا» عَلَى أَقوالِ النّحاةِ هَذهِ: أنّها مَبْنِيَّة على السُّكونِ لا محلَّ لها مِن الإعرابِ عندَ سيبويهِ لأنّهَا حرفٌ، وعند غيرِ سِـيبويهِ هي: اسمٌ مبنيٌّ على السّكُونِ

(١) كتاب سيبويه (٤/ ٢٣٤).
(٢) «الـمُساعد على تسهيل الفوائد» (٣/ ١٩٨).
(٣) «الـمُساعد على تسهيل الفوائد» (٣/ ١٩٧).

....

في محلِّ نَصبٍ عَلَى الظّرفيّةِ الزَّمَانيَّة، إمَّا بالفِعْلِ «نَعَى» بَعْدَها وإمَّا بالفعلِ «ليس» في الجوابِ الَّذِي هو «ليس لها معقول».

ويَـرِدُ عـلى القـولِ بأنَّ العامـلَ في محلِّ «لـمَّا» النّصـبَ على الظّرفيَّـة هو الفعلُ «نعى»، أنَّ «نعى» مع فاعلِه جملةٌ في محلِّ جرٍّ مُضافٌ إليه، والمضافُ «لَـمَّا»، والأصل في العامل أنْ يَتَقَدَّمَ عَلَى الـمَعْمُولِ أَصَالَةً، وهذا الفعلُ هُنَا مُتَأَخِرٌ عَن «لَـمَّا» أَصَالةً فلا يُمْكِنُ أنْ يَعْمَلَ فيهِ، إذِ المضافُ إليه لا يَعْمَلُ في المضافِ.

ويَـرِدُ عـلى القـولِ بِأنَّ العَامِـلَ هو الفِعل «ليـس» في الجواب، أنَّـه فعلٌ جامدٌ فـلا يُتَـصرَّف في تقديم معمولـه عليه، كما يجوز ذلـك في معمولِ الفِعْـلِ المتصرِّف. فظهَرَ بِهَذَا التَّقريرِ أنَّ ما ذهب إليه سيبويهِ مِنْ حرفيَّةِ «لَـمَّا» هو الأرجحُ وأنَّها ليستْ حِينيَّةً ظَرْفيَّةً[1]. والعلمُ عند اللهِ تَعَالَى.

نعـى: فعـلٌ ماضٍ معلومٌ مبنيٌّ على فتحةٍ مقدَّرةٍ عـلى الألف منع مِن ظهورِهَا التَّعذّر.

بِكرَهـا: «بكر» مفعولٌ به منصوبٌ، وهو مضـافٌ. و«ها» مضافٌ إليه في محلِّ جرٍّ.

النّاعون: فاعلُ «نعى»، مرفوعٌ وعلامةُ رفعِه الواوُ، نيابةً عن الضَّمَّة لأنَّه جمعُ مذكّرٍ سالمٌ.

---

(١) وقد أَرْجَأنَا الكَلَامَ عَلَى مَنشَإِ الخِلَافِ في أَصلِ «لـمَّا»، هل هو حرف أو اسم إلى شرح البيت:

في فـتـيـةٍ مِـن قـريـشٍ قـالَ قـائلُهم ... بِـبَـطـنِ مَـكّـةَ لـمَّـا أَسـلـمُـوا زُولُـوا

فارْتَقِبْهُ هُنَالِكَ.

....

معقول: اسمُ «ليس» مرفوعٌ، وجملةٌ «ليس لها لَـمَّا نَعَى بكرها النّاعون معقول» في محلِّ جرٍّ نعتٌ خامسٌ لـ «نوَّاحة». وترتيبُ الكلامِ: لَـمَّا نَعَى النّاعون بكرها لَيسَ لَهَا مَعقول.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

نوَّاحة: للمبالغَةِ، كثيرةُ النَّوحِ وهو الصِّيَاحُ بِالبُكَاءِ، لأنَّ صيغةَ «فَعَّال» في الوصفِ تقتَضِي التّكثيرَ لِفِعْلِ النِّياحةِ في مكانٍ يُقَالُ لَهُ «المَنَاحَة»، تكونُ فيها النَّائحةُ مع غَيرِها مِنَ النَّائِحَاتِ على عادةِ نِسَاءِ العَرَبِ في الجاهليَّة إذا ماتَ لهم عزيزٌ.

رِخوة الضَّبعَين: «رِخوٌ» بكسْرِ الرَّاءِ وضمِّها وفَتْحِها، والكسرُ أجودُ. معنَى هذه اللَّفظَةِ «الهَشُّ مِنْ كلِّ شيءٍ»؛ أو «الشَّيءُ الّذي فيه رَخَاوَةٌ»[1]. فـ «رِخوٌ» وَصْفٌ مُشْتَقٌّ على وَزْنِ «فِعْل» للشَّيءِ الّذي فِيهِ تلك الرَّخاوة. قال غَيلان ذو الرُّمَّة في وَصْفِ مَيَّ:

وتَكْسُو المِجَنَّ الرِّخْوَ خَصْرًا كَأَنَّه ... إهَانٌ ذَوَى عن صُفْرةٍ فهو أخلَقُ

فَقَولُه: «الرِّخو» هو الشَّاهد، وَقَعَ نعتًا لِـمَا قَبْلَه إذ هو صفةٌ مُشَبَّهةٌ باسمِ الفاعلِ. وفِعْلُ هَذا الوصْفِ «رَخُوَ» على وَزْنِ «فَعُلَ». ومَصدَرُه القِيَاسِيُّ «رَخَاوَة» وهي السُّهولةُ واللِّينُ. وهذا الوصفُ «رِخْوٌ» بكسرِ الرَّاء، وقد تُضَمُّ. وكسرُها أَحْسَنُ على قولِ بعضِ أهلِ اللُّغة: «كَلَامُ العَرَبِ الجَيِّدُ: الرِّخوُ بكسرِ الرَّاءِ. قالَه

---

(١) «لسان العرب» (١٤/ ٣١٤)، و«القاموس المحيط» (٤/ ٣٣٣).

....

الأَصْمَعِيُّ والفَرَّاء، والأنثَى بِالهَاء»[١]. اهـ. قلتُ: ولعلَّ كونَ «الرِّخْوِ» بِكَسْرِ الرَّاءِ جَيِّدًا أنّه المنقولُ فيه عن العَرَبِ. وأمَّا الضّمُّ فلم يُنْقل فيه عنهم، وإنْ كان الضَّمُّ وكذلك الكَسْرُ قدْ يُنْقلانِ في بعض الصِّفات على هذا الوزن. إذْ وزنُ «فِعْلٍ» أو «فُعْلٍ» صِفَةً لِلفِعْلِ على وزنِ «فَعُلَ» غيرُ قياسيٍّ. أشَارَ إليهِ ابْنُ مَالِكٍ فِي «لاميَّة الأفعالِ» فِي قوله:

وكَالفُرَاتِ وعِفْر ....

والشّاهد: «عِفْر». فإنّه على وزن «فِعْل» صِفَةً مُشَبَّهةً باسمِ الفاعلِ للفِعْلِ «عَفُر الرَّجُلُ»[٢].

الضَّبعين: تثنيةُ «ضَبْع» وهو وسَط العَضُد بِلَحْمِه، يَكُونُ للإنسان وغيرِه، فـ«رخوة الضبعَين» سَهْلَةُ الضّبعَينِ.

نعى: معناه أخبر مُخبرٌ بالموت.

بِكْرَها: أوَّلُ مَولُودٍ لها، يطلق على الذّكر والأنثى بلفظٍ واحدٍ.

النَّاعون: الـمُخبرون عن الموت.

معقول: أي «عَقْلٌ». ومنه قولُ عبدِ الله بنِ الزُّبير لِعبدِ الله بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا:

---

(١) «لسان العرب» (١٤/ ٣١٤)، و«القاموس المحيط» (٤/ ٣٣٣).
(٢) «يَعْفُرُ» فهو عِفْرٌ أي خَبيثٌ مُنكرٌ داهٍ. «القاموس المحيط» (٢/ ٩٢)، و«لسان العرب» (٤/ ٥٨٦)، وقد سُمِعَ ضمُّ الفاءِ فيه «عُفْر». شرح بَحْرَق على «لاميّة» ابن مالك، ص: (٤٤) وهو الشّرح الصّغير مع حاشية ابن حمدون.

....

«واعقِلْ إنْ كان لك معقول»[1] أي: عَقْل. فيُرِيدُ كعبٌ: أنَّها حِينَ أَخْبَرَ الـمُخْبِرُونَ بِموتِ أوَّل مَوْلُودٍ لها، ذهبَ عَقلُهَا مِن شِدَّة الجزَعِ وعدَمِ الصّبرِ على عادَةِ الجَاهِليِّينَ. فـ«معقـول» مصـدر «عقَل» الثُّلاثيّ جاء على زِنَة اسـم المفعول أشـارَ إلى مِثْلِهِ أهْلُ العلـمِ بالعربيَّةِ[2]. إلَّا أنَّه قليلٌ فيُقْتَصَرُ فيه عَلى المسـموعِ. وقد ذَكَرَ سِـيبَويهِ أنَّ زِنة «مَفعـول» الَّتي جـاءَ عَليهَا لَفْظُ «مَعقـول» وهو حَدَثٌ أي مَصْدَرٌ يُـؤَوَّل بمصدرٍ. فقال في كيفيَّةِ التَّأويل: «وأمَّا قولُه: دَعْهُ إلى ميسُـورِه ودَعْ معسُـورَه، فإنَّما يَجِيءُ هذا عـلى «المفعـول» كأنّه قال: دعْه إلى أمرٍ يـوسَر فيه، أو يُعْسَر فيـه، وكذلك «المرفوع» و«الموضـوع»، كأنَّه يقـول: له ما يَرْفَعُه وله ما يَضَعُه؛ وكذلك «المعقول»، كأنَّه قال: عُقِلَ له شيءٌ أي حُبِسَ له لُبُّهُ وشُـدِّدَ»[3]. اهـ. هذا إذا قلت: «له معقول» بالإثباتِ فالـشَّيءُ الَّذي يُحبَسُ فيكونُ معقولًا هو العقـلُ، الّذي هو مصدرٌ أُطلِـقَ على هَيئَةٍ محمُودَةٍ للإنْسَـانِ فِي حَرَكَاتِه وَكَلَامِه[4]. وإذا كان «معقول» منفيًّا كما في بيتِ كعبٍ هذا، فالتَّأويل: ليسَ لها هيئَةٌ محمودةٌ في حركاتِها وكلامِها.

❁❁❁

(١) شرح ابن أبي الحديد على «نهج البلاغة» (٤/ ٤٨٧).

(٢) «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد»، ص: (٢٠٥)، و«القاموس المحيط» (٤/ ١٨).

(٣) كتاب سيبويه (٤/ ٩٥، ٩٧) تحقيق عبد السّلام محمّد هارون. دار الجيل - بيروت - الطّبعة الأولى.

(٤) «القاموس المحيط» (٤/ ١٨).

٣٣- تَفْرِي اللَّبَانَ بِكفَّيْهَا ومِدْرعُهَا مُـشَـقَّـقٌ عَـنْ تَـرَاقِـيـهَـا رَعَـابِـيـلُ

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

تَفْرِي: فِعْلٌ مضارعٌ معلومٌ، مرفوعٌ لِحلولِه محلَّ الاسْـمِ علَى قولِ سِـيبويْهِ، أو لِتجرُّدِه مِنَ النَّواصِبِ والجوازم على ما يقولُ أهلُ الكُوفةِ، وفاعلُه ضميرٌ مُسْتَتِرٌ فيهِ جَوَازًا تَقديرُه «هي» يَعُودُ إلى «عَيْطل».

اللَّبانَ: مفعولٌ به منصوبٌ.

بِكَفَّيْهَا: «الباء» حرفُ جرٍّ معناه الاستعانَةُ. و«كفَّي» مجرورٌ بـ«الباء» وعلامةُ جرِّه «الياء»، وهو مضافٌ. و«ها» مضافٌ إليه مبنيٌّ على السّكونِ في محلِّ جرٍّ.

ومِدْرعُها: «الواوُ» للحَالِ. «مِدرع» مبتدأٌ مرفوعٌ، وهو مضافٌ. و«ها» مضافٌ إليه مَبْنِيٌّ على السُّكُونِ في مَحَلِّ جرٍّ.

مُشقَّقٌ: خبرُ المبتدإ مرفوعٌ.

عنْ: حرفُ جرٍّ، معناه «التجاوُز».

تراقيها: «تراقي» مجرورٌ بـ«عن»، وعلامةُ جرِّه كسرةٌ مقدَّرةٌ على الياء منَعَ مِن ظُهورِهَا الثِّقَلُ وهو مضافٌ. و«ها» مضافٌ إليه مبنيٌّ على السّكونِ في محلِّ جرٍّ. «عن تراقيها» الجارُّ والـمَجرُورُ بِالحَرْفِ «عَن»، متعلِّقان بـ«مُشقَّق» لأَنَّه وصفٌ يَعْمَلُ عَمَلَ فِعْلِه.

رَعَابِيل: خبرٌ ثالثٌ لـ«مِدْرَعها» مرفوعٌ؛ وجملة «ومدرعها مشقَّق... إلى آخر البيت» في محلِّ نصبٍ حالٌ مِنَ الضّميرِ المُسْتَتِرِ في «تَفْرِي»، وَهُوَ العَامِلُ في الحَالِ، وهو قيدٌ لِعَامِلِه.

....

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

تفري: تشُـقُّ وتقطعُ قَطْعًا فَاسِدًا أو صَالِحًا، كَمَا يَفْرِي الخَرَّازُ الأَدِيمَ[1]. وجاءَ هذا الفَرْيُ في أمْرٍ معنويٍّ، في قولِ زُهيرِ بنِ أَبِي سُلْمى في مدحِ هَرِمِ بنِ سِنان:

وَلَأَنْـــتَ تَفْــرِيْ مَــا خَلَقْـــ ... ـتَ وبَعْضُ القَومِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي[2]

اللّبَان: الصّدرُ أو وَسَطه أو ما بينَ الثّدْيَينِ[3].

مدرعها: قميصُها. وقيل: الدَّرع هو القميصُ، والـمِدْرَعُ نوعٌ من الثِّياب[4].

مشقَّق: مُمَزَّقٌ مُفرَّقٌ.

تَرَاقيها: «التَّرَاقِـي» جمـعُ «تَرْقُـوَة» بفتح التَّاء عـلى وزن «فَعْلُـوَةٍ»، ولا تُضمُّ التَّـاءُ فتقـولُ «فُعْلُـوة». وتثْنِيَتُـه «تَرْقُوَتَـانِ»، وهمـا عَظْـمَانِ مُشْرِفـانِ بَـينَ النَّحْـرِ والعَاتِقِ[5].

رَعَابِيل: قِطَع. جُمِـع بِاعْتِبَارِ أَجْزَاءِ الـمِدْرَعِ المُمَزَّقَةِ، ومُفْرَدُهُ «رُعْبُولَة» تَقولُ: هَـذه رُعبُولَـةٌ مِن كذا، أي قِطعةٌ مِنهُ[6]. وفعلُه «رَعْبَلَ» يقالُ «رَعْبَلَ الثَّوبَ» قَطَعَهُ،

---

(١) «القاموس المحيط» (٤/ ٣٧٣)، و«لسان العرب» (١٥/ ١٥٢).

(٢) «شرح ديـوان زُهـير بـن أبي سُـلمى» صَنعـة أبي العبَّـاس ثَعْلَـبٌ، ص: (٩٦). الطّبعة الأولى (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م). دار الكتاب العربيّ - بيروت - لبنان.

(٣) «القاموس المحيط» (٤/ ٢٦٥)، و«لسان العرب» (١٣/ ٣٧٦).

(٤) «لسان العرب» (٨/ ٨٢)، و«القاموس المحيط» (٣/ ٢٠).

(٥) «لسان العرب» (١٠/ ٣٢)، و«القاموس المحيط» (٣/ ٢١٦).

(٦) «لسان العرب» (١١/ ٢٨٩)، و«القاموس المحيط» (٤/ ٣٨٥).

....

فـ«تَرَعْبَلَ» أي تَقَطَّع. وجاء اسمُ المفعولِ لِهذا الفعلِ في قولِ الشَّنْفرى في «لاميَّتِه» المشهورةِ:

نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَلَا كِنَّ دُوْنَهُ ... ولا سِتْرَ إِلَّا الأَتْحَمِيُّ المُرَعْبَلُ

فـ«المُرَعْبَلُ» المُمَزَّقُ المُقَطَّعُ. و«الأَتْحَمِيُّ» نوعٌ مِن الثِّياب.





٣٤- يَسْعَى الوُشَاةُ جَنَابَيْها وقَولُهُمُ   إنَّـكَ يَا ابْـنَ أَبِـي سُـلْمَى لَمقتُولُ

أوّلاً: إعراب كلمات هذا البيت:

يَسْعَى: فعلٌ مضارعٌ معلومٌ مرفوعٌ، لِحلوله محلّ الاسم، أو لتجرُّده من النّواصبِ والجوازمِ، وعلامةُ رفعِه ضمّةٌ مقدَّرةٌ على الألف منعَ مِنْ ظُهورِهَا التّعذّرُ.

الوُشاة: فاعلُ «يسعى» مرفوعٌ.

جنابيها: «جنابَيْ»: ظرفُ مكانٍ مفعولٌ فيه منصوبٌ بالفعل «يسعى»، وعلامةُ نصبِه «الياءُ» لأنَّه مثنًى، والتّقديرُ: «يَسْعَى الوُشَاةُ فِي جَنَابَيْهَا»، عَلَى حدِّ قولِ ابنِ مَالِكٍ في «الخُلاصة»:

الظَّرف وقتٌ أو مكانٌ ضُمِّنَا   «في» باطّرادٍ كـ «هُنَا امْكُثْ أزْمُنًا»

و«جنابَيِ» مضافُ. و«ها» مضافٌ إليه مبنيٌّ على السُّكُونِ في محلِّ جرٍّ.

وقولهم: «الواوُ» يَحْتَمِلُ أنْ تكونَ واوَ المعيَّةِ، وأنْ تكونَ واوَ الحالِ، فإذا كانت للمعيَّة نَصَبْتَ «قولَ» على أنّه مفعولٌ معه، والتّقديرُ: يسعى الوُشاةُ جنابَيهَا مَعَ قَولِهِم[1]. وإذا كانت «الواوُ» للحالِ رفعْتَ «قولُ» على أنَّه مبتدأٌ، والجملةُ إسْميَّةٌ والتَّقدير: «وَهُم يقولون إنّك يا ابنَ أَبِي سُلمى لَمَقتول»، وهذه الجملةُ في محلِّ نصبٍ مقول القول، و«قول» مُضافٌ. و«هم» مضافٌ إليه مبنيٌّ على السُّكون في محلِّ جرٍّ

(١) وعاملُ النّصبِ في المفعول معه بعد الواو هو الفِعْلُ «يسْعَى» قبْلَ «الواو»، على حدِّ قول ابنِ مالك في «الخُلاصَة»:

بما مِنَ الفعْلِ وشِبْهِهِ سَبَقْ   ذا النَّصْبُ لا بالواوِ في القولِ الأَحَقّ

....

مِـنْ إضافـةِ المصدرِ إلى فَاعِلِهِ، وجَـاءَ بَعدَه المفعول به جملةً في محـلِّ نصبٍ، على حدِّ قولِ ابنِ مَالكٍ في «الخُلاصة»:

وبَـعْـدَ جـرِّه الّـذي أُضِـيـفَ لَـهْ كَـمِّـلْ بِـنَـصْـبٍ أَو بِـرَفْـعٍ عَمَلَهْ

إنّك: «إنَّ» حرفُ توكيدٍ ينصبُ الاسْمَ ويَرْفَعُ الخبرَ. و«الكافُ» في محلِّ نصبٍ اسمُ «إنَّ»، وكُسِرتْ همزتُه لِأَنّهُ محْكِيٌّ بالقول.

يا: حرفُ نداءٍ، مبنيٌّ على السّكونِ لا محَلَّ له مِنَ الإعراب، نائبٌ منابَ «أدعو» عند النُّحَاةِ ويُفيدُ التَّنبيهَ كما قال سيبويهِ[1].

ابن: منادى مضافٌ منصوبٌ.

أبي: مضافٌ إليه مجرورٌ وعلامةُ جرِّه اليَاءُ وهو مُضَافٌ.

سُلمى: مضـافٌ إليـه مجـرورٌ، وعلامةُ جـرِّه فتحةٌ، لأَنَّـه ممنوعٌ مـن الصّرفِ لألـفِ التّأنيثِ المقصورةِ مَعَ العَلَميَّةِ، والفتحـةُ مقدَّرةٌ على الأَلِفِ مَنَعَ مِن ظُهورِهَا التّعذرُ.

لمقتـول: «اللام» مزحلقةٌ مِنَ الـمُبتَدَإِ إلى الخَبَرِ بَعْدَ «إنّ» المكسـورةِ العَامِلَةِ فيمَا أَصْلُهُ المبتدأُ، على حدِّ قولِ ابنِ مَالِكٍ في «الخُلاصة»:

وبَـعْـدَ ذَاتِ الـكَسْـرِ تَـصْـحـبُ الـخَـبَرْ لَامُ ابْـتِـدَاءٍ نَحْـوُ «إنِّـيْ لَـوَزَرْ»

---

(١) كتاب سيبويه (٤/ ٢٢٤) تحقيق عبد السّلام محمّد هارون. الطّبعةُ الأولى. دار الجيل.

....

و«اللّام» حرفٌ لا محلَّ له مِنَ الإعراب. و«مقتول» خبرُ «إنَّ» مرفوعٌ وهو مقترنٌ بـ«اللّامِ».

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

يسعى: يَمْشِي ويَعْمَلُ ويَقْصِدُ[1]. والفعلُ بهذا المعنى لازمٌ يَتَعَدَّى باللَّام أي: يسعى الوُشاةُ لإشاعةِ الوِشايةِ[2].

الوُشاةُ: جمعُ «واشٍ»، وهو النَّاقِلُ للكلامِ الكاذِبُ فيه، بِتَغْيِيرٍ للإفسادِ بينَ النّاسِ[3].

جنابَيها: ناحيتَيها وحوالَيها[4]. والضّميرُ «هَا» يعودُ إلى ناقةِ كعبٍ الَّتي تَقَدَّمَ لها أوصافٌ. ويُريدُ كعْبٌ أنَّ الوُشاةَ يمشونَ إليه جنَابَي ناقَتِه يمِيْنًا وشِمالًا قائلينَ له: إنَّك يا ابنَ أبي سُلْمَى لَمَقْتُولٌ، لأنَّ الرَّسولَ ﷺ قدْ أَهْدَرَ دَمَكَ لِنَيْلِكَ منهُ ﷺ.

❁ ❁ ❁

(١) «القاموس المحيط» (٤/ ٣٤٢)، و«لسان العرب» (١٤/ ٣٨٥).

(٢) المرجع السّابق.

(٣) وأصْلُ «الوِشاية» استخراج الحديث باللّطْفِ والسُّؤال. «لسان العرب» (١٥/ ٣٩٣)، و«القاموس المحيط» (٤/ ٤٠٠).

(٤) «القاموس المحيط» (١/ ٤٩)، و«لسان العرب» (١/ ٢٧٩).

٣٥- وَقَالَ كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ آمُلُهُ لَا أُلْهِيَنَّكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

الواوُ: حرفُ عطفٍ أو للاستئنافِ.

قال: فعلٌ ماضٍ معلومٌ مبنيٌّ على الفتح.

كلُّ: فاعلُ «قال» مرفوعٌ، وهو مضافٌ.

خليلٍ: مضافٌ إليه مجرورٌ، وعلامةُ جرِّه الكسرةُ الظّاهرةُ.

كنتُ: فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ على السُّكونِ لاتّصالِه بـ«التّاءِ» الّذي هو اسمُ «كانَ»، مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلِّ رَفْعٍ.

آمُلُـه: «آمُل» فعلٌ مضارعٌ معلومٌ، مرفوعٌ لِحلولِه محلَّ الاسمِ، أو لِتَجَرُّده منَ النَّواصِبِ والجَوَازِمِ، وفاعلُه ضميرٌ مستترٌ فيه وُجوبًا تقديره «أنا». و«الهاء» ضميرٌ مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلِّ نصبٍ، مفعولٌ به. وجملة «آمُلُه» في محلِّ نصبٍ خبر «كان». وجملةُ «كنتُ آمُلُه» في محلِّ جرٍّ، نعتٌ لـ«خليل».

لا: حرفُ نَفْيٍ مبنيٌّ على السُّكُونِ، لا محلّ له من الإعرابِ.

أُلهينَّك: «ألهينَّ» فعلٌ مضارعٌ معلومٌ، مبنيٌّ على الفتح لاتّصالِه بنونِ التّوكيدِ المُبَاشِرَةِ لآخِرِ الفِعلِ، في مَحَلِّ رَفْعٍ لِحُلُولِه مَحَلَّ الاسْمِ، أو لِتَجَرُّده من النّواصِبِ والجَوَازِمِ، وفاعلُه مستَتِرٌ فيه وُجوبًا تقديرُه «أنا». والكافُ ضميرٌ متَّصِلٌ مَبْنيٌّ على الفتحِ في محلِّ نَصْبٍ، مَفْعُولٌ بـه، وجملـةُ «لا أُلهينَّك» في محلِّ نَصبٍ مَقولُ القَولِ.

....

إنِّي: «إنَّ» حرفُ توكيدٍ، ينصبُ الاسمَ ويرفعُ الخَبَرَ. و«الياءُ» للمتكلِّم اسم «إن» مبنيٌّ على السُّكونِ في محلِّ نصْبٍ.

عنك: «عن» حرفُ جرٍّ. وكافُ الخِطَابِ ضَميرٌ مبنيٌّ على الفَتْحِ في محلِّ جَرٍّ بـ «عن»، والجارُّ والمَجرورُ متعلّقان بـ«مشغُول» بَعْدَهُ.

مشغول: خبرُ «إنَّ» مرفوعٌ، وجملةُ «إنّي عنك مشغول» بَدَلٌ مِنَ «لا أُلهينَّك» ولِذَا كُسِرتْ همزةُ «إنَّ»، لأنَّ المُبْدَلَ مِنْهُ مَقُولُ القَوْلِ، فالبدلُ مَبْدُوءٌ بـ «إنَّ» فتُكْسَرُ هَمْزَتُه، لأنّه مَحْكِيٌّ بالقول أيضًا.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

قال: معناه: حَكَى كلامًا، إذِ «القَوْلُ» يدخلُ على كلامٍ تامٍّ يتقدّمُ عليه لِيُحكَى بِهِ، وما لَيسَ بِكلامٍ تامٍّ لا يَدخلُ عليه القَولُ، قالَه سيبويْهِ[1]. فهذا أصلُ «القولِ» في أنَّه يُحكَى به، فيأتِي بَعدَهُ المَحْكِيُّ - وهو مَقُولُ القَولِ - في محلِّ نصبٍ مفعولًا به، ولَم يَرِدْ في القرآنِ إلَّا هَكَذَا إذا كانَ جُمْلَةً كما في هذا البيتِ لِكعبٍ، وقد يأتِي القولُ لِغيرِ الحِكَايَةِ إذا كان بِمعنَى التَّكَلُّمِ فيَستغْنِي عَنِ المفعولِ في اللّفظِ[2]. ومنه قولُ عُمَرَ بنِ أَبِي رَبِيعَةَ:

بِحَاجَةِ نَفْسٍ لم تَقُلْ فِي جَوَابِهَا فَتُبْلِغَ عُذْرًا والمقالةُ تُعْذِرُ[3].اهـ

(١) كتاب سيبويه (١/ ١٢٢).

(٢) «لسان العرب» (١١/ ٥٧٥)، و«القاموس المحيط» (٤/ ٤٢).

(٣) «شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة» لمحمّد محي الدِّين عبد الحميد، ص: (٩٢)، و«المنتخَب في محاسنِ أشعارِ العرب» المنسوب للثّعالبيّ (٢/ ٥١٨). صنعة مؤلِّفٍ قَدِيمٍ مجهولٍ (القرن =

....

فقولُه «لم تَقُلْ» أي لم تتكَلَّمْ. وقَولُ أَبِي حَيَّةَ النُّمَيْرِيِّ، وهو النَّمرُ بنُ تَوْلَبَ:

وقالتْ فلمَّا أفْرَغَتْ في فُؤَادِهِ   وعَينَيْهِ مِنْها السِّحْرَ قُلْنَ لَهُ قُمِ[1]

فقولُه: «قالتْ» معناه «تكلَّمتْ». أمَّا قولُه «قُلْنَ لَهُ قُمِ» فـ«قُلْنَ» فيه للحِكَايَةِ. واللهُ أعلم.

كلُّ خَلِيلٍ: «كلُّ» هنا للتّكثيرِ والـمُبَالَغَةِ، أي «قال كَثِيرٌ مِنَ الخِلّان». و«خَليلٍ» مَعنَاه الصّدِيقِ مِنَ «الخُلَّة»، وهي «الصَّداقة» باعتِبَارِه مَصْدَرًا. وقد يُطْلَقُ على الإنسانِ.

آمُلُهُ: أي أَرْجُوه.

لا أُلْهِيَنَّكَ: لا أَشْغَلَنَّكَ[2] ولا أَصْرِفَنَّكَ عمَّا سَمِعتَ، وأدعوك إلى إجارَتِك منه؛ لأنّه استجَارَ بِجماعةٍ كثيرةٍ لِيَحْمُوهُ، فلمْ يُجِرْه أحدٌ منهم مِنَ الرَّسُولِ ﷺ. ولذا قَالَ:



= الرّابع). الطّبعة الثّانية (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

(١) «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقيّ (٣/ ١٣٦٩).

(٢) هذا الفِعْلُ «أَشْغَلُ»، مُضارعُ «شَغَلَ» الثُّلاثيّ المتعدّي إلى مفعولٍ به واحد، وهو حَلْقِيُّ العَيْنِ على وزن «فَعَلَ»، فقياسُ مُضارعه «يَشْغَلُ». وانظر «لسان العرب» (١٥/ ٢٥٩) لِتَقِفَ على أنَّ «أَلْهَى» بمعنى «شَغَلَ».

٣٦- فَقُلْتُ خَلُّوا سَبِيْلِي لا أَبَا لَكُمُ   فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ

أوّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

فَقُلْتُ: «الفَاءُ» عاطفةٌ للتّعْقِيبِ. و«قُلتُ» فعلٌ ماضٍ معلومٌ مبنيٌّ على السُّكونِ لاتّصالِه بضميرِ الرَّفْعِ الـمُتَحَرِّكِ «التّاء». وَهُو ضَمِيرٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الضَّمِ في مَحَلِّ رَفْعٍ فَاعِلٌ.

خلُّوا: فعلُ أَمْرٍ، مَبْنِيٌّ على حَذْفِ النُّونِ. و«الوَاوُ» ضَمِيرٌ مبنِيٌّ على السُّكونِ في مَحَلِّ رَفعٍ، فَاعِلٌ.

سبيلي: «سبيل» مفعولٌ به لـ «خلُّوا»، منصوبٌ وعلامةُ نصبِه فتحةٌ مقدّرةٌ على «اللّامِ»، مَنَعَ مِنْ ظُهورِهَا اشتِغَالُ «اللّامِ» بِحَرَكَةِ مُنَاسَبَةِ اليَاء. و«سبيل» مضافٌ. و«ياءُ» المُتكلِّم مضافٌ إليهِ، مبنيٌّ على السُّكونِ فِي محلِّ جرٍّ.

لا: نافيةٌ للجِنسِ تَعمَلُ عَمَلَ «إنّ» فتَنْصِبُ الاسمَ وترفعُ الخبرَ.

أَبَا لَكُمُ: «أبا» اسمُ «لا» مضافٌ، منصوبٌ، وعلامةُ نصبِهِ الألِفُ نِيَابَةً عن الفتحةِ لأنّه من الأسماءِ السِّتَّةِ، والأصلُ «لا أباكم» - على مَا ذَهَبَ إليهِ سِيبَوَيْهِ والجمهورُ -، فـ «كُمْ» ضميرٌ مَبنيٌّ على السُّكُونِ في محلِّ جرٍّ، مضافٌ إليه. وخبرُ «لا» مَحْذُوفٌ، تَقديرُه «موجودٌ». وزِيدتْ «اللّامُ» في المضافِ إليهِ تَأْكِيدًا للإضافةِ، لِأنّها إضافةٌ غيرُ مُخَصِّصَةٍ، فَسَاغَ تَوكيدُها بـ«اللّام». ويَدُلُّ على أنّ هذه الإضافةَ لا تُخصِّص أنّ «لا» النَّافِيَةَ للجِنْسِ قَدْ عَمِلَتْ مَعَهَا، وهي لا تَعملُ إلّا في النّكِرَاتِ، وقَد أشَارَ إلى هذه الإضافةِ ونَوعِهَا سِيبويهِ في «الكِتَاب»[1]. فالألفُ في «أبَا» تُؤْذِنُ

(١) شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السّيرافيّ (٨/ ١١٠). مطبعة دار الكتب والوثائق القوميّة - القاهرة - (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، كتاب سيبويه (٢/ ٢٧٦، ٢٨٤) تحقيق عبد السّلام =

بالإضافةِ والتّعريـفِ، أُضيفَ «أب» إلى «كُم» واللّامُ فاصلةٌ بينَ المُضافِ والمضافِ إليه، وأُعْرِبَ «أبٌ» اسـمُ «لا» النّافية للجنْسِ لِكونِه غيرَ مُفْرَدٍ مَبْنِيٍّ، وهَذَا مَذْهَبُ الخَلِيـلِ وسِـيبويْهِ وجُمهـورِ النُّحاةِ[1]. ويَجـوزُ أنْ يَكونَ «أب» اسْـمًا لـ «لا» النّافيةِ للجِنْـسِ مُفْـرَدًا مَبْنِيًّـا لِتَرَكُّبِه مـع «لا»، والأَلِـفُ في «أبا» زَائِـدَة. و«الـلّامُ» الجَارَّةُ لـ «كُـمْ» فِي مَوضِـعِ نَعـتٍ لاسْـمِ «لا»، أو في مَوضِـعِ الخَـبَرِ، وهـذا هـو الأصـلُ والقِياسُ.

فاجتمـعَ عَـلَى الشَّيءِ الوَاحِدِ في الوقـتِ الواحدِ معنيَانِ ضِـدَّانِ، هما التّعريفُ والتَّنكيرُ؛ تَرَتَّبَ عليهما تقديرانِ مُختلِفانِ[2]. كلُّ تقديرٍ يُناسِبُ معنًى:

التَّقديـرُ الأوَّل: الإضافةُ مـع ثبوتِ الألفِ في «أَبَا لَكُمْ». وهـذا التقدير يُفيدُ التَّعريفَ.

التَّقديرُ الثّاني: ثُبوتُ اللّام غيرَ زائدةٍ للجرِّ مع عَمَلِ «لا» النّافيةِ للجنسِ في «أب». وهـذا التَّقديرُ يُفيدُ التَّنكيرَ. فلمّا اختلفَ المعنيَـانِ جازَ أنْ يَختَلِفَ التَّقديرانِ، فإنَّـه ممَّـا يقْبَلُهُ القِيَـاسُ ولا يَدْفَعُهُ[3]. وسَـيَتَبَيَّنُ معنى قولِ كعـبٍ «لا أبا لكم» عندَ

= محمّد هارون. الطّبعة الأولى.

(١) «شرح رضيِّ الدِّينِ على كافية ابن الحاجب المالكيّ» (١/ ٢٦٥). دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان.

(٢) «الخصائص» صَنعة أبي الفتح عثمان بن جنّيّ (١/ ٣٤٢) تحقيق محمّد عليّ النّجّار. الطّبعة الثّانية. مطبعة دار الكتب المصريّة (١٣٧١هـ - ١٩٥٢م) - القاهرة -.

(٣) «الخصائص» صَنعة أبي الفتح عثمان بن جنّيّ (١/ ٣٤٢) تحقيق محمّد عليّ النّجّار الأستاذ بكلّيّة اللّغة العربيّة. الطّبعة الثّانية. مطبعة دار الكتب المصريّة (١٣٧١هـ - ١٩٥٢م) - القاهرة -.

....

تَفْسِيرِ كلماتِ هذَا البيتِ الّذي هو فيه. ويَتَّضِحُ أنَّ قَبُولَ القِيَاسِ لِاختِلافِ اللَّفظَينِ لَيسَ بِمُنْكرٍ.

فكلٌّ: «الفاءُ» عاطفةٌ تُفيدُ التَّرتيبَ والتَّعقيبَ، على حدِّ قولِ ابنِ مالكٍ في «الخُلَاصَة»:

والـفـاءُ لـلـتّرتيبِ باتّصَال ....

فما بَعْدَ «الفاءِ»، وهي الجملةُ المعطوفةُ، رُتِّبتْ في الذِّكْرِ على الجملةِ المعطوفِ عليها قَبلَها. و«كلّ» مبتدأٌ مرفوعٌ، وهو مضافٌ.

ما: اسمٌ موصولٌ بمعنى «الّذي»، مبنيٌّ على السّكونِ في محلِّ جرٍّ، مضافٌ إليه.

قدَّرَ: فعلٌ ماضٍ معلومٌ مبنيٌّ على الفتحِ.

الرَّحمَن: فاعلُ «قدّر» مرفوعٌ، والعائدُ إلى الموصولِ محذوفٌ تقديرُه: «قَدَّرَه».

مفعول: خبرُ المبتدإِ مرفوعٌ. والجملتان: المعطوفةُ والمعطوفُ عليها في محلِّ نصبٍ مفعولٌ به، مقول القول.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

قلتُ: الفعلُ «قال» مِنَ القَولِ، وهو التّلفّظُ بِكَلَامٍ يُفهمُ، وقَدْ تَقَدَّمَ بيَانُهُ.

....

خلُّوا سَبِيلِي: أي اتْرُكُوا سَبِيلِي. والـمُرادُ خَلُّوا بَيني وبينَ دَهري يَحْصُل مَا يَحْصُلُ إذا لم تُجِيرُونِي، فيفعَلُ اللهُ بِي ما أَرادَ. والعَرَبُ تَستَعمِلُ هَذَا الأسلوبَ للأمرِ الوَاقِعِ الْمُقدَّرِ المَخُوفِ الّذي لَا مَنَاصَ مِنْهُ، ومِنهُ قَولُ حَرَّانَ بنِ عَمْرو بنِ عبدِ مَنَاةَ الجاهليِّ:

خَلّوا عَلَيَّ الدَّهْرَ بَعْدَهُمُ ... فَبَقِيتُ كالمَنْصُوبِ للدَّهْرِ[1]. اهـ

فقوله «**خَلّوا عليَّ الدَّهْرَ**»: أي صِرْتُ فَرِيسَةً للدَّهْر. وهذا على طريقَتهم في نِسْبَةِ الـمَصَائِبِ إليه !.

لا أبا لكمُ: ليس نفيًا لأُبُوَّتِهم، بل هو تَحضيضٌ لهم على أنْ يُخلُّوا سَبيلَه للدّهْرِ، مُبَخِّلًا لهم ومُقَرِّعًا وذامًّا، عَامِدًا به إلى الدُّعاءِ عليهم: أنّهم مِمَّن يَستَحِقُّونَ أنْ يُدْعَى عليهم بِفَقْدِ أبيهم. فهذا الأسلوبُ جارٍ مَجرَى المَثَلِ. أشار إليه ابنُ جِنِّيٍّ[2]. ونسَبَ إلى شيخِهِ أبي عَلِيٍّ الفَارِسيِّ تَفسيرَه بأنَّه مُخْرَجٌ مُخْرَجَ الدُّعَاءِ على المخاطَبِ بِفَقْدِ أَبِيهِ لاسْتِحْقَاقِهِ ذلك، فإذا دُعِيَ بهِ عَلَى مَنْ لا يَسْتَحِقُّ هذا الفقْدَ أَفادَ تَرَحُّمًا ومُوَاسَاةً وإشْفَاقًا، ومِنه قولُ حُجرِ بنِ خالدِ الجاهليِّ، وقدْ أُسِرَ في بِلادِ فَارِسَ، يُخَاطِبُ امْرَأَتَه:

فَاقْنَي حَيَاءَكِ لا أَبَا لَكِ إنَّنِي ... في أَرْضِ فَارِسَ مُوثَقٌ أَحْوَالا[3]. اهـ

---

(١) «شرح ديوان الحماسة» لأبي عليّ أحمد بن محمّد بن الحسَنِ المرزوقيّ (٣/ ١٠١٨)، الطّبعة الثّانية (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م).

(٢) «الخصائص» صَنعة أبي الفتح عُثمان بن جنّيّ (١/ ٣٤٣) بتحقيق محمّد عليّ النّجّار. الطّبعة الثّانية. مطبعة دار الكتب المصريّة (١٣٧١هـ - ١٩٥٢م).

(٣) «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقيّ (١/ ٣٥٢). الطّبعة الثّانية (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م).

....

ومعنى قولِه «فَاقْنَيْ حَيَاءَكِ» فالْزَمي الحِشْمَةَ والصَّونَ عن المفاسدِ.

وقولُ مالكِ بنِ الرَّيْبِ حَاكِيًا عن بِنتِه:

تَقُولُ ابْنَتِي إنَّ انطِلَاقَكَ وَاحِدًا   إلَى الرَّوعِ يَومًا تَارِكِي لا أَبَا لِيَا[1]. اهـ

هي تُخاطِبُ أباها قائلةً: إنَّ ذَهَابَكَ إلى القِتَالِ وحْدَكَ تَارِكًا لي بَعْدَكَ أَسْتَحِقُّ قولَ «لَا أَبَا لِيَا» لِأَنِّي قَدْ أَفْقِدُك. وهذا القَولُ منها إشفاقٌ وَأَسَفٌ. ومِثْلُ هَذَا الأسلوبِ لم يَرِدْ فِي القُرْآنِ. ولَيْسَ كلُّ ما جاء في كلامِ العربِ يَأتِي في القُرآنِ، لأنَّ القُرآنَ لا يأتي إلَّا بِالأَعْلَى مِنَ الفَصَاحةِ والبَلَاغَةِ مِنَ الأساليبِ، بَلْ لَيسَ هُنَاكَ مُقَارَنةٌ بين أساليبِ القرآنِ وأساليبِ كلامِ العَرَبِ.

فكلُّ ما قدَّرَ الرَّحمنُ مَفْعُولُ: «كلُّ» أُضيف إلى مُعَرَّفٍ مفردٍ هو «ما» الموصولةُ، فمعناه استغراقُ أفرادِ شيءٍ واحدٍ هو المُقَدَّرُ، أي أنَّ أَيَّ شَيءٍ قَدَّرَه اللهُ وقَضَاهُ في الأَزَلِ مَفْعُولٌ، أي كَائِنٌ لأنّه - جلَّ شأنُه - شاءَه، ولا مَرَدَّ لِقَضَائِهِ تَعَالَىٰ.

---

(١) هذه روايةٌ للبيتِ ساقَها الأَشْمُونِيّ في شرحِه لألفيَّةِ ابنِ مَالكٍ، وعليه حاشيةُ الصَّبّان مع شرح الشّواهدِ للعَينِيّ (٢/ ١٧٩). وروايةٌ أُخرى هكذا:

تقولُ ابْنَتِي لمَّا رأتْ طُولَ رِحْلَتِي   سِفَارُكَ هذا تارِكِي لا أبَا لِيَا. اهـ

وَرَدَتْ هذه الرّوايةُ في قصيدتِه الطّويلةِ في «خزانة الأدب» لِعبدِ القادرِ عمرَ البغداديّ (٢/ ٢٠٣)، وكتاب «ذيل الأمالي والنّوادر» لِأبي عليٍّ القالي، ص: (١٣٥ - ١٣٦). دار الجيل - بيروت - لبنان. دار الآفاق الحديثة - بَيروت -.

تنبيه: العَينِيُّ في شرحِه للشّواهد قال في قائلِ البَيتِ: «مالك بنِ الذّئبِ» والصّحيح: «مالك ابن الرَّيْب».

٣٧- كُلُّ ابنِ أُنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ   يَومًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ

أوّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

كلُّ: مبتدأٌ مرفوعٌ، وسوَّغ الابتداء به وهو نكرةٌ مضافةٌ، ما فيه مِنْ العمومِ الّذي يُفيدُ أنْ يُبْتَدَأَ به، كما تَقرَّرَ في علمِ النَّحوِ، وأشَارَ إليهِ ابنُ مالكٍ في «الخُلاصة» بِقوله:

ولا يَجُوزُ الابْتِدَا بِالنّكِرَهْ   مَا لم تُفِدْ ك «عِنْدَ زَيدٍ نَمِرَهْ»

وهَلْ فَتًى فِيكُم فَمَا خِلٌّ لَنَا   ورَجُلٌ مِنَ الكِرَامِ عِنْدَنَا

فقولُه «مالَمْ تُفِدْ» مفهومُ مخالفَتِه أنّها إذا أفادتْ جَازَ الابتداءُ بها، كأنْ تَدُلَّ على العمومِ، ومثالُ ذلك مَا في صَدرِ البيت الثَّاني مِنْ «خلٌّ» و«فتًى»، الوَاقِعَينِ في سِيَاقِ نَفْيٍ واسْتِفْهَامٍ فَأَفَادَا العُمُومَ، كـ «كُلّ» في بيتِ كَعبٍ هَذا. و«كلٌّ» مضافٌ.

ابنِ: مضافٌ إليه مجرورٌ، وهو مضافٌ.

أنثى: مضافٌ إليه مجرورٌ، وعلامةُ جرِّه فتحةٌ مقدّرةٌ على الألفِ نيابةً عنِ الكَسْرَةِ، لأنّه ممنوعٌ مِنَ الصَّرفِ لألفِ التّأنيثِ المَقصُورَةِ.

وإنْ: «الواوُ» واوُ الحال[1]، تَرْبطُ هِيَ والضَّميرُ «الهاءُ» المتَّصِلُ بـ«سلامته» الجملةَ بصاحبِ الحالِ «كلُّ ابنِ أنثى»، وجازَ مَجِيءُ الحالِ مِنه وهُوَ نَكرةٌ لِدَلَالَتِه على العُمُومِ، ويجوزُ أنْ تَكُونَ هذه الجملةُ الحَالِيَّةُ حَالًا من الضَّميرِ المُستترِ في الخَبَرِ الآتي: «محمولٌ» في آخِرِ البَيتِ، وذهبَ العلّامةُ الرَّضِيُّ إلى أنّ «الوَاوَ» الدّاخلةَ على «إنْ»

(١) حاشية عبد القادر بن عمر البغداديّ على شرح «بانت سعاد» لابن هشام (٢/ ٧١٠). الطّبعة الأولى سنة (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م). دار صادر - بيروت - لبنان.

....

في مِثْلِ هذَا التّركيبِ اعْتِرَاضِيّةٌ وليسـتْ للحال وللعطف[١]. اهـ. قلتُ: ويَرِدُ على القـولِ باعتِرَاضِ «الـواوِ»: أنّها لو كانتْ كذلك – والاعتراضُ يـدلُ عَلَى زِيادَتِهَا – وحُذفـتْ لَظهرَتْ قُوَّةُ تَرَابُطِ أَجْزَاءِ الكَلَامِ الأصليِّ، وذلك غيرُ حاصلٍ عندَ حذفِ الوَاوِ، بَلْ يَحْصُلُ تَفكُّكٌ وعَدَمُ انْسِجَامٍ فَدَلَّ ذَلك على انتفاءِ اعتِرَاضِهَا؛ لِمَا تَقرَّر في علم أصول النّحوِ مِنْ أنَّ ما لا نظيرَ له يَنْتَفِي. أَشَارَ إليه الإمام السُّيُوطِيُّ[٢] وغيرُه.
و«إنْ» حرفُ شرطٍ جازمٌ لفعْلَين – على قولٍ – مَبْنيٌّ على السُّكون، لا محَلَّ لَه مِنَ الإعْرَابِ.

طالـتْ: فعلٌ ماضٍ معلـومٌ، مبنيٌّ عـلى الفَتْـحِ في محَلِّ جزمٍ، فعلُ الشّرط. و«التّاء» للتّأنيث. قال العلامةُ سـعدُ الدِّينِ: «إنَّ (إنْ) تُسـتعملُ في غيرِ الاسـتقبالِ قياسًـا مُطَّـرِدًا، إذا جِـيْءَ بِهـا في مَقَـامِ التَّأكيـدِ بَعْـدَ واوِ الحَـالِ لِـمُجَـرَّدِ الوَصْـلِ والرَّبْـطِ دون الـشَّرطِ، نحـوُ: زيـدٌ وإنْ كثُرَ مالُه بخيـلٌ. وعَمْـرٌو وإنْ أُعْطِيَ جاهًا لَئِيمٌ»[٣]. اهـ

---

(١) شرح رضيّ الدّيـن الإسـترابإذِيّ عـلى كافيّـة ابـن الحاجـب (٢/ ٢٥٧). دار الكتـب العلميّة –بيروت –.

(٢) كتـاب «الاقـتراح في علم أصول النّحو» للإمـام الحافظ جلال الدِّينِ عبد الرّحمن السُّـيُوطيّ، ص: (١٧٩)، تحقيـق الدُّكتـور أحمـد محمّـد قاسـم. الطّبعـة الأولى بالقاهـرة (١٣٩٦هــ – ١٩٧٦م).

(٣) تقرير الشّـمس الأنبابيّ على شرح سـعد الدّين التّفتازانيّ لتلخيص المفتاح وحاشـيته الشّـهيرة بـ«التّجْريد في علم الـمَعَانِي والبيان والبديع» (٢/ ٣٨١). مطبعة السّعادة بجوار محافظة مصر سنة (١٣٣١هجريّة).

....

سـلامتُه: «سـلامةُ» فاعلُ «طالتْ» مرفـوعٌ، وهو مضـافٌ. والضّميرُ «الهاءُ» مضـافٌ إليـه مبنيٌّ على الضَّـمِّ في محلِّ جرّ، وجـواب الشّرط على القـول للجمهورِ محـذوفٌ هو «فمحمـول» لِتَقَدُّم ذِكْرِه. والتّقديرُ «كلُّ ابـنِ أنثى محمولٌ يومًا على آلةٍ حدْباءَ وإنْ طالتْ سـلامتُه فمَحمول»، فجملةُ «وإنْ طالتْ سلامتُه» في محلِّ نَصْبٍ على أنّ «الوَاوَ» واوُ الحالِ كما تقدّم، وهو الرّاجِحُ فيما يَظهرُ؛ إذِ المعنى «كلُّ ابنِ أنثى محمـولٌ يومًـا عَلى آلـةٍ حَدْبَاءَ والحالُ أنَّـه قَدْ طَالَتْ سـلَامتُه». وقَدْ تَقَـرَّرَ في أُصُولِ النّحْوِ أنَّ الإعْرَابَ تَحْتَ الـمَعْنَى.

يومًا: ظرفُ زمانٍ مفعولٌ فيه منصوبٌ، متعلِّقٌ بـ «محمول» بَعْدَهُ وَهُوَ العاملُ في الظّرْفِ.

علـى آلـةٍ: جارٌّ ومجرورٌ متعلِّقان بــ «محمول» أيضًا، أو هُمَا حَـالٌ من الضَّميرِ الـمُسْتترِ في «محمول» العَائِدِ إلى «كلّ ابنِ أنثى».

حدْباءَ: نعتٌ لـ «آلةٍ»، تابعٌ له في جرِّه وعلامتُه الفتحةُ، لأنّه ممنوعٌ من الصّرفِ لِألفِ التّأنيثِ المَمْدُودَةِ، وهو غيرُ مضافٍ ولا محلًّى بـ «أل».

محمول: خبرُ المبتدإِ، مرفوعٌ.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

كلُّ ابـنِ أنثـى: أُضِيفَ لَفْـظُ «كلّ» إلى نكرةٍ، وهو «ابن أنثـى» فيكونُ معنَاه استغراقُ أفرادِ هذا الـمُنكَّـرِ، أي جَمِيعُها، نحو قوله تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥][1]. واستغراقُ الحُكـمِ لأفـرادِ الـمُنكَّرِ لِـ «كلٍّ»، في البيت وفي الآيةِ

(١) الآيةُ بِتَمامِهَا مِنْ سُـورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ =

....

الكريمةِ، هو الـمُسَـمَّى فِي اصطلاحِ علمِ المَنْطِقِ بـ «الكُلّيّة» أَشَارَ إليهِ صَاحِبُ مَتْنِ «السُّلَّم» بقولِه:

وحَـيـثُـمَـا لِـكُـلِّ فَـــرْدٍ حُـكِـمَـا فـإنَّـه كُـلّـيّـةٌ قَـدْ عُـلِـمَـا

وإنْ طالتْ: أي امتَدَّ في الزَّمَنِ.

سَلَامَتُه: «السّلامة» في اللُّغَةِ هِـيَ «العَافِيَةُ مِـنَ الـمَكْـرُوهِ»[1]. ويُجمعُ عَلَى «سَـلَام» بِحـذفِ «التّـاء»، على قاعِدَةِ اسْـمِ الجِنسِ الجَمعِيِّ الّذِي يُفـرَّق بينه وبين مفردِه بـ «التَّاءِ».

آلـةٍ: هي سَريرُ المَيِّتِ الّذي يُحْملُ به الميِّتُ، ويقال لِهذا السَّريرِ «الجِنَازَة» بِكَسرِ الجِيمِ كما قال الحَرِيرِيُّ في «مَقَامَاتِه»:

فـالـمـنَـايَـا ولا الـدَّنَـايَـا وخَـيْرٌ مِـنْ رُكُـوبِ الخَـنَـا رُكـوب الجِنَازَة

فـإذا وُضِعَ الميِّتُ عـلى الجِنَازَة وحُمِلتْ به أصبحتْ «جَنَـازَة» بِفتحِ الجِيمِ. وقدْ سمَّى أبو العلاءِ المَعَرِّي هَذَا السَّرِيرَ بـ«أعْوَاد» في قولِه:

والعـفـوَ آمُـلُ مِـنْ ربِّـي إذا حُضِرتْ نَفْسِي وفَارَقْتُ عُوَّادِي لِأَعْوَادِي[2].اهـ

وهـذه الآلـةُ تُوصفُ بـ «حدباء» وهـي مؤنّثُ «أحْدَب»، وهو مـا فيهِ ارتفاعٌ وغِلَظٌ وشِرَّةٌ.

= ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾. اهـ ورقمها (١٨٥).

(١) «لسان العرب» (١٢/ ٢٨٩ - ٢٩٠).

(٢) «لزوم ما لا يلزم» (١/ ٣٧٨). دار صادر - بيروت - سنة (١٣٨١هـ - ١٩٦١م).

محمـول: اسـمُ مفعولِ «حَمَـلَ الشَّيءَ يَحمِلُه حَمْـلًا» إذا رَفعَه. نَسـأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ بِأَسـمائِه الحُسـنَى وصِفَاتِه العُلَى أنْ يَرحَمَنَا، فَيَمُنَّ عَلينا بِحُسْـنِ الخَاتِمَةِ علَى التَّوحِيدِ الخَالِـصِ والعَمَـلِ الصَّالِـحِ، عِندَمَـا يَحمِلُونَنَـا يَومًا عَلى هـذِهِ الآلَةِ الحَدبَـاءِ. آمين.

وَمَا أَحْسَـنَ تَشْبيهَ الحَكَمِ بنِ صَخْرٍ لـ «النَّاس» بـ«المُسَافِرِينَ»، و«الموتِ» بـ«المَنْهَلِ» الَّذي يَرِدُونَه فِي قولِه:

أَرَى النَّاسَ مِثْلَ السَّفْرِ والمَوتُ مَنْهَلٌ ... لَـهُ كُـلَّ يَـومٍ وَارِدٌ ثُـمَّ وَارِدُ

إلى حيثُ يَشْفِي اللهُ مَنْ كَانَ شَافِيًا ... ويَسْعَدُ مَنْ فِي عِلْمِهِ هُوَ سَاعِدُ[1]. اهـ

❁❁❁

(١) «شرح التّسهيل» لابن مالك جمال الدّين محمّد بن عبد الله بن عبد الله الطّائيّ الجيّانيّ (٣/ ١٠٣). الطّبعة الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) هجر للطّباعة والنّشر والتّوزيع والإعلان.

٣٨- أُنْبِئتُ أنَّ رَسُولَ اللهِ أَوعَدَنِي   والعَفْوُ عندَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

أُنْبِئتُ: فعلٌ ماضٍ مجهولٌ، مبنيٌّ على السُّكونِ لاتّصالِهِ بتَاءِ ضميرِ الرّفعِ المُتَحَرِّكِ. و«التّاءُ» ضميرٌ مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلِّ رفعٍ، نائبُ فاعلٍ.

أنَّ رسولَ اللهِ: «أنَّ» حرفٌ ينصبُ الاسمَ ويرفعُ الخَبَرَ. «رسُولَ» اسمُ «أنَّ» مَنْصُوبٌ وهو مُضَافٌ. و«اللهِ» مُضافٌ إليه مجرورٌ.

أوعَدَني: «أَوعَدَ» فِعلٌ ماضٍ معلومٌ مبنيٌّ على الفتحِ، وفاعلُه ضميرٌ مُسْتَتِرٌ فيه جوازًا يعودُ إلى «رسول الله». و«النُّونُ» حرفٌ لِوِقَايةِ الفِعلِ مِن الكَسْرِ، لا محَلَّ له مِن الإعراب. و«الياءُ» ضميرٌ مبنيٌّ على السُّكونِ في محلِّ نصبٍ، مفعولٌ به. وجملةُ «أوعَدَنِي» في محَلِّ رفعٍ خبرُ «أنَّ»، وجملةُ «أنَّ رسولَ الله أوعدَنِي» في محلِّ نَصْبٍ سَدَّ مَسَدَّ مفعولٍ به، والتّقديرُ «أُنبِئْتُ إيعادَ رَسُولِ الله ﷺ».

والعفوُ: «الواوُ» حرفٌ هنَا صَالحٌ للاستئناف أو للحالِ، والأخيرُ أولى وأرجحُ لِمَا فيه مِنْ مَعْنًى جديدٍ. «العفوُ» مبتدأٌ مرفوعٌ.

عند: ظرفُ مكانٍ مفعولٌ فيهِ منصوبٌ وهو مضافٌ.

رسولِ: مضافٌ إليه مجرورٌ وهو مضافٌ.

اللهِ: مضافٌ إليه مجرورٌ، وهذا الظَّرفُ - وهو شِبْهُ الجُمْلَةِ - فِي محَلِّ نصبٍ على الحاليّةِ، وصاحبُ الحالِ «العَفْوُ» وهو مبتدأٌ لِمَجِيءِ الحَالِ مِن المبتدإ عند سيبويهِ، وَهُوَ صَحيحٌ. والعَامِلُ في الحَالِ قولُه «مأمول» لأنّه وصْفٌ يعملُ عَمَلَ الفِعْلِ.

مأمول: خبرُ المُبْتَدَإِ، مرفوعٌ، وجملةُ «والعفوُ عِندَ رسولِ الله مَأْمُولٌ» في محلِّ نصبٍ حَالٌ مِنَ الضَّميرِ المُسْتَتِرِ فِي «أوعَدَنِي»، والرّابطُ لِهَذِهِ الجملَةِ بصاحبِ الحالِ «الواوُ»، والاسْمُ الظّاهرُ الّذي هو «رسول الله» المضافُ «عندَ» إليهِ، والأصل «والعفو عنده»، لأنّ الرَّبْطَ يَكونُ بالضَّميرِ، فهو مِن بَابِ تَكْرارِ الظّاهرِ دون ضميرِه في كلامِهم وهو كثيرٌ. وفَعَلَ ذلك كَعبٌ هنَا لِأَمْرَينِ:

الأول: إِتْمَامُ مَلْءِ عَجُزِ البيتِ بِالكَلِمَاتِ الّتي يَقُومُ بِها الوَزنُ العَرُوضِيُّ، إِذْ لو قَالَ «والعَفوُ عندَه مأمول» لم يستَقِمِ النَّظْمُ، فَأَقَامَ الظَّاهِرَ مَقَامَ المُضْمَرِ.

الثاني: الاستِعْطافُ بِمُسْتَمْلَحِ التَّكْرِيرِ المُقَرِّرِ لِلرِّسَالةِ المُحَمَّدِيَّةِ، وهذا دليلُ تَوبتِهِ الّتي عَفَا عنه الرَّسولُ ﷺ بِسَبَبِهَا.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

هذا البيتُ ابتداءُ انتقالِ كعبٍ مِن «النَّسيبِ» إلى «الاستعْطاف»[1] جاعلًا الاستعطافَ تَوطِئَةً إلى المدْحِ[2] المأتِيِّ بِهِ أخيرًا. ويُسَمَّى هذا الانتقالُ مِنْ معنًى إلى آخرَ في اصْطِلَاحِ البَلَاغِيِّيْنَ بـ «مخلَص»، وهو مخلَصٌ حَسَنٌ في علْمِ البَدِيعِ ومَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ بَلَاغةِ كعبٍ في هذه القصيدةِ، إذِ انتقلَ مِنَ «النّسيبِ» الّذي بَدَأَ بِهِ، مُوَفِّيًا

(١) الاستعطاف: سُؤَالُ العَطْفِ والمَيْلِ مِن إنسانٍ. وفي الاصطلاح قال أبو حازم القَرْطَاجنِيُّ في «منهاج البُلغاء وسِرَاجِ الأُدَبَاءِ»، ص: (٣٤٠): هو الأمرُ الّذِي يَحصُلُ مِنَ المُتكَلِّمِ إلَى السَّامِعِ وهو يَطلبُ منه هذا الأمرَ بتَلَطُّفٍ. اهـ.

(٢) قال فيه في «المنهاج»، ص: (٣٣٦): هو الشَّيءُ الّذيْ يُرى أَنَّه خيرٌ لِمَا فيه مِنِ انبسَاطِ النّفْسِ إليه، فالمظفُور به على يَدَي قاصِدٍ للنّفع جُوزِيَ على ذلك بالذِّكرِ الجَميلِ يُسَمَّى ذَلك «مَدِيحًا». اهـ بتصرُّف.

....

له حقَّه إلى «الاستعطافِ» فـ «الـمَدْحِ». وهذه التّوفيةُ لِـمَعْنًى ثُمَّ الانتقالُ إلى معنًى آخَرَ مَقْصُودٍ هو الـمَعهودُ المُسْـتقْرَأُ مِنْ كِلَامِ العَرَبِ. كَمَا تقدَّمَتِ الإشَـارَةُ إلى ذلك في كلامِ أبي تمّامٍ للبُحْتُرِيِّ[١].

أُنبِئْتُ: أي أُخبِرتُ.

أنّ رسـول الله أوعدنـي: «أوعدَني» أَوْعَـدَ[٢] يَكُونُ في الشَّرِّ وهـو القَتْلُ الّذي كَانَ يَسْتَحِقُّه كَعبٌ، لِإهْدَارِ الرَّسولِ ﷺ دَمَهُ، لِنَيْلِه منه ﷺ.

والعفـوُ: هو «الصَّفحُ عَنِ الـمُذْنِبِ»، وفعْلُه لَازِمٌ إذْ يُقَال «عَفَا عَنِ المُذنِبِ»، فيَتَعَدَّى إلَى الـمَفْعُولِ بِهِ بِواسِطَةِ الحَرْفِ الجَارِّ. ويَشْهَدُ لِذلكَ قَولُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]، إلّا أنّ حـرفَ الجـرِّ في البَيْتِ حُذِفَ، والتَّقديرُ «والعَفوُ عَنِّي عِندَ رَسُولِ اللهِ مَأمول».

مأمول: أي «مرجُوٌّ» مِنهُ ﷺ.

ويُؤخـذ من قول كعب: «والعفوُ عند رسـول الله مأمُول»، بعد قولِه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «أُنْبِئْـتُ أنَّ رسـولَ الله أَوعَـدَني»، يُؤخذ من ذلك أنَّ خُلْفَ الوَعيدِ في اللُّغة يُسـمَّى عَفْوًا لا خُلْفًا، إذِ الخُلْفُ في الوَعيدِ ليسَ في مَرتبةِ القَبيحِ الضَّروريِّ، لِشُهرةِ الخِلَافِ

---

(١) في صحيفة (١٣) من أوائل الصّفحَاتِ في الكتاب.

(٢) الأمر الّذي لم يَحْصُلْ وهو مِمَّا شَأنُه أنْ يُهْرَبَ مِنْهُ وأَنْذَرَ بِهِ المُتكَلِّمُ مِنْ تلقاءِ نفسِه، أومِن غيرِه هو الإيعـادُ والتّهديدُ والإنذارُ والتّخويفُ. اهـ مِنْ «مِنْهَـاجِ البُلَغَاءِ وسِراج الأدباءِ» للقَرطاجَنِّي، ص: (٣٤٠).

....

فيه بَينَ العُقلاءِ[١]، وقد سُمِّيَ في اللُّغةِ عَفوًا مِمَّنْ يُحتجُّ بِكَلامِه. فَما بَالُكَ بهذا الخُلْفِ منه ﷺ للوَعِيدِ الَّذي سَببُه وعِلَّتُه نيلُ كعبٍ منه ﷺ وهو كافرٌ، ثمَّ تابَ قبْلَ تَنْفِيذِ مُقْتَضى هذا الوَعِيدِ فِيهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ الخُلْفَ خَلِيقٌ أنْ يُسَمَّى عَفْوًا.

تنبيه: يُوَضِّحُ حقيقةَ «الخُلْفِ» في اللُّغةِ ما ذكَرَهُ ابنُ قُتيبةَ الدَّيْنوَرِيّ مِنَ الفَرْقِ بينَهُ وبينَ الكذبِ، فقال: «ومِنْ ذلك (الخُلْفُ والكذبُ)، لا يكاد النَّاسُ يُفرِّقونَ بينهما. والكذبُ فيما مضى، وهو أنْ يقولَ: فَعَلْتُ كذا وكذا، ولمْ يفعلهُ. والخُلْفُ فيما يُستَقْبَلْ، وهو أنْ تقولَ: سأفعَلُ كذا وكذا، ولا تفعَلُه»[٢]. اهـ



(١) «إيثار الحقّ على الخَلْق في ردِّ الخلافات إلى المذهَبِ الحقّ مِنْ أصول التّوحيد» لمحمّد بن المُرتضى اليمانيّ، ص: (٢٤٣). دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان. سنة(١٣١٨) هجريّة.
(٢) «أدب الكاتب» تصنيف ابن قُتَيْبَةَ الدَّينَوَريّ، ص: (٢٨)، تحقيق محمّد مُحيي الدِّين عبد الحميد. الطّبعة الرّابعة، في سنة (١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م).

٣٩ـ مَهْلًا هَدَاكَ الّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْـ قُـرْآنِ فِـيـهَـا مَـوَاعِـيـظٌ وتَفْصِيلُ

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

مهـلًا: مصدرٌ منصوبٌ على المفعوليَّـةِ المطلقةِ، نائبٌ عن فعـلِ الأمرِ «إمهَلْ» وهـو الّـذي عَمِـل فيـه النَّصـبَ، وحُـذِفَ الأمـرُ وجوبًـا لِأنَّ «مَهْلًا» عِـوَضٌ عنه ولا يُجْمَـعُ بَيْنَ العِوضِ والـمُعَوَّضِ عَنه. أَشَـارَ إلى هذا الحَـذْفِ الوَاجِبِ ابنُ مالكٍ بِقَولِه في «الخُلاصَة»:

والحَــذْفُ حَـتْـمٌ مَــعَ آت بَـدَلا مِنْ فِعْلِه كـ «نَدْلًا» اللَّذْ كـ «انْدُلَا»

هـداك: «هدى» فعـلٌ ماضٍ معلومٌ مبنيٌّ على فتحةٍ مقـدرةٍ، منع مِنْ ظهورِها التَّعـذُّرُ. و«الكافُ» ضميرُ خطابٍ للرّسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، مبنـيٌّ على الفتحِ في محلِّ نصبٍ، مفعولٌ بِهِ.

الّذيْ: اسمٌ موصولٌ، مبنيٌّ على السُّكونِ في محلِّ رفعٍ فاعلُ الفِعْلِ «هَدَى».

أعطاك: «أعطى» فعلٌ ماضٍ معلومٌ، مبنيٌّ على فتحةٍ مقَدَّرةٍ على آخِره مَنَعَ مِنْ ظُهُورِها التّعذُّرُ، وفاعلُه ضميرٌ مستترٌ فيه جوازًا تقديرُه «هو» يعودُ إلى الـمَوصُولِ. و«الكافُ» ضَميرٌ مُتّصِلٌ مبنيٌّ على الفتحِ في محلِّ نصبٍ، مفعولٌ به أوّل لـ«أعطى»، الّذي ينصبُ مفعولَيْن لَيس أصلُهما مبتدأً وخبَرًا.

نـافلـةَ القـرآنِ: «نافلةَ» مفعولٌ به ثـانٍ لـ «أعطى»، منصـوبٌ، وهو مضافٌ. و«القـرآنِ» مضافٌ إليه مجرورٌ، وجملـةُ «أعطاك نافلةَ القرآنِ» صِلَةُ الموصولِ لا محلَّ لها مِنَ الإعرابِ.

فيها: جارٌّ ومجرورٌ خبرٌ مُقدَّمٌ وُجُوبًا.

مواعيظُ: مبتدأٌ مرفوعٌ مؤخّرٌ وجوبًا، لأنّه نكِرَةٌ سَوَّغَ الابتداءَ به تَقْدِيمُ خبرِه الـمُخْتَصِّ، على حدِّ قولِ ابنِ مالكٍ في «الخُلاصة»:

ونحوُ «عِندِي دِرهَمٌ» و«لِي وَطَرْ» مُلْتَزَمٌ فِيهِ تَقَدُّمُ الخَبَرْ

وتفصيل: «الواوُ» حرفُ عطفٍ. «تفصيل» معطوفٌ على المرفوعِ قبله، وجملةُ «فيها مواعيظٌ وتفصيلٌ» في محلِّ نصبٍ حالٌ مِنْ قوله «نافلةَ القرآن»، لأنَّ الجُملَ بعدَ المعارفِ أحوالٌ، كَمَا تَقَرَّرَ فِي عِلمِ النَّحْوِ.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

مهلًا: معناه «رِفقًا» و«دَعِ العَجَلَةَ»، وفيه التفاتٌ مِن الغَيبةِ إلى الخِطابِ في علمِ الـمَعَانِي، إذْ قالَ قَبلَ هَذَا البَيْتِ «أُنبئتُ أنَّ رَسُولَ الله أَوعَدَنِي» فـ«رسولَ الله» اسمٌ ظاهرٌ في حُكمِ الغائبِ، فالتفَتَ عن ذلك إلى خِطَابِ الرّسول ﷺ للاستعطافِ. وفي هذا الالْتِفَاتِ اقتِدَارٌ على التّفنُّنِ في الكلامِ، يُسَمَّى بـ«الافتنان» في عِلْمِ البَدِيعِ[1].

هَدَاكَ: أي «أرشد».

الّذي أعطاك نافلةَ القرآنِ: يَقصِدُ بِه اللهَ تَعَالَى، لِكَونِ الصِّلَةِ الّتِي تُعرِّف الموصولَ مُخْتَصَّةً به تَعَالَى دون سواه، فاللهُ الهادي لكلِّ عبدٍ هِدَايةَ توفِيق.

---

(١) «فيضُ الفتّاح على نَوْرِ الأقاح» تأليف عبد الله بن الحاجّ إبراهيم العَلَويّ الشِّنقيطيّ (٢/ ٢٧٤). الطّبعة الثّانية لسنة (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، و«القول البديع في علم البديع» لِمَرْعِيّ بن يوسفَ الحنبليّ، ص: (١٦٣).

....

نافلـة القرآن: «النّافِلَة» هو الفَضْلُ والزِّيَادَةُ مِنَ الأمْرِ الـمَحْبُوبِ. ومنه قولُ الشَّاعِرِ الحَماسيِّ في مدحِ أخٍ له:

يَـزِيـدُ نَبَـالَـةً عَـنْ كُـلِّ شَـيءٍ ... وَنَـافِلَـةً وبَعْـضُ القَـومِ دُونُ[١]

مَعْنَـى كَوْنِ القُرْآنِ نَافِلَةً للنَّبـيِّ ﷺ أنَّ اللهَ خَصَّه بِالقرآنِ في إنْزَالِه عليه لا يُشـاركُه أحـدٌ في ذلـك، ففَضَـل الناسَ بِذلـك، فالقـرآنُ نافلةُ الفَضْلِ للرَّسـول ﷺ عـلى غـيرِه، إذْ هـي مُعْجِزَتُه البَاهِـرَةُ، كَقَوْلِ أبي ذُؤيب الهُـذَليّ في إضافةِ «نافلة» إلى «الفَضْل»:

فَـإنْ تَـكُ أُنـثَـى في مَـعَـدٍّ كَريمةً ... عَلَيْنَا فقَدْ أُعْطِيت نَافِلَةَ الفَضْلِ[٢]. اهـ

قـال عبدُ القادر بنُ عمر البغداديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّما أَضَافَ «النَّافلةَ» إلى «الفَضْلِ» لَـمَّا كانتْ تفْضُلُ عَلَى مَن سِـوَاهَا بِتِلْـكَ النَّافِلَةِ[٣]. اهـ. قلـتُ: فإضافةُ «نافلة» إلى «القرآن» بهذا المعنَى، فِي بَيت كعبٍ، مِن إضافةِ الشّيءِ إلى نَفْسِه مع اختلافِ اللَّفظِ، إذْ المَعنـى «النَّافلةُ الّتِـي هو القُرْآنُ». ويَجُوزُ أنْ يكونَ معنَى «نافلة» «السُّـنَّةُ النّبويّةُ» فتُغايِـرُ إضافتُه إلى «القـرآن» إضافتَه إليه على المعنَى السّـابِق، وإمكانُ وجودِ هذينِ الـمَعْنَيَـينِ في البَيـتِ يُنْبِـئُ عمّا يُسَـمَّى بـ«الاتّسَـاعِ» في علمِ البَديعِ. وهـو أنْ يأتيَ الشّـاعرُ بِبيتٍ يَتَّسِعُ فيه التّأويلُ، على قدْرِ قُوّةِ النَّاظِرِ فيه وبِحسَبِ ما تَحمِلُه ألفاظُه، كَما عرَّفه علماءُ البديعِ[٤]. وَنَظَمَه صاحِبُ «نَورِ الأقَاحِ» بِقَولِه:

---

(١) «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقيّ (٢/ ٦٢٦).

(٢) «لسان العرب» (١١/ ٦٧١).

(٣) «خزانة الأدب» (١١/ ٢٤٩).

(٤) «القول البديع في علم البديع» للعلّامة الشّيخ مَرْعيّ بن يوسفَ الحنبليّ (١٠٣٣هـ)، ص: (١٧٠).

....

والاتِّسَاعُ كونُ لَفْظٍ مُتَّسِعْ لَدَى تَأَوُّلٍ بِقَدْرِ مَنْ سَمِعْ[1]. اهـ

مَوَاعِيظٌ: جَمْعُ «مَوعِظَةٍ» وهي تَذْكِيرُكَ للإنسان بما يُلَيِّنُ قلبَه مِنْ ثوابٍ وعِقَابٍ، وأصلُه «مواعظ»، فقولُه «مواعيظ» فيه ضرورتان:

أولاهما: زيادةُ «الياءِ» مِنَ الكسرةِ المُشبَعَةِ عند المُبَرِّدِ، إذْ قال: «فإذا احتَاجَ شاعرٌ إلى زيادةِ حرفِ المَدِّ في هذا الضَّربِ مِن الجَمْعِ جَازَ لَه، لِلُزُومِ الكَسْرةِ ذَلك المَوضعَ، وإنَّما الكسرةُ مِنَ اليَاءِ»[2]. اهـ. أو زِيدَتْ «اليَاءُ» في هذا الجَمْعِ الّذي لا «ياءَ» فيهِ قِيَاسًا، تَشْبِيهًا لِهَذَا الجَمْعِ بالجَمْعِ الّذي فِيه «اليَاءُ»، نحوُ «مَطَافِل» و«مَشَادِن» جَمْعَي «مُطْفِل» وَ«مُشْدِن»، فجُمِعَا عَلَى «مَطَافِيل» و«مَشَادِين» وهذا عند سِيبويهِ[3].

الثّانية: صرفُ مالا ينصرفُ، لأنَّ «مواعظ» أو «مواعيظ» على صيغةِ منتهى الجُمُوعِ، الّتي تَمْنَعُ الاسْمَ مِنَ الصَّرْفِ إذَا كَانَ غيرَ مُضَافٍ ولا محلًّى بـ «أل»، وقدْ صَرَفَهَا مُجَرَّدةً منهما، لِقولِ ابنِ مَالكٍ في «الخُلاصَة»:

ولاضْطِرَارٍ أو تَنَاسُبٍ صُرِفْ ذو المنْعِ والمَصْروفُ قدْ لا يَنْصَرِفْ

ومِمّا يدخلُ في النّقدِ الأدَبِيِّ، ويُعْرَفُ به مدى فَصَاحَةِ الشّاعرِ، أنّ هذَا الّذِي ارتكَبَه كعبٌ هنا مِنْ ضرورةِ صرفِ ما لا ينصرف مُسْتَحْسَنٌ عند النُّحاةِ، ويُسمَّى

---

(١) «فيض الفتّاح على نَورِ الأقاح» (٢/ ٢٧٨). الطّبعة الثّانية.

(٢) «المقتَضب» لأبي العبّاس محمّد بن يزيد المُبَرِّد (٢/ ٢٥٨)، تحقيق محمّد عبد الخالق عضيمة. عالم الكتب.

(٣) كتاب سيبويه (٣/ ٦٤٢).

....

في اصطلاحهم بـ «الزِّيَادَةِ». أشارَ إِلَى هَذَا النَّوْعِ المُسْتَحْسَنِ مِن الضَّرُورَةِ الإِمَامُ أبو بكر بنُ السَّرَّاج[1]. وعلّةُ هَذَا الاستحْسَانِ أنَّ الأَصْلَ في الأسماءِ كلِّها الصَّرفُ. وبِهذا تَتَجَلَّى قُوَّةُ شَاعِرِيَّةِ كعبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

تفصيل: أي بيانٌ وتَوضِيحٌ وتَمْيِيزٌ لِلشَّرَائِعِ والأحكامِ مِن أمورِ الدِّينِ.



(١) «الأصول في النّحو» لأبي بكر محمّد بن سهل بن السّرّاج النّحويّ البغداديّ (٣/ ٤٣٥ - ٤٣٦). الطّبعة الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

٤٠ـ لا تَأْخُذَنّي بِأَقْوَالِ الوُشَاةِ ولَمْ   أُذْنِبْ وإنْ كَثُرَتْ فِيَّ الأَقَاوِيلُ

أوّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

لا: ناهيةٌ تَجزمُ فعلًا مضَارِعًا وَاحدًا.

تأخُذَنّي: فعلٌ مضارعٌ معلومٌ، مبنيٌّ على الفتحِ لاتّصالِه بـ «نونِ» التَّوكيدِ الخفيفةِ في محلِّ جزمٍ، و«النُّونُ» الثّانيةُ «نونُ الوِقَايَةِ»، وفاعلُ «تَأْخُذَنّي» ضميرٌ مستترٌ فيه وجوبًا تَقْدِيرُه «أَنْتَ». وجملةُ «لا تأخُذَنّي» لا محلَّ لها مِن الإعرابِ لأنَّها مُفسِّرةٌ لِجُمْلَةِ «مَهْلًا».

بأقوال: «الباء» للسّببيَّةِ حَرْفُ جرٍّ مُتعلِّقٌ بـ«تأخذَنّي». و«أقوال» اسمٌ مجرورٌ بـ«الباء» وَهُوَ مُضَافٌ.

الوُشاةِ: مضافٌ إليه مجرورٌ.

ولم أُذنِبْ: «الواوُ» للحالِ. «لم» حرفُ جزمٍ ونفيٍ وقلبٍ. «أُذنِبْ» فعلٌ مضارعٌ معلومٌ مجزومٌ بـ«لم» وعلامةُ جزْمِه السُّكونُ، وفَاعِلُه ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ فِيهِ وجوبًا تَقديرُه «أَنَا»، وجملةُ «ولم أُذنِبْ» في محلِّ نَصْبٍ حَالٌ مِنَ «اليَاءِ» مِنْ «تأخُذَنّي»، والفِعْلُ «تَأخذ» هو العامل في الحال.

وإنْ كثُرتْ: «وإنْ» إنْ: مقرونةً بـ«الواوِ» حرفٌ لِوَصْلِ جُملةٍ قبلَهُ بأُخرَى بَعْدَه، لا مَحَلَّ له مِنَ الإعْرَاب وسيأتي توضيحُ ذلك. «كثُرتْ» فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ على الفتحِ و«التّاءُ» للتّأنيثِ.

فيَّ: جارٌّ ومجرورٌ، وتعلُّقهما بـ«كثُرتْ» على أنّه عَمِلَ في محلِّهما النَّصْبَ على الحَالِيَّةِ.

الأقاويلُ: فَاعِلُ «كثُرتْ» مَرْفوعٌ.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

لا تأخُذنِّي: لا تُعَاقِبَنِّي[١].

بأقوالِ الوُشاةِ: بِكلامِ الوُشَاةِ وهو جَمْعُ «وَاشٍ»، وهو النَّاقِلُ للكلام على غيرِ وجْهِهِ، الكاذبُ فيه للإفسادِ. وما أَحْسَنَ قَولَ أُمَامَةَ الشَّاعرةِ في بيانِ أَثَرِ قولِ الوُشَاةِ السَّيِّئِ في نفسها:

فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَكْلِمُ الجِسْمَ قَدْ بَدَا ... بِجِسْمِيَ مِنْ قَوْلِ الوُشَاةِ كُلُوم[٢]

ولم أُذنِبْ: أي لم أكنْ ذا ذَنْبٍ.

وإنْ كثُرتْ فِيَّ الأقاويل: «الأقاويل» جمعُ «أقوال»، وهو جمع «قول»، فـ«أقاويل» جمعُ الجمع على صيغةِ منتهى الجُموعِ «مَفَاعِيل»، و«القولُ» كَلَام أو كلُّ لفظٍ مَذَل به اللِّسانُ تامًّا أو ناقصًا[٣]. وجملة «وإنْ كثُرتْ فِيَّ الأقاويل» بُدِئتْ بـ«إنْ» مقرونةً بـ«الواو»، وتُسمَّى «وإنْ» هذه «وصْلِيَّةً» عند النُّحاةِ، لِوَصْلِهَا مَا بَعْدَهَا بِمَا قَبْلَهَا، وَهِي تُفِيدُ مَا تُفيدُه «ولو» الّتي في نحوِ قَولِه تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يُوسُف: ١٧]، وقوله تَعَالَى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ

---

(١) ومنه قوله تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾. مِنْ سورةِ الحَجّ، ورقم الآية (٤٨).

(٢) «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقيّ (٣/ ١٣٨١). الطّبعة الثّانية.

(٣) «الخصائص» صَنعة أبي الفتح بن جنّيّ (١/ ٥) بتحقيق محمّد عليّ النّجّار. الطّبعة الثّانية. مطبعة دار الكتب المصريّة (١٣٧١هـ - ١٩٥٢م) - القاهرة -.

وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، وقولِـه تعَالَىٰ: ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠]. وتَحْرِيرُ القَولِ فِي «وإنْ» في مِثْلِ هذا الأسلوبِ، أنَّ «الواوَ» و«إنْ» أصبحَا بِمثَابةِ حرفٍ واحدٍ لِتأديةِ معنًى هو الوَصْلُ لِمَا بَعْدَه بِمَا قَبْلَه. وذلك الوَصْلُ في حالَتَينِ:

الأولى: حالةُ استفهامٍ بما بعده عمَّا قبْلَه.

الثَّانيـة: حالـةُ مبالغةٍ لِتَقْرِيـرِ مَا قَبْلَه بِمَا بَعْـدَه. والدَّليلُ على استِعْمَالِ «وإنْ» لِلحَالَتَينِ قولُه ﷺ: «**أتاني جبريلُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ **فبشَّرني أنّه مَنْ مات مِنْ أُمَّتِك، لا يُشْرِكُ باللهِ شيئًا دخلَ الجَنَّةَ، قلتُ وإنْ زنى وإنْ سرقَ؟ قال وإنْ زنى وإنْ سرق**»[1]. ووجْهُ الاستدلالِ لِلْحَالَةِ الأُولى الاستفهاميَّةِ أنَّ قولَه ﷺ أوّلًا: «**وإنْ زنى وإنْ سرق؟**» استفهامٌ عن الدُّخولِ وعدمِه بعدَ قولِه «قلتُ». فجملةُ «وإنْ زنى وإنْ سرق؟» محلُّها النّصبُ، مفعولٌ به، لأنَّها مقولُ القولِ. وقولُ جبريل[2] ثانيًا: - وإنْ زنى وإنْ سرقَ. جَوَابًا للرّسول ﷺ - يفيدُ المبالغةَ في تقريرِ دخولِ الجَنَّةِ بعد قولِه «قال» فجملةُ «**وإنْ زنى وإنْ سرق**» في محلِّ نصب مفعولُ «قال». والتّقْديرُ «**مَنْ مَاتَ مِنْ أمّتِك لا يُشْرِك بالله شيئًا دخل الجنّة وإنْ زنى وإنْ سرقَ**». وفي هذا التّقديرِ تكونُ جُملةُ «**وإنْ زنى وإنْ سرق**» في قولِ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حالًا منَ الضّميرِ الـمُسْتَترِ في «دخلَ»[3].

(١) «صحيح مسلم» للإمام أبي الحُسين مُسلم بن الحجَّاجِ القُشيريّ النّيسابوريّ (١/ ٩٤ - ٩٥) تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التّراث العربيّ.

(٢) وهو دليلُ حالةِ المبالغةِ لِتَقْريرِ ما قَبْلَ «وَإِنْ» به.

(٣) وذلك لا يُعَارِضُ أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد يُعذِّب بعضَ مَنْ ارتكَبَ كَبِيرَةً كالزنى والسّرقةِ =

فجَمَعَ الحديثُ الشَّريفُ الحالَتَين المُومَى إليهما آنِفًا؛ وقولُ كعبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «وإنْ كثُرتْ فِيَّ الأقاويل»، «وإنْ» فيه أفادتْ المبالغةَ في إثباتِ طلبِ عدمِ المُؤاخذَةِ بِأقْوَالِ الوُشَاةِ. وجُمْلَةُ «وإنْ كَثُرَتْ فِيَّ الأَقَاوِيلُ» في محلِّ نصبٍ، حالٌ ثانٍ مِن «اليَاءِ» في «لا تأخذَنِّي»، مِنْ تَعَدُّدِ الحَالِ لِصَاحِبِ حالٍ واحِدٍ، على حدِّ قولِ ابنِ مالك في «الخُلاصة»:

والحالُ قدْ يَجِيءُ ذَا تَعَدُّدِ ... لِمُفْرَدٍ فَاعْلَمْ وغَيرِ مُفْرَدِ

والرّابطُ لِهذهِ الجملةِ الحَالِيَّةِ بِصَاحِبِ الحَالِ هو الضّميرُ «الياءُ» في «فِيَّ». والله أعلم.

وقد تَأتي الجملةُ الّتي وُصِلَتْ بـ«وإنْ» بِمَا قَبْلَهَا مُعْتَرِضَةً لا محلَّ لها مِنَ الإعْرَابِ، نَحوُ ما في قولِ الشّاعِرِ:

وليس المالُ - فاعْلَمْهُ - بِمَالٍ ... - وإنْ أغْنَاكَ - إلَّا لِلّذيِّ

يُرِيدُ بِهِ العَلَاءَ وَيَصْطَفِيهِ ... لأقرَبِ أقْرَبِيْهِ وَلِلْقَصِيِّ[1]. اهـ

= ولم يتُبْ حتى مات ثُمّ يُدخله الجنّة، فهو لا يَسْبِقُ في الدُّخولِ، لكنَّ نِهايَته الدُّخولِ بَعْدَ التّهْذِيبِ، وبِهَذا يَنْتَفِي التّعارُضُ بين بعضِ نُصوصِ الكتاب والسّنّة في المسألِةِ. والعلم عند الله.

(١) «همع الهوامع شرح جمع الجوامع» في علم العربيّة تأليف الإمام جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السُّيوطيّ (١/ ٨٢). دار المعرفة للطّباعة والنّشر - بيروت - لبنان، و«لسان العرب» (١٥/ ٢٤٥) دار صادر - بيروت -. و«اللّذِيُّ» لغةٌ في «الّذي». والبيتان من «الخفيف» غيرُ منسُوبَين في المصْدَرَين.

....

فجملـةُ (فَاعْلَمْـه) معترضــةٌ بين اسـمِ «لَيْسَ»: «المـال»، وبين خـبرِه «بمال». وكذلـك جملةُ (وإنْ أغناك) مُعترِضَةٌ، وهي محلُّ الشَّـاهِدِ، و(إنْ) وصليَّةٌ[1]. قلتُ: «وإنْ» للمُبَالَغَـةِ في تقريـرِ نَفْـيِ كَـونِ الـمَالِ مالًا حَصَـلَ به غِنًـى، لِأنَّ الغَرَضَ مِنَ الـمَالِ اكتسـابُ العَلَاءِ بِـهِ فِي الإعطاءِ للقَريبِ والبَعيدِ، فإذا انعـدمَ ذلك في الـمَالِ، لم يَكنْ مَالًا على ما يَرَى الشَّاعِرُ الحكيمُ.



(١) «خزانةُ الأدب ولُبُّ لُبابِ لسان العرب» (٥/ ٥٠٤).

٤١- لَقَدْ أَقُومُ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ ... أَرَى وأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الفيلُ

أوّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

لقد: «اللّام» مُوَطِّئَةٌ للقَسَم. و«قد» حرفٌ للتّحقيقِ، مبنيٌّ على السّكونِ لا محلَّ له مِن الإعرابِ.

أقوم: فعلٌ مضارعٌ معلومٌ، مرفوعٌ لتجرُّدِه مِن النّواصبِ والجوازم. أو لِحُلُولِه مَحَلَّ الاسمِ، وعلامةُ رفعِه الضَّمَّةُ الظّاهِرَةُ، وفَاعلُه ضميرٌ مستترٌ فيه وجوبًا تقديرُه «أنا». وقد وُضِع المضارعُ مَوضِعَ المَاضِي، والتَّقْديرُ «لَقَدْ قُمْتُ».

مَقامًا: فيه إعرابان: إمَّا أنْ يكونَ منصوبًا على أنَّه مفعولٌ مطلقٌ فهو مصْدَرٌ ميميٌّ، وناصبُه «أقُومُ». وإمَّا أنْ يكونَ منصوبًا على نزعِ الخَافِضِ، فهو اسمُ مكانٍ والتّقديرُ: «لَقَدْ قُمْتُ في مَقَامٍ»، والأوّلُ أَرْجَحُ لِعَدَمِ تَقديرِ مَحْذُوفٍ، فنَصْبُه مباشِرٌ مِن العامِلِ.

لو: حرفُ شرطٍ غيرُ جازمٍ، لِبيانِ تَعليقِ حُصُولِ مَضْمُونِ جَوابِ شَرْطِه على حُصُولِ مَضْمُونِ شَرطِه في الماضي، فَفِعْلُ شَرْطِهِ يَكُونُ مَاضيًا، وقد يكونُ مضارعًا في معنى الماضي، كما قال كعبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو يَقومُ بِهِ» أي «لو قَام به». وأشارَ إلى ذلك كلِّه ابنُ مَالِكٍ في «الخُلاصة» بقوله:

«لو» حَرْفُ شرْطٍ في مُضِيٍّ ويَقِلّ ... إيْلاؤُهُ مُسْتَقْبَلًا لَكِنْ قُبِلْ

يقومُ به: «يقوم» فعلُ الشَّرطِ لـ «لو»، مرفوعٌ لحلوله محلَّ الاسمِ، أو لِتجرُّدِه مِن النّواصبِ والجوازم. و«به» جارٌّ ومجرورٌ مُتَعَلِّقَانِ بـ«يقوم». و«البَاءُ» تُفيدُ الظَّرْفِيَّة أي «فيه».

....

الفيلُ: في آخر البيت، فاعلُ «يقوم»، مرفوعٌ.

أرى: فعـلٌ مضارعٌ معلومٌ مرفـوعٌ، وعلامةُ رفعِهِ ضَمَّة مُقَدَّرَةٌ على الألفِ منع مِنْ ظُهورها التّعذّرُ، وفاعلُه ضميرٌ مستترٌ فيه وجوبًا تقديرُه «أنا».

وَأَسْمَـعُ: «الواوُ» حرفُ عطفٍ. «أسـمَعُ» فعلٌ مضـارعٌ معطوفٌ على المرفوع قبله، وعلامةُ رفعِه الضّمّةُ الظّاهرةُ، وفاعلُه مسـتترٌ فيه وُجُوبًا تقديرُه «أنا»، وجمْلَتَا «أَرَى» و«أسمع» جوابُ «لو» الأولى. ومعنى الفعلينِ الـمُضِيُّ. وحصَلَ الاعتراضُ بهـذا الجواب بين الفعلِ «يقوم» وبـينَ الفاعِلِ «الفيل». قال أبو عـليٍّ الفارسيُّ: «إنَّ الاعتراضَ قدْ شَاعَ في كلامِهِم واتَّسَع وكَثُر»[1]. اهـ

مـا: نَكِـرَةٌ مَوصُوفةٌ بمعنَى «شَيء»، مبنيٌّ على السّـكونِ في محلِّ نصْبٍ مفعولٌ بـه، تنازعَـه الفِعْـلانِ: «أرى» و«أسـمع»، فأَعْمَلَ الثّـاني فيه وهو «أسـمع» وأَهْمَلَ الأوّلَ وهو «أرى» مُعْمِلًا له في ضَمِيرِ المُتَنَازَعِ فيه، وحُذِفَ هذا الضَّميرُ لأنّه فضْلةٌ، والتّقدير «أراه وأسْمَع ما».

لو: «لو» الثّانية مثلُ الأولى: حَرفُ شَرطٍ غَيرُ جَازِمٍ.

يَسْمَعُ: فعلٌ مضارعٌ معلومٌ، مرفوعٌ لِحلولِه مَحَلَّ الاسْمِ، وعلامةُ رفعِهِ الضَّمَّةُ الظَّاهرةُ، وفاعلُه ضَميرٌ مستترٌ فيه جوازًا تقديرُه «هو» يَعُود إلى «الفِيل»[2].

---

(١) «المسـائل الحلَبِيّـات» صَنعةُ أبي عليٍّ الفارسيّ، الـمُتوفّى سـنة(٣٧٧هـ)، ص: (١٤٣). الطّبعة الأولى (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م). دار القلم بدمشق. دار المنارة - بيروت -.

(٢) وسيأتي تفسير هذا البيت مع تفسير البيت الثّاني والأربعين.

٤٢- لَظَلَّ يُرْعَدُ إلَّا أَنْ يَكونَ لَهُ   مِنَ الرَّسُولِ بِإذْنِ اللهِ تَنْوِيلُ

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

لَظَلَّ: «اللّامُ» لجَوابِ «لو» الثّانِيَةِ. «ظَلَّ» فعلٌ ماضٍ ناقصٌ مبنيٌّ على الفتح، واسمُه ضميرٌ مستترٌ فيه جوازًا تقديرُه «هو» يعودُ إلى «الفيل».

يُرْعَدُ: فعلٌ مضارعٌ مجهولٌ، مرفوعٌ لِحلولِه مَحَلَّ الاسْمِ كَمَا يَقُولُ سيبويهِ، أو لتجرُّدِه مِنَ النَّواصِبِ والجَوَازِمِ كَمَا يَقولُ الكُوفيُّون، وعلامةُ رفعه الضَّمَّةُ الظّاهِرَةُ، ونائبُ فاعلِه ضميرٌ مستترٌ فيه جوازًا تقديرُه «هو» يعودُ إلى «الفيل». وجملةُ «يُرْعَدُ» في محلِّ نصبٍ خَبَرُ «ظَلَّ». وجُمْلَةُ «لَظَلَّ يُرْعَدُ» جوابُ «لو» الثّانية، وجُملتا الشَّرْطِ والجواب لـ «لو» الثّانيةِ في محلِّ نصْبٍ نعتٌ لـ«ما»، إذِ الجُمَلُ بَعْدَ النَّكِراتِ صفاتٌ.

إلَّا: أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ حرفٌ مَبنيٌّ على السُّكونِ، لا مَحَلَّ له مِن الإعراب.

أنْ يكونَ: «أنْ» حرفٌ مصْدريٌّ لِنَصْبِ الفعلِ المضارعِ. «يكونَ» فعلٌ مضارعٌ تامٌّ منصوبٌ بـ«أنْ». و«أنْ» وما دخلتْ عليه في تأويلِ مصْدرٍ منصوبٍ على الاستثناءِ مِن مُقدّرٍ عامٍّ، والتّقديرُ «لَظَلَّ يُرْعَدُ في جميعِ الحالاتِ إلّا أنْ يَكُونَ له إلخ...». فالمستثْنَى مِنْ غيرِ جنسِ المستثنَى منه فَيكونُ الاستثناءُ منقطعًا، ويجوز أنْ يكون متّصِلًا على تقديرِ مضافٍ بأنْ تقولَ: «لَظَلَّ يُرْعَدُ في جميع الحالاتِ إلّا حالةَ كونِ تَنْوِيلٍ لَهُ إلخ...».

له: جارٌّ ومجرورٌ، شبهُ جملةٍ، متعلِّقٌ بـ «تَنْوِيل» في مَحَلِّ نصبٍ حالٌ.

تنويـل: فاعلُ «يكون» مرفـوعٌ، وهو صاحبُ الحال نكـرة، كان منعوتًا تَقَدَّمَ عليه نَعْتُه فأُعرِبَ حَالًا، على ما هو معروفٌ في مثْلِه عند النُّحَاة.

مِنَ الرَّسُـول: جارٌّ ومجرورٌ مُتَعَلِّقَانِ بـ«تنويل»، وهما شِبْهُ جُملةٍ في محلِّ نصبٍ حالٌ ثانٍ لـ «تنويل».

بإذن الله: «الباء» حرفُ جرٍّ. «إذن» اسمٌ مجرورٌ بـ«الباء» وعلامةُ جرِّه الكسرةُ الظّاهـرةُ. و«إذن» مضـافٌ. و«الله» مضـافٌ إليـه مجـرورٌ، وشِـبْهُ الجُمْلَةِ مِـنَ الجارّ والمجرور، والمضافِ والمضافِ إليه في محلِّ نصبٍ حالٌ ثالثٌ لـ «تنويل».

ثانيًا: تفسير كلمات هذين البَيْتَيْنِ:

أقـومُ مقامًا: أَقِـفُ في مَوقفٍ مَعْنَوِيٍّ، وهي الحَالةُ الَّتِـي أَتَلَبَّسُ بِهَا ثابتًا فيها، ومعنـى «المقـام» اللّغويِّ ما قال فيه أبو زيد الأنصـاريّ: «(الـمَقَام) بفتحِ (الـمِيم) حيث تقوم»[1]. اهـ.

لَو يَقُومُ بِهِ الفِيلُ: لو تَلَبَّسَ الضَّخْمُ في جِسْمِهِ، العَظيمُ في اسمِه وهو «الفيل» - ذلك الحيوانُ المعروفُ - بهذا المقامِ. وهو الذّكَرُ مِنْ هذا الحيوانِ، والأنثَى يُقال لها «زَنْدَبِيل»، وجاء هذا الاسمُ في قولِ أبي العلاءِ الـمَعَرِّي:

فـاقْـدُرُوا مِـنْ بَـنَـاتِ ضَـأْنٍ عَـبُـورًا   سَـرَّه أنْ تكون كالزَّنْدبيل[2]. اهـ

(١) كتاب «النّوادر في اللُّغة» لأبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاريّ، ص: (٢٩).

(٢) «لزوم ما لا يلزم» لأبي العلاء المعرّي (٢/ ٣٦٢). دار صادر للطّباعة والنّشر - بيروت -. دار بيروت للطّباعة والنّشر (١٣٨١هـ - ١٩٦١م) - بيروت -.

أَرَى وأَسْمَعُ مَا: أي شيئًا.

لو يسمعُ: لو يسمعُه ذلك الفيلُ، و«السَّمَاعُ» في اللّغةِ أنْ تُدْرِك الصَّوتَ بِحاسَّةِ الأُذُنِ، إلّا أنَّ العَرَبَ قد تَستعْمِلُ عبارَاتِ طُرُق العِلمِ في مَوضِعِ العِلمِ في مَقَامَاتٍ فيقولون: «سمعْتُ كَذَا» بِمَعنَى عَلِمْتُه. أشَارَ إلى ذلك العلّامةُ المرزوقيُّ[1]. ولو أُسْنِدَ هذا الفعلُ إلى الله تَعَالَىٰ كما في الذِّكر «سمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، فالصَّحيحُ أنْ يُثْبَتَ لـ«سَمِعَ» معناه اللُّغَويُّ الأصِيلُ لله على ما يَلِيقُ بِجَلالِه وكَمالِه، دُونَ أنْ يقالَ «عَلِمَ» خِلَافًا لِما ذَهَبَ إليه العَلَّامَةُ المَرْزُوقيُّ في أنَّه بمعنى «عَلِمَ»[2]. وليس بسديدٍ في أُصولِ عقيدةِ أهلِ السُّنَّة والجَماعَةِ لِما فيه مِنْ تعطيلِ صفةِ «السَّمْعِ» لله تَعَالَىٰ خوفًا مِنْ تَشبيهِهِ بالمخلوقِ وذَلِكَ لَيسَ بِلَازِمٍ، بَلْ فيه ما يُضَعِّفه في عِلْمِ مَتْنِ اللُّغةِ وهو: تفسيرُ الكلمةِ بِلَازِمِ مَعْنَاهَا المَلْزُومِ، مع طرْح ذلك المَلزوم الّذي هُوَ الأَصْلُ، بخِلاف ما لو فُسِّر بهذا المعنى الملزومِ فقطْ، لَتَبِعَهُ اللَّازِمُ الّذي هو العِلْمُ. ووَجْهُ تَبعِيَّتِهِ أنَّ العِلْمَ لا يُوجَدُ إلَّا في الإنسانِ، ومَنْ يُشْبِهُهُ مِنْ عُقلاءِ المَخْلُوقينَ. إذِ العِلْمُ وَصْفٌ في اصطلاحِ الأصوليِّينَ لا يستَقِلُّ عن محلٍّ في الوُجودِ. بل يكونُ في محلٍّ، وعندَ وجودِه فيه يُوصَفُ المحلُّ بأنَّه عالمٌ. وأيضًا مِنْ ناحيةٍ أخرى: هذا المَلْزومُ هو الأصلُ لِمَعْنَى اللَّفظِ اللُّغويِّ، والمَعنَى اللَّازمُ تابعٌ له يَتَفَرَّعُ عنه عند تفسيرِه به لِمَنْ فَعَلَ ذلك. فإذا اقْتَصَرَ المُفَسِّرُ على هذا المعنى اللَّازِمِ قضى على المعنى الأصليِّ المتبوعِ. وقدْ تقرَّرَ في فنِّ أصولِ الفِقْهِ أنّ الفَرعَ إذا عَادَ على الأصلِ

(١) «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقيّ (٢/ ٥٢٤).

(٢) المرجع السّابق.

بالإبطـالِ فَهو أحقُّ به، لاسـيَّما في مسـألةٍ عَقَدِيَّةٍ كهذه الَّتي معنا. ويَحِـقُّ لي أنْ أَتَمَثَّلَ بقولِ القائل في المرزُوقِيِّ:

رامَ نَفْعًا فضَرَّ مِنْ غيرِ قَصْدٍ ومِنَ البِرِّ ما يَكُونُ عُقُوقًا. اهـ

إذ سـلَكَ مسـلكَ التّأويـلِ اجتهـادًا فيـما لا يسـتقيمُ فيـه ذلك ففسّر «سَـمِعَ» بـ«عَلِمَ».

لَظَلَّ يُرْعَدُ: أي لَصَارَ يُرْعَدُ. فـ«ظَلَّ» هنا بِمعنى «صار»، لِمَجِيئِهِ بِهَذَا المَعنَى أَحيَانًا[1].

يُرْعَد: أي تُنْزِلُ به الرِّعْدةُ وهي الرَّجْفَةُ خَوفًا، فأنا مِنْ بَابِ أَولَى وأَحرَى[2].

إلَّا أنْ يكونَ له تنويلُ: استثناءٌ لِحَالةِ حُصُولِه عَلى تنويلٍ منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن حالةِ صيرُورَتِه مُرْعَدًا، فلا رِعْدةَ لِزَوالِ سَبَبِها بحصول هذا التّنويلِ الّذي هو العفوُ عنه، وقد أتى تَائِبًا مِنْ ذَنْبِه.

بإذْنِ الله: أُسلُوبٌ قُرآنيٌّ عقديٌّ. أي بأمرِ اللهِ الّذِي هو مشيئتُه الّتي تَبِعَتْها مشيئةُ رسـولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَفَعَلَ التَّنويلَ الّذِي هو إعطاءُ العفوِ إذْ لا يشـاءُ التّنوِيلَ إلّا بِمشـيئَةِ اللهِ لَهُ، لِـمَا تَقَرَّرَ فِي عِلمِ عَقائدِ أهلِ السُّنَّة والجماعة: «أنّ العبدَ وجميعَ أفعالِه بمشـيئةِ اللهِ تَعَالَى، مَعَ أَنّ العبدَ يَفْعَلُ اختيارًا بِالقُدْرَةِ والإرَادَةِ اللَّتَيْنِ خَلَقَهُما اللهُ فيه

---

(١) أشار صاحب «الجامع» المختار بن بونه إلى ذلك بقوله:

كَصار كان ظَلَّ أضْحَى استَعْمَلُوا وهكذا أصْبَحَ أَمْسَى نَقَلُوا. اهـ

(٢) حِكَايةٌ عن كعبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

....

فِعْلًا اختياريًّا يُثاب عليه ويُعاقَبُ»[١]. اهـ. قلت: هذا إذا كان هذا الفعلُ مِن العادةِ واجبًا أو مستحبًّا أو حرامًا، أمّا إذا كانَ هذا الفعلُ مباحًا فلا ثَوَابَ ولا عِقَابَ، كَما لو كان مكروهًا في اصطلاح الأصولِيِّينَ والفُقَهَاء.



(١) «دفْعُ إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» تأليفُ محمّد الأمين الجَكَنِيّ الشّنقيطيّ، ص: (٣٣٠). مطبعة المدنيّ.

٤٣- حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي - لَا أُنَازِعُهُ - فِي كَفِّ ذِي نَقِمَاتٍ قِيلُه القِيلُ

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

حتّى: حرفُ جرٍّ بمعنى «إلى» لانتهاء الغايةِ، متعلِّقٌ بـ«أقوم» مِنْ قوله السَّابق «أقوم مقامًا»، أي «إلى أنْ وضَعْتُ».

وضَعْتُ: فعلٌ ماضٍ معلومٌ مبنيٌّ على السُّكُونِ لاتّصاله بـ«التَّاء»، في الفَاشِي فِي أَلْسِنَةِ المُعربين، أو على فتحةٍ مقَدَّرةٍ مَنَع مِنْ ظهورِها السُّكونُ المأْتِيُّ به كراهيَّةَ توالِي أربعِ حَركَاتٍ فيما هو كالكَلِمَةِ الوَاحِدَةِ عندَ المُحَقِّقِينَ. و«التَّاءُ» ضميرٌ متَّصلٌ مبنيٌّ على الضَّمِّ في مَحَلِّ رَفعٍ فَاعِلٌ.

يميني: «يمين» مفعولٌ به منصوبٌ، وعلامةُ نصبِه فتحةٌ مقدَّرةٌ على «النّون» مَنَعَ مِنْ ظهورِها كسْرَةُ مُنَاسَبةِ «يَاءِ» المتكلِّم، و«يمين» مضافٌ. و«ياء» المتكلِّم ضميرٌ مبنيٌّ على السُّكون في محلِّ جرٍّ مضافٌ إليه.

لا أُنازِعُه: «لا» نافيةٌ، حرفٌ مبنيٌّ على السّكونِ لا محلَّ له مِنَ الإعرابِ. «أنازعُه» أُنازعُ: فعلٌ مضارعٌ معلومٌ، مرفوعٌ لِحُلُولِه مَحَلَّ الاسْمِ، وعلامة رفعِه ضَمَّةٌ ظَاهِرةٌ، وفاعلُه ضميرٌ مستترٌ فيه وجوبًا تقديرُه «أنا». و«الهاءُ» ضميرٌ متَّصِلٌ مبنيٌّ على الضّمّ في محلِّ نصْبٍ، مفعولٌ به يعودُ إلى «ذي نقِمات». وجملةُ «لا أُنازِعُه» في محلِّ نصبٍ حالٌ من «ذي نقِمات»، وكانتْ نعْتًا لـ «ذِي نقِمات» وهو نكرةٌ عند تأخُّرها عنه، فلمّا تقدّمَ النّعتُ على المنعوتِ النّكرةِ أُعرِبَ حالًا منه.

في كفِّ ذي نقِمات: «في» حرفُ جرٍّ. و«كفِّ» مجرور بـ«في»، وهو مضافٌ. و«ذي» بمعنى «صاحِب» مضافٌ إليه مجرورٌ، وعلامةُ جرِّه «الياء» لأنّه مِن الأسماء

السّتّة، والجارُّ والمجرور متعلّقان بـ«وضَعْتُ». و«ذي» مضافٌ. و«نقِمات» مضافٌ إليه مجرورٌ وعلامةُ جرِّه الكسرةُ.

قِيلُـه القِيلُ: «قِيلُ» مبتدأٌ مرفوعٌ، وعلامـةُ رفعِه الضَّمَّـةُ، و«قِيلُ» مضافٌ. و«الهاء» الضميرُ مضافٌ إليه في محَلِّ جَرّ. و«القيل» خبرُ المبتدإ مرفوعٌ؛ وجملةُ «قيله القيل» في محلِّ جرٍّ نعتٌ لـ«ذي نقِمات».

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

حتَّـى وَضَعْـتُ يَمِيـنِي: أي إلى أنْ أَثْبَـتُّ يَمينِي وهـي اليدُ اليُمنَى، وسُـمِّيتْ «اليمـين» بذلـك لأنَّهـم كانُـوا إذا تَحالفُـوا ضَرَبَ كلُّ امْـرِئٍ منهُم يمينَه عـلى يَمِينِ صاحبِه[1]. وعبَّرَ كَعبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنْ هذا «الضَّرْبِ» بـ«الوَضْع».

لا أُنَازِعُـهُ: أي لا أُخَاصِمُـهُ. و«الـمُنازَعَة» تَظْهَرُ في القَـولِ وهي الـمُجَاذَبَةُ، فيقال «نَازَعَه القَولَ» جَاذَبَهُ على خِلَافٍ، ومنه قولُ غَيْلَانَ ذِي الرُّمَّة:

إذَا نَـازَعَـتْـكَ الـقَـوْلَ مَـيَّـةُ أَو بَـدَا … لَكَ الوَجْهُ مِنْهَا أَو نَضَا الدِّرْعَ سَالِبُهْ[2]

في كـفِّ ذي نَقِمات: أي في كفِّ صاحبِ نَقِماتٍ، وهو الرّسـولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. و«النَّقِمات» جمع «نَقِمة» أو «نِقْمة» وهي الـمُكَافَأَةُ بِالعُقُوبَةِ[3].

---

(١) «لسان العرب» (١٣/ ٤٦٣).

(٢) «ديوان ذي الرُّمَّة» شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهليّ صاحبِ الأصمعيّ (٢/ ٨٣٤).
وقوله «نَضَا الدِّرْعَ سالِبُه»: خَلَعَ الدِّرْعَ مُنْتَزِعُه بالقَهْرِ.

(٣) «القاموس المحيط» (٤/ ١٨٣).

....

قيلُـه القِيـلُ: أي أنَّ مـا سَـمِعه مِـنْ قـولِ الرَّسـول ﷺ بعقوبتِـه هـو الـمَحْكُومُ الـمُسَلَّمُ بِهِ ليسَ غيرُ. وأفادَ تَعريفُ جُزْئَيْ الابتداءِ الحصرَ، على مَا تَقَرَّر في علمِ المعاني، فالمبتدأُ مَحْصُورٌ في الخبَرِ.



٤٤- لَـذاك أَهْـيَـبُ عندي إذْ أُكلِّمُه   وقـيـلَ: إنَّـك مـنـسوبٌ ومـسـؤول

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

لَـذَاك: «الـلّام» حرفٌ للابتداء يفيـدُ التّوكيدَ، مَبْنِيٌّ عـلى الفتح لا محلَّ له من الإعـراب. و«ذا» اسـمُ إشـارةٍ مبنيٌّ على السّـكونِ في محـلِّ رفعٍ مبتـدأٌ. و«الكاف» حرفُ خطابٍ، مبنيٌّ على الفتح لا محلَّ له من الإعرَابِ.

أَهْيَبُ: خَبَرُ المُبتَدإِ مَرْفُوعٌ. والإشارةُ إلى الرّسولِ ﷺ.

عندي: «عند»: ظرفُ مكانٍ، مفعولٌ فيه منصوبٌ وعلامةُ نصبِه فَتْحَةٌ مقدَّرَةٌ على آخِرِه مَنَعَ مِنْ ظُهورِهَا كَسْرَةُ مُنَاسَبَةِ «يـاءِ» المتكلِّمِ، و«عِندَ» مُضَافٌ. و«الياءُ» ضَميرٌ مبنيٌّ على السُّكونِ في محلِّ جرٍّ، مضافٌ إليه. و«عند» متعلّقٌ بـ«أَهْيَبُ» وبهذا التَّعلُّقِ عَمِلَ فيه النّصْبَ على الظَّرفيَّةِ.

إذْ: ظرفُ زمانٍ مفعولٌ فيه، مبنيٌّ على السُّكونِ في محلِّ نصْبٍ، وعاملُ النَّصْبِ في محلِّه هو «أَهْيَبُ»، لأنّه وصفٌ مشْتقٌّ يعملُ عَمَلَ فِعْلِهِ، و«إذْ» مضافٌ.

أكلِّمُـه: «أكلِّـمُ»: فعلٌ مضـارعٌ معلومٌ، مرفـوعٌ لوقوعِه موقعَ الاسـمِ، على الرّاجحِ مِن الخِلافِ في علّةِ الرّفعِ، وعلامةُ رفعِه ضمّةٌ ظاهرةٌ، وفاعلُه ضميرٌ مستترٌ فيـه وجوبًا تقديرُه «أنا». و«الهـاءُ» الضَّميرُ المتَّصِلُ بـ«أكلِّم» مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلِّ نصْبٍ، مفعولٌ به، وجملةُ «أكلِّمه» في محلِّ جرٍّ مضافٌ إليه.

وقيـل: «الـواوُ» تصلحُ أنْ تكونَ عَاطِفَةً، وأنْ تَكُـونَ لِلحَالِ، فعَلى أَنَّهَا عَاطفةٌ فجملَةُ «قِيلَ إِنَّكَ مَنْسُوبٌ ومَسْؤول» في محلِّ جرٍّ معطوفةٌ على جملة «أُكَلِّمُه»، وعلى

....

أنَّهـا لِلْحَالِ فَالجُمْلَةُ فِي محَـلِّ نصْبٍ حالٌ مِنَ الضَّميرِ «الهَـاءِ» بـ«أكلِّم». «قيل» فعلٌ ماضٍ مجهولٌ، مبنيٌّ على الفتْحِ.

إنَّـك: «إنّ» حرفُ توكيدٍ ونصبٍ. و«الـكافُ» ضميرُ خطابٍ مبنيٌّ على الفتحِ في محلِّ نصب اسم «إنَّ»، وكُسِرَتْ همزةُ «إنّ» لأنَّها محْكِيَّةٌ بِالقَولِ.

منسوب: خبرُ «إنَّ» مرفوعٌ.

ومسؤول: «الواو» حرفُ عَطْفٍ. «مسؤولٌ» معطوفٌ على الخبرِ فهو مرفوعٌ في حكمِ الخبَرِ، وعلامةُ رفعِه الضَّمَّةُ الظَّاهرةُ في آخره، وجملةُ «إنّك منسوبٌ ومسؤولٌ» في محلِّ رفع نائبُ فاعلِ «قيل».

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

لَذاك أَهْيَبُ عندي: أي لَلرّسول ﷺ أشدُّ وأبْلغُ في كونِه مَهيبًا عندي. وفعلُ «أهْيَب» أَفْعَل التَّفضيل، هو «هاب» بمعنى «خافه واتَّقاه»، وبمعنى «حَذَرَه»، وبمعنى «وَقَّرَهُ وعَظَّمَهُ»، وهذه الـمَعَانِي كلُّها مُجتَمِعَةٌ في «أَهيَبُ» الوصفِ.

إذْ أُكلِّمه وقيل إنَّك منسـوبٌ ومسـؤولٌ: أي حين أُحدِّثُه وحين يقولُ النّاسُ لي: أنـتَ منسـوبٌ، أي مذكـورٌ بِنَسَـبِكَ مَعْـزُوٌّ إلى أبيك، بأنَّ الرَّسـولَ ﷺ أَوْعَدَكَ بالقَتْلِ، وهذه تَبِعَةٌ أنتَ مسـؤولٌ عنها، وعلى هذا النَّمطِ مِن الأسلوبِ جاء لفظُ «مسـؤول» في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصَّافات: ٢٤]. فالسُّؤالُ سُؤالُ تَوبيخٍ وتَقْرِيرٍ لإيجابِ الحُجَّةِ عَلَيهِم، لأنَّ اللهَ - جلَّتْ قُدْرَتُه وتَقَدَّسَـتْ أَسْـمَاؤُهُ -

....

عَالمٌ بأعمالِهم، وقَدْ علِمَ الرَّسولُ ﷺ بِعَمَلِ كعبٍ قَبْلَ أنْ يَأْتِيَ مُعْتَرِفًا تَائِبًا مِنْ ذنبِه.



٤٥- مِنْ خادرٍ مِنْ لُيوثِ الأُسْدِ مَسْكنُه مِـن بَـطْـن عَـثَّـرَ غِـيـلٌ دُونَـه غِيلُ

أوَّلاً: إعراب كلمات هذا البيت:

مِـنْ: حـرفُ جـرٍّ متعلِّـقٌ بـ«أهيـب» الّـذي هو وصـفٌ على صيغـة «أفعل» للتّفضيـلِ، وقدْ تَجَـرَّد مِن «أل» فوُصِلَ بـ«مِـنْ» الدّاخلِ على المُفَضَّـل عليه وُجُوبًا، على حدِّ قولِ ابنِ مَالِكٍ في «الخُلاصة»:

و«أَفْـعَـلَ» الـتّـفـضِـيـلِ صِـلْـهُ أَبَـدًا تَـقـدِيـرًا أو لفظًا بـ«مِـنْ» إنْ جُرِّدا

خادرٍ: مُفَضَّلٌ عليه، مجرورٌ بـ«مِنْ» هذه، وعلامةُ جرِّه الكسرةُ الظَّاهرةُ، والجارُّ والمجـرورُ مُتعلِّقان بـ «أهيب» لِعَمَلِهِ فيهـمَا، فاعْتَرَضَتْ جُمْلَتَـا: «إذْ أُكلِّمه» و«قيل إنّك منسـوب ومسـؤول» بين «أَهْيَب» وبين معمولِه «مِنْ خَادِرٍ»، والاعتراضُ بينَ العَاملِ والمعمولِ بِمَا لَيسَ بِأَجنبيٍّ كثيرٌ متَّسع في كلام العرب[1].

مِنْ لُيوثِ الأسْد: «مِن» حرفُ جرٍّ لِبَيَانِ الجِنْسِ. «ليوثِ» اسمٌ مجرورٌ بـ«مِن» وهو مضافٌ. «الأسْـد» مضافٌ إليه مجرورٌ، وعلامةُ جرِّه الكسرة من إضافة الشّيءِ إلى نفسِـه لاختِلافِ اللّفظين، وهو كثيرٌ في كلامِ العـربِ، وفائدتُها التّوكيدُ، والجارُّ والمجرورُ شبهُ جملةٍ في محلِّ جرٍّ نعتٌ لـ«خادر»، والتّقدير «مِنْ خادرٍ كائنٍ مِنْ لُيوثِ الأسْدِ».

مَسْـكَنُهُ: «مسْـكنُ»: مبتدأٌ مرفوعٌ، وهو مُضافٌ. و«الهَاءُ» الضَّميرُ المتَّصِلُ به العائدُ إلى «خادر»، مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلِّ جرٍّ، مضافٌ إليه.

---

(١) «المسـائل الحَلَبِيّات» صَنعةُ أبي عليّ الفارسيّ ص (١٤٣). دار القلم - دمشـق -. دار المنارة - بـيروت -. الطّبعـة الأولى (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، و«الخصائص» صَنعـة أبي الفتح عُثمان بن جِنّيّ (١/ ٣٣٥). الطّبعة الثّانية. مطبعة دار الكتب المصريّة سنة (١٣٧١هـ - ١٩٥٢م).

....

مِـنْ بطْـن عَثَّـر: «مِنْ» حرفُ جـرٍّ للتَّبْيِـين، ومعناهـا التَّبْيِنِـيُّ «فِي»، أي «في بطْـن». و«بطنِ» مجرورٌ بـ«مِنْ»، وهو مضافٌ. و«عَثَّرَ» مضافٌ إليه مجرورٌ، وعلامَةُ جَـرِّه الفَتْحَةُ نِيَابَةً عَن الكَسْرَةِ لِأَنَّهُ مَمْنُوعٌ مِنَ الـصَّرْفِ لِلعَلَمِيَّةِ ووَزْنِ الفِعْلِ «فَعَّل» الخَاصِّ به، وشِبْهُ الجُمْلَةِ «مِنْ بَطْنِ عَثَّرَ» في محلِّ نصبٍ حالٌ مِنْ «مَسْكَنه».

غِيلٌ: خبرُ المبتدإِ مرفوعٌ، وجملةُ «مَسْـكَنُه مِن بَطْنِ عَثَّر غِيلٌ» في محلِّ جرٍّ نعتٌ ثانٍ لـ «خادر».

دُونَه: «دون»: ظرفُ مكانٍ مفعولٌ فيه، منصوبٌ وهو مضافٌ. و«الهاء» عائدٌ إلى «غيـل»، مضـافٌ إليه في محلِّ جرّ، وهذا الظَّرفُ خبرٌ مقدَّمٌ وجوبًا، على حَدِّ قولِ ابنِ مَالِكٍ في «الخُلاصة»:

ونحوُ «عندِي دِرهَمٌ» و«لِي وَطَرْ» مُلْتَزَمٌ فيه تَقَدُّمُ الخَبَرْ

غِيـلٌ: الثَّاني، مبتدأٌ مرفوعٌ للخبرِ المُخْتَصِّ الـمُتَقَدِّم، وجملةُ «دونه غيلٌ» نعتٌ لـ «غيل» الخبرِ، في محلِّ رفعٍ.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

خَـادِر: أَسَـدٌ. «خادر» مِن أسـماءِ هذا الحيـوانِ الـمُفْتَرِسِ، يدلُّ اشْـتِقَاقُ هَذَا اللّفْـظِ أنَّه مُقيمٌ في عَرِينِه داخلٌ في الخِدْر، يُقَالُ «خَدَر الأسَـدُ وأَخْدَرَ»، فَهُو «خادِر ومُخْدِر» إذا كان في خِدْرِه.

مِـنْ لُيـوثِ الأُسْـدِ: «اللُّيـوث» جمعُ «لَيْـث» وهو «الأَسَـد»؛ و«الأسْـد» جَمْعُ «أسَـد»، فأضـافَ الجمعَ إلى الجمـعِ وهما بمعنًـى واحدٍ لاختـلافِ اللّفظين، وهذا

كثيرٌ في كلامِ العَرَبِ، حتَّى قال ابن جِنِّي: «إنّ من الأصول المقرَّرةِ في هذه اللُّغة اختِلَافُ اللّفْظَيْنِ والمَعْنَى واحدٌ»[1]. اهـ. وقال شيخُنا العلّامةُ محُمَّد الأمين بنُ محمّد المختار الجكنيّ الشّنقيطيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والّذي يظهر - والله أعلم - أنّ التّحقيق جوازُ إضافةِ الشَّيءِ إلى نفسِه إذا اختلَفَتْ الألفَاظُ، لأنّ المُغَايَرَةَ بَينَ الأَلْفَاظِ رُبَّمَا كَفَتْ في المُغَايَرَةِ بينَ المُضَافِ والمُضَافِ إليه»[2]. اهـ

ونحاةُ البصرةِ يَذهبونَ مذهبَ التّأويل عند إضافةِ الشّيءِ إلى نفسِه. أشار إلى هذا التّأويلِ لهم ابنُ مَالكٍ في «الخُلاصة» بقوله:

ولا يُضافُ اسمٌ لِمَا بِهِ اتَّحَدْ مَعْنًى وَأَوِّلْ مُوهِمًا إذا وَرَدْ

أمَّا نُحَاةُ الكُوفةِ فيَرَوْنَ الإضافةَ مع اتِّحادِ اللَّفظَينِ في المعنى دُونَ تَأْوِيلٍ، ومذهبُهم فيما يَظهرُ لِي - والله أعلم - أَسَدُّ وأرجحُ، لِكثرةِ ورُودِه في الكتابِ والسُّنَّةِ وفي كلامِ العَرَبِ.

مَسكنُه غيلٌ دونه غيلٌ: «مسكن» اسمُ مكان على وزنِ «مَفْعَل» للفعلِ «سكَنَ» بمعنى «هدأ واستقرّ وثبت». فـ«مسكن» مُسْتَقَرّ. و«غيلٌ» شَجَرٌ كثيرٌ مُلْتَفٌّ يُسْتَترُ فيه. و«دونه غيل»: «دون» قال فيه بعضُ النَّحوِيِّيْنَ إنّ له تسْعَةَ مَعَانٍ[3]، منها

(١) «الخصائص» صَنعة أبي الفتح عُثمان بن جِنّيّ (٢/ ٤٦٩).
(٢) «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» للشّيخ العلّامة محمّد الأمين الجكَنِيّ الشّنقيطيّ، ص: (٢٤٧).
(٣) «لسان العرب» (١٣/ ١٦٥ - ١٦٦)، و«القاموس المحيط» (٤/ ٢٢٣).

....

«وراءُ» وهو المعنى الـمُنَاسِـبُ هُنا، أي شَـجَرٌ مُلْتَفٌّ وَرَاءَه شَجَرٌ مُلتَفٌّ هو مَسْكَنُ هَذَا الخَادِرِ.

فِي بَطْـنِ عَثَّرَ: أي جَوْفِه، و«عثَّر» عَلَمٌ لِـمَأْسَـدَةٍ[1]. هـذه الكلماتُ الثَّلاثُ: «خـادر، ليوث، الأُسْـد» تكْـرَارُ أَلْفَـاظِ مَعْنًى وَاحِـدٍ، وَالغَرَضُ مِنْ ذلـك التَّكْرَارِ التَّفْخِيمُ، على ما تَقَرَّرَ في عِلمِ المعاني.



---

(١) «لسان العرب» (٤/ ٥٤٢)، و«القاموس المحيط» (٢/ ٨٥).

٤٦- يَغْدُو فَيَلْحَمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشُهُمَا ... لَحْمٌ مِنَ القَوْمِ مَعْفُورٌ خَرَادِيل

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

يغـدو: فعلٌ مضارعٌ معلومٌ، مرفوعٌ لِحلولِه محَلَّ الاسـم على الرّاجح، وعلامةُ رفعِـه ضَمَّـةٌ مقدَّرةٌ على «الواو» منعَ مـن ظهورِها الثِّقلُ، وفاعلُه ضميرٌ مُسـتَتِرٌ فِيه جَوَازًا تقديرُه «هو» يعود إلى «خادِر»، وجملةُ «يغدُو» مِن الفِعلِ والفَاعلِ في محلِّ جرٍّ نَعْتٌ ثَالِثٌ لـ «خَادِر».

فَيَلْحَـمُ: «الفَـاءُ» عَاطِفَـةٌ لِلتّرتِيـبِ، حـرفٌ مَبْنِـيٌّ عـلى الفَتْحِ لا مَحَـلَّ له مِنَ الإعراب. «يَلْحَم» فِعلٌ مضارعٌ معلومٌ، مَرْفوعٌ لِعطفِهِ عَلَى «يَغْدُو»، وفاعِلُه ضميرٌ مُسْتَتِرٌ فيه جوازًا تَقدِيرُه «هو».

ضِرْغامَـيِن: مَفْعُولٌ به لـ «يلحـم» منصوبٌ، وعلامةُ نصبِه «اليـاءُ» نِيَابَةً عَنِ الفتحةِ لأنّه مثنًّى.

عَيشُـهُما: «عيشُ» مبتـدأٌ مَرفوعٌ، وعلامـةُ رَفْعِهِ الضَّمَّةُ الظَّاهـرةُ، و«عيشُ» مضافٌ. و«هما» ضميرٌ مبنيٌّ على السُّكونِ في محلِّ جرٍّ مضافٌ إليه.

لحمٌ مِنَ القَومِ: «لحمٌ» خبرُ المبتدإ مرفوعٌ. «مِنَ القَومِ» جارٌّ ومجرورٌ شِبْهُ جملةٍ في محلِّ رفعٍ نعتٌ لـ «لحمٌ»، وتعلُّقُهما بـ«كائن».

مَعْفُورٌ: نعتٌ ثانٍ لـ«لحم» مرفوعٌ.

خراديـلُ: نعتٌ ثالـثٌ له، مرفوعٌ وعلامةُ الرَّفْع فيهـما الضَّمَّةُ الظَّاهرةُ. وجملةُ المبتدإ مِن: «عيشُهما... إلى آخر البيت» في محلِّ نصْبٍ نعتٌ لـ«ضِرغامَيْنِ»، لأنّ الجُمَلَ بَعْدَ النَّكراتِ صِفَاتٌ، والرَّابِطُ لهذه الجُمْلَةِ النَّعتيَّةِ بالمنعوتِ الضَّميرُ: «هما».

....

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

يغدو: معناه «يَبْتكِرُ» في أوَّلِ الصَّبَاحِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمسِ، للصَّيدِ الموصوفِ بأنَّه لَحْمٌ مِنَ النّاسِ.

يَلْحَمُ: يُطعمُ لَحْمًا، تقول «لَحَمْتُ فلانًا» إذا أَعْطَيْتَهُ لَحْمًا. وهَذا في فنِّ الصَّرفِ مِن بَابِ اشْتِقَاقِ الفِعلِ الثُلاثيِّ، مِنْ مَادّةِ اسْمِ العَينِ الثُّلاثِيِّ الّذِي هو «اللّحْمُ» لإفَادَةِ إنَالَتِه عندَ الصَّرْفِيِّنَ. وإلى هذه القاعدةِ الصَّرفيَّةِ المأخوذةِ من مثْلِ كلامِ كعبٍ هذا، أشار الحَسَنُ بنُ زين القُونانيّ الشّنقيطيّ في تتمّته للاميّة ابنِ مالك في تصريف الأفعال بقوله:

فاعمَلْ به وأَصِبْ مَعَ الأَخِيرِ وَخُذْ ... أَنِلْ بِذَا مُفْرَدًا تَمَرْتُهُ نُزُلا

الشّاهد «أَنِلْ بذا» أي اجعلْ هذا - وهو إشارةٌ إلى الفعلِ الثُّلاثيِّ المأخوذِ مِن اسْمِ عَينٍ ثُلاثيٍّ مُجرَّدٍ - للإنَالَةِ. وقولُ الحَسَن «تمَرْتُهُ نُزُلا» مِثال لـ «الإنالة» كـ «يَلْحَم» في بيتِ كَعْبٍ.

ضِرْغامَينِ: أَسَدَيْن وُهَمَا شِبْلَاه. وأَطْلَقَ عَلَيهِمَا كَعبٌ «ضِرْغَامَينِ» للتَّفخيم باعتبارِ ما سيكونان عليه. واعتبارُ ما سيكونُ مَنْزَعٌ بَلَاغِيٌّ في عِلمِ المَعانِي لِأغْرَاضٍ، يَقْتَضِيهِ المَقَامُ.

عَيشُهُمَا: يَحتَمِلُ أنْ يكونَ المُرادُ به حياتَهُمَا لِوُرُودِ «العَيشِ» في اللُّغةِ بمعنى «الحَيَاةِ»، على حَدِّ قَولِ الشَّاعِرِ:

....

آلَــةُ الـعَـيـشِ صِـحَّــةٌ وشَـبَـابٌ فَـــإِذَا وَلَّـيَـا عَــنِ الـعُـمْـرِ وَلى

وقولِ الآخرِ وهو مِنْ شَوَاهِد النَّحْوِ:

لا طِيبَ لِلعيْشِ ما دَامتْ مُنَغَّصَةً لَـذَّاتُـهُ بِـادِّكَـارِ الـمَوتِ والهَـرَمِ[(١)]

وقولِ الآخرِ وهو مِنْ شواهِدِ النَّحوِ أيضًا:

بَـاتَـتْ فُــؤَادِيَ ذَاتُ الخَــالِ سَالِبَةً فالعَيْشُ إنْ حُمَّ لِي عَيْشٌ مِنَ العَجَبِ[(٢)]

وتُستَعمَلُ في الفُصْحَى لَفْظَةُ «الحَيَاة» لـ «العَيْش»، كَمَا في قَولِ الإمامِ الشَّافعيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

حياةُ الفتَى ـ واللهِ ـ بالعلمِ والتُّقَى إذا لم يَـكُـونَـا لا اعْـتِـبَـارَ لِـذَاتِـهِ

ويحتمـلُ أنْ يكونَ المرادُ بـ «عيشـها» مـا يقتَاتَانِ بِهِ مِن لَحْمِ النّاسِ، وهو هنا أرجحُ مِن كَونِه حَيَاتَهُما، إذْ مِن مَعَانِي «العيشِ» في لُغَةِ العَرَبِ «القُوتُ» وهو أنْسَبُ هنا، وأيْضًا لِقيامِ حَيَاتِهما عليه. والعلم عند الله تَعَالَىٰ.

لَحْمٌ مِنَ القَومِ: أي من النّاسِ. و«القوم» إذا أُطْلِقَ يُرَادُ به الذّكورُ.

مَعفُورٌ: مُـمَرَّغٌ بـ «العفَر»، الّذي هو التُّرَابُ في اللُّغَةِ.

---

(١) «شرح الأشـمونيّ» عـلى ألفيّـة ابـن مالـك، ومعـه حاشـيةُ الصّبّـان وشرح الشّـواهد للعَينِيّ (١/ ٢٣٢).

(٢) «شرح الأشـمونيّ» عـلى ألفيّـة ابـن مالـك، ومعـه حاشـيةُ الصّبّـان وشرح الشّـواهد للعَينِيّ (١/ ٢٣٨).

....

خَرَادِيلُ: أي قِطَعٌ. وهذه الكلِمَةُ بهذه الزِّنَةِ لا مُفردَ لهَا مِنْ لَفْظِهَا، ولذا جاء خبرًا لِمبتدَإٍ مفردٍ على أنَّ «خَرَادِيلَ» مُفردٌ، لكنّه ممنوعٌ من الصَّرفِ لكونهِ على زِنَةِ «مَفَاعِيل» كـ «سَرَاوِيل»، وإلى هذا أشارَ ابنُ مَالِكٍ في «الخُلاصة» بِقَولِه:

ولِسَرَاوِيلَ بِهَذَا الجَمْعِ شَبَهٌ اقْتَضَى عُمُومَ المَنْعِ

وقد تَقَرَّرَ في أُصُولِ اللّغَةِ أنّ الكلِمَةَ الوَاحِدةَ قدْ يَجْتَمِعُ فيها دَاعِيَانِ لِحُكْمَينِ مُخْتَلِفَينِ. أَشَارَ إِلى هذا الأصلِ ابنُ جنِّيٍّ فِي «الخَصَائِصِ» وغَيْرُهُ، فيُعْطَى كُلُّ دَاعٍ مَا يَقْتَضِيهِ. والله أعلمُ.



٤٧- إذا يُسَاوِرُ قِرْنًا لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتْرُكَ القِرْنَ إِلَّا وَهْوَ مَجْدُولُ

أوّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

إذا: ظرفٌ للزّمانِ المُسْتَقْبَلِ، مُتَضمِّنٌ معنَى الشَّرط، مبنيٌّ على السُّكونِ في محلِّ نصبٍ مفعولٌ فيه، وعاملُ النَّصْبِ فيه جوابُه «لا يحلّ».

يُساور: فعلٌ مضارعٌ معلومٌ، مرفوعٌ لِحُلُولِه مَحَلَّ الاسم، وعلامةُ رفعه الضَّمّةُ الظّاهرةُ، وفَاعِلُه ضَميرٌ مُستَتِرٌ فيه جوازًا تَقْدِيرُه «هو» يعودُ إلى «خَادِر».

قِرْنًا: مفعولٌ به مَنصوبٌ. و«إذا» مضافٌ، لِلُزُومِ إضَافَتِهِ إلى الجُمَلِ الفِعْلِيَّةِ على حدّ قولِ ابنِ مَالِكٍ في «الخُلاصة»:

وأَلْزَمُوا «إِذَا» إِضَافَةً إلى جُمَلِ الأَفْعَالِ ك «هُنْ» إِذَا اعْتَلَى

وجملةُ «يساور» في محلّ جرٍّ مضافٌ إليه.

لا يحلُّ له: «لا» حرفُ نَفْيٍ، مَبْنِيٌّ على السُّكُونِ، لا مَحَلَّ لَهُ مِنَ الإعْرَابِ. «يحلُّ» فعلٌ مضارعٌ معلومٌ، مرفوعٌ لحلولِه محلَّ الاسمِ، وعلامةُ رفعه ضمَّةٌ ظاهرةٌ. «له» جارٌّ ومجرور مُتَعَلِّقَانِ بـ «يَحِلُّ».

أنْ: حرفُ نصبٍ واستقبالٍ ومصدريٌّ.

يترك: فعلٌ مضارعٌ معلومٌ منصوبٌ بـ«أنْ»، وعلامةُ نصبه الفتحةُ الظّاهرةُ وفاعلُه ضميرٌ مستترٌ فيه جوازًا تقديرُه «هو» يعودُ إلى «خادر»، و«أنْ» وما دخلتْ عليه في تَأويلِ مَصْدَرٍ مَرفوعٍ هو فاعِلُ «يحلُّ»، والتّقديرُ «لا يحلُّ له تَرْكُ القِرْنِ».

القِرن: مفعولٌ به منصوبٌ.

إلّا: أداةُ استثناءٍ مُلغاةٌ، حرفٌ مبنيٌّ على السُّكُونِ لا محلَّ له مِنَ الإعرابِ.

وهـو مجدول: «الواوُ» للحال. «هو» ضميرُ رفعٍ مُنْفَصِلٌ، مبنيٌّ على الفتح في محـلِّ رفعٍ مُبتدأ. «مجدول» خبرُ المبتدإ مرفـوعٌ. وجملَةُ «وهو مجدول» في محلِّ نَصْبٍ، حَالٌ مِنَ الـمَفْعُولِ بِهِ «القِرْن»، والعاملُ في الحال «يترك».

ثانيًا: تفسيرُ كلماتِ هذا البَيت:

إذا: تقـدّم أنَّ «إذا» ظرفٌ أي وقتٌ، والتَّقْديرُ في الإعرابِ لِيَتَّضِحَ هذا المعنى: «لا يَحِلُّ له وقتَ مُسَاورة القِرْنِ تَرْكُه إلّا مَجْدُولًا».

يُساور: معناه يُوَاثِبُ ويُقَاتِل، مِن «السَّوْرَة» بمعنى «الوَثْبَة» للمرَّة. يقال «سار إليه يَسُور سَوْرًا وسُؤُورًا» وَثَبَ وثَار[١]. قال العَجَّاج:

ورُبَّ ذِي سُـــرَادِقٍ مَحْـجُـورِ ... سُـرْتُ إِلَـيـهِ في أَعَـالِـي الـسُّـورِ[٢]

فاستعملَ العربُ المزيدَ على وزنِ «فاعَلَ»: «سَاوَر»، في الـمُوَاثَبَةِ عند الـمُغَالَبَةِ في قِتَالٍ أو غَيرِه، فيُقَال: الحيَّةُ تُسَـاوِرُ الرَّاكِبَ. ومنه قولُ ليلى بنتِ الأخيَل تَرُدُّ على هِجَاءِ النَّابِغَةِ الجَعْديِّ لَهَا:

تُـسَـاوِرُ سَـوَّارًا إلى الـمَـجْـدِ والعُلَـى ... وفي ذِمَّـتي لَـئِـنْ فَـعَـلْـتَ لَـيَـفْـعَلا[٣]

---

(١) «القاموس المحيط» (٢/ ٥٣)، و«لسان العرب» (٤/ ٣٨٥).

(٢) «ديـوان العَجَّـاج» رِوَايَةُ عبد الملك بن قُرَيب الأصمعيّ وشرحـه ص (٢٢٩ - ٢٣٠). طبعة دار الشّرق العربيّ سنة (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).

(٣) «الشّـعر والشُّـعراء» لابن قُتَيبَةَ الدَّينَـوَريّ (١/ ٤٤٠). تحقيق أحمد محمّد شـاكر. دار الحديث - القاهرة -.

....

وقولُ نَابِغَةِ ذُبْيَانَ:

فبِتُّ كأنِّي سَاوَرَتْنِي ضَئِيلَةٌ   مِنَ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعُ[1]. اهـ

قِرْنًا: أي مُبارزًا مُمَاثِلًا في القِتَالِ.

لا يَحِلُّ لَهُ: لَا يَجِبُ ولا يَثْبُتُ.

أنْ يَتْرُكَ القِرْنَ: أي تَرْكُه القِرْنَ. فهذا المنفيُّ أُثْبِتَ في حالةِ الجَدْل فيحِلُّ الجدلُ وَيَثْبُتُ، وقَدْ أَتَى فِي قوله «إلَّا وهو مجْدُولُ». فالمعنى «تَرْكُهُ القِرْنَ مجدُولًا واجِبٌ في حالةِ المُسَاوَرَةِ». ونَظِيرُ هَذا الأُسْلُوبِ في الدّلالةِ على أنَّ شيئًا لا بُدَّ مِن وُقوعِه في حالةٍ مَا، قولُه ﷺ في وصفِ عيسى - عليه وعلى نبيِّنا الصَّلاةُ والسَّلامُ - عند نُزولِه في آخرِ الزَّمانِ: «فبينما هو[2] كذلك إذْ بعَثَ اللهُ المَسيحَ ابنَ مَرْيَمَ، فينزِلُ عندَ المَنارَةِ البيضاءِ شَرْقِي دِمشقَ. بينَ مَهْرُودَتَيْنِ[3]. واضِعًا كَفَّيه على أَجْنِحَةِ مَلَكينِ. إذا طَأْطأَ رأسَهُ قَطَرَ. وإذا رفعَهُ تحَدَّرَ منه جُمانٌ كاللُّؤْلُؤِ[4].

---

(١) كتاب الأعْلم «شرح أشعار الشُّعراء الستِّ الجاهليِّين» تأليف يوسف بن سُليمان بن عيسى الشَّنْتَمَرِيّ، ص: (١٠٧) مخطوط. قوله «سَاوَرَتْنِي ضَئِيلَةٌ»: وَاثَبَتْنِي حَيَّةٌ دقيقةٌ قد أتى عليها سِنونَ كثيرةٌ فقلَّ لَحْمُها واشْتَدَّ سُمُّها. و«الرُّقْشُ»: الحيّات الّتي فيها نُقَطٌ سُودٌ وبِيضٌ.

(٢) أي الدّجّال، تَقَدَّمَ ذِكْرُه في الحديثِ.

(٣) أي ثوبَينِ مصبُوغَينِ بِوَرْسٍ ثمّ زَعْفَرَان. «لسان العرب» (٣/ ٤٣٥)، و«القاموس المحيط» (١/ ٣٤٨).

(٤) الجُمان: حبَّاتٌ من الفِضّة تُصنَعُ على هيئة اللُّؤلؤ الكبار. والمرادُ يَتَحَدَّرُ منْهُ الماءُ على هَيئةِ اللُّؤْلُؤِ فِي صِفَاتِه، فسَمّى الماءَ جُمانًا لِشَبَهِه به في الصَّفاء والحُسْنِ.

....

فلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِه[١] إلّا مَاتَ. ونَفَسُه يَنْتَهي حَيثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ. فيَطْلُبُهُ حتَّى يُدْرِكَهُ بِبابِ لُدٍّ[٢] فيَقْتُلَه»[٣]. اهـ.

الشَّاهدُ قولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِه إلّا مَاتَ»**. فمعنى: **«فلا يَحِلُّ»** لا يُمْكِنُ ولا يَقَعُ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِه إلَّا مَاتَ. أي: المَوتُ حقٌّ واجبٌ واقعٌ لا محالةَ في حالةِ وِجْدانِ رِيحِ نَفَسِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنَ الكَافِرِ.

ويَجِدُ المُتَأَمِّلُ أنَّ فاعِلَ الفِعْلِ «يَحِلُّ»، وهو لَازمٌ عَلى وَزْنِ «يَفْعِلُ» بِكسْرِ العَينِ، بمَعنى: يَحِقُّ ويَثْبُتُ، قَد حُذِفَ فَاعِلُه اخْتِصَارًا لِدلالةِ السِّياقِ عليه. والتّقديرُ: «فلا يَحِلُّ لِكافِرٍ يجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ أنْ يَحْيَا إلَّا مَات». فـ «أنْ» وما دخلتْ عليه مِنَ الفِعْلِ «يَحْيَا» في تأويلِ مصْدَرٍ مرفوعٍ فاعِلٌ لِـ «يَحِلُّ». واللهُ أعلمُ.

مجدول: مصروعٌ على الجدالة، وهي الأرضُ.



---

(١) نَفَسُ عيسى. «المفهم لما أَشْكَلَ من تلخيص كتاب مُسلم» تأليف الإمام الحافظ أبي العبّاس أحمد بن عمر بن إبراهيم القُرطبيّ (٧/ ٢٨٤). الطّبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م). دار ابن كثير.

(٢) «باب لُدٍّ»: لُدٌّ بضمِّ اللّام قرية بِفِلَسْطِيْنَ، يَقْتُلُ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الدَّجَّالَ عندَ بَابِهَا. «القاموس المحيط» (١/ ٣٣٥).

(٣) «صحيح مسلم» (٤/ ٢٢٥٣). تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي. الطّبعة الثّانية (١٩٧٢م). دار إحياء التُّراثِ العربيّ - بيروت - لبنان.

٤٨- مِنْه تَظَلُّ سِبَاعُ الجَوِّ ضَامِزَةً وَلَا تَمَشَّى بِوَادِيهِ الأَرَاجِيلُ

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

منه: «من» حرفُ جرٍّ. و«الهاء» ضميرٌ مبنيٌّ على الضَّمِّ في محلِّ جرٍّ بـ«مِنْ» والجار والمجرور متعلِّقان بـ«ضامزة».

تظلُّ: فعلٌ مضارعٌ ناقصٌ، يرفعُ الاسم وينصبُ الخبر، وهو مرفوعٌ.

سِباعُ: اسمُ «تظلُّ» مرفوعٌ، وهو مضافٌ.

الجوِّ: مضافٌ إليه مجرورٌ، وعلامةُ جرِّه الكسرةُ الظَّاهرةُ.

ضامزةً: خبرُ «تظلُّ» منصوبٌ، وجملةُ «تَظَلُّ سِبَاعُ الجَوِّ ضَامِزَةً» ذاتُ محَلٍّ إعرابيٍّ هو الجرُّ، نعتٌ لـ«خادر»[1].

ولا تمشَّى: «الواوُ» حرفُ عطفٍ. «لا» حرفُ نفيٍ، مبنيٌّ على السُّكون، لا محلَّ له من الإعرابِ. «تَمَشَّى» فعلٌ مضارعٌ معلومٌ، مرفوعٌ لِـمَا سَبَقَ وَتَكَرَّرَ في علّةِ رفْعِ المضارعِ عندَ سيبويهِ، وعلامةُ رفعِه ضمَّةٌ مقدَّرةٌ على الألفِ منَعَ مِنْ ظُهُورِهَا التَّعذُّر، وأصلُه «تتَمَشَّى»، فَحُذِفَتْ إِحْدَى التَّاءَينِ تَخفِيفًا فَصَارَتْ «تَمَشَّى».

بِوَادِيهِ: «الباء» حرفُ جرٍّ. «وَادِي» اسْمٌ مجرورٌ بـ«الباء»، وعلامةُ جرِّه كَسْرةٌ مقدَّرةٌ على «الياء» منَعَ مِن ظُهورِها الثِّقَلُ، والجارُّ والمجرور مُتعلِّقان بـ«تمشَّى»،

(١) الّذي تقدّم في البيت الخامس والأربعين. ويصحُّ إعرابُ هذه الجملة حالًا منه وهو نكرة، لأنّه وُصِفَ بأوصافٍ أَخْرَجَتْهُ مَنْ بَحبُوحةِ التّنكيرِ إلى دائرة التّعريف، فجاز مجيءُ الحال منه، إذْ صاحبُ الحالِ لا يَكون نكرةً إلّا بِمُسَوِّغٍ.

و«وادي» مضافٌ. و«الهاء» ضميرُ غيبةِ الـمُذَكّر لـ«خَادِر»، مبنيٌّ على الكسرِ في محلِّ جرٍّ، مضافٌ إليه.

الأراجيلُ: فاعلُ «تَمَشَّى» مَرفوعٌ، وجُمْلَةُ «لا تَمَشَّى بِواديه الأراجيل» في محلِّ جرٍّ معطوفةٌ على جملةِ: «تَظَلُّ سِباعُ الجَوِّ ضَامِزَةً» الَّتي في محلِّ جرٍّ على النَّعتيَّةِ لـ«خادر».

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

منه: «مِن» هنا حرفُ جرٍّ معناه التّعليلُ، والمجرورُ وهو الضَّميرُ العائدُ إلى «خادر» علّةٌ وسببٌ لِضُمُوز سِبَاعِ الجَوِّ. ومنه قولُ الفَرَزدَقِ في عليّ بن الحُسين:

يُغْضِي[1] حَيَاءً ويُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ ... فَمَا يُكَلَّمُ إلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ[2]. اهـ

وقولُه تَعَالَى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ [نوح: ٢٥][3].

وظاهرُ تَقديمِ الجارِّ والمجرورِ «منه»، على متعلَّقه «ضامزة» يُفيدُ الحصرَ، على ما تقرّرَ في علمِ المعانِي، فيفيدُ أنَّ هذا «الضُّموز» لِسِبَاعِ الجَوِّ لا يَكُونُ إلّا مِنْ هذَا «الخادر».

(١) معنى «يُغْضِي» يُدْنِي الجُفُونَ. «القاموس المحيط» (٤/ ٣٧٠).

(٢) «لسان العرب» (١٥/ ١٢٨).

(٣) الآية رقمُها (٢٥) من سورة نوح. وهي بتمامِها: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾. اهـ

سِبَاع الجوّ: «سِباع» جمع «سبُع» يَقعُ على ما له نَابٌ، يعدو على النّاسِ والدَّوابِّ فَيَفْتَرِسُها، مِثْلُ الأسدِ والذِّئبِ والنَّمِرِ والفَهْدِ وما أَشْبَهَهَا. و«سِبَاع» جمعُ «سبُع» سَماعًا، وقيَاسُه «أَسْبَاع» كـ«عَضُد وأَعْضَاد» و«عَجُز وأَعْجَاز». قال المُبَرِّدُ: «ولو احْتَاجَ شَاعِرٌ لجَازَ أنْ يقولَ في «رَجُل» أَرْجَال، وفي «سَبُع» أَسْبَاع، لأنّه الأصْلُ»[١]. اهـ. أي القياس.

الجوّ: البَرُّ الواسع أو ما اتَّسع مِنَ الأَوْدِيَةِ، ومِنْهُ قَولُ غَيْلَانَ ذِي الرُّمَّة:

أَمِنْ دِمْنَةٍ بالجوِّ جوٍّ جُلاجِلٍ زمِيلُك مُنْهلُّ الدُّموعِ جزوعُ[٢]

فـ«الجوُّ» فيه في المعنى كـ«الجوِّ» في قولِ كعبٍ هُنَا[٣]. ويَدُلُّ على هذا المعنى فيه قرينةُ قَولِه «ضامِزة» الّذي معناه «مُمْسِكةً عَنِ الجِرَّة»، وهي ما يُخْرِجُه كلُّ ذي كِرْشٍ مِن بَطْنِه لِيَمْضَغه ثُمَّ يَبْلَعُه، وهي لا تكونُ لِسِبَاعِ الجَوِّ الّتي هي الطُّيورُ المُفترسَةُ الكبيرةُ كالبَازِ والنَّسْر، إذ لا كِرْشَ لَها، بل الحَوْصَلَةُ، وعليه فيَحْتَمِلُ أنْ تَكُونَ

---

(١) «المُقتضَب» لأبي العبّاس محمّد بن يزيد المُبَرِّد (٢/ ٢٠١). تحقيق محمّد عبد الخالق عَضِيمة. عالم الكتب.

(٢) «ديوان ذي الرُّمَّة» شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهليّ صاحبِ الأصمعيّ (٢/ ١٠٧٧). الطّبعة الثّالثةُ (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).

(٣) وهو بطنُ الوادي. قال عنترةُ بنُ شَدّادٍ العبسيّ:

يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالجِوَاءِ تَكَلَّمِيْ وَعِمِي صَبَاحًا دَارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِي

«الجِوَاءُ» جمع «جوٍّ»، وهو البطنُ مِنَ الأرضِ الواسعُ في انخفاض. اهـ. قاله ابنُ الأنباريّ في «شرح القصائد السَّبْع الطِّوال الجاهليّات»، ص: (٢٩٦). تحقيق عبد السّلام محمّد هارون. الطّبعة الرّابعة. دار المعارف، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

....

«أل» في «الجوِّ» عِوَضًا عَنِ «الضَّميرِ» الـمُضَافِ إليه الرَّاجعِ إلى «خَادِر»، والتّقديرُ «منه تظلُّ سِبَاعُ جوِّه»، والإضافةُ تكونُ لأدنَى مُلَابَسَةٍ[1] وهو هنا: كونُ «الخادر» يحلّ في هذا الجوِّ أحْيَانًا، فحَذَفَ الضَّميرَ وأنابَ عنه «أل»، كَما هو معروفٌ في كلامِ العَرَبِ، وأَشَارَ إليه ابنُ مَالِكٍ في «التّسْهِيلِ»، ونَظَمَ ذَلكَ شَيخُ مَشَايِخنَا في قُطْرِ شِنقيطَ: «المُختارُ» في «الجامع بين التّسهيل والخُلاصة المانع مِنَ الحَشْوِ والخَصَاصَة» بقوله:

وجَـوِّزْ انْ يَـنُـوبَ فِي غَـيرِ صِلَـهْ　　　مَـقَـامَ مُـضْـمَـرٍ وَبَـعْـضٌ حَظَلَهْ

ضَامِزَةً: مُمسِكةً جِرَّتَهَا فِي فَمِهَا لا تجْتَرُّها خَوْفًا مِنْه، فـ«الضَّمْزُ» أو «الضُّموز» الإمساكُ لِلجِـرَّةِ[2]. ومنـه قولُ الشَّمَّاخ بـنِ ضِرارٍ في وَصْـفِ حِمَارٍ وَحْـشِيٍّ وأُتُنٍ وَحْشيَّةٍ:

---

(١) ومن الشّواهد على هذه الإضافةِ لأدنى ملابسةٍ قولُ الشَّاعِرِ:

إذا كوكبُ الخَرْقَاءِ لاحتْ بِسَحرة　　　سُهَيلٌ أذاعتْ غَزْلها في القرائب

فأضـاف «كوكب» إلى «الخرقاء»، وهـي الحمْقَاءُ التي لا تُقَدِّر الأمور. والكيِّسَـةُ مِنَ النِّسَاءِ تَستَعِـدُّ صَيْفًا فتَنامُ وَقْتَ طُلُوعِ سُهَيلٍ وهو وَقْتُ البَرْدِ. و«الخرقاء» ذات الغَفْلَة تَكْسَلُ عن الاسْتِعْدَادِ. فـإذَا طَلَعَ سُـهَيلٌ وبَرَدَتْ تَجِدُّ في العمل وتُفَـرِّقُ قُطْنَها في قَبيلتِها، تَسـتَعِينُ بهنَّ، فخَصَّصَهَا الشَّاعِرُ لِذَلِكَ. وأَشَارَ النَّاظِمُ إلى هذه الإضافةِ بقولِه:

وقـدْ يُـضِـيفُـونَ لِأَدْنَـى مُلْتَبس　　　كَكَوكَبِ الْخَرْقَاءِ لَاحَ بِقَبَس. اهـ

وقد نقل العلاّمة الصَّبَّان في «حاشيته علـى شرح الأشموني» (٢/ ٢٣٧)، عن بعض العلماء أنَّ مِنْ قَبِيلِ إضَافَةِ الشَّيْءِ إلى غَيرِهِ لِأَدْنَى مُلَابَسَـةٍ في التّنزيلِ إضافةُ «ضحًى» إلى ضمير «عشـيَّة»، مِـنْ قولِه تَعَالَى: ﴿عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦]، لَـمَّا كانتْ «العشِيَّةُ والضُحى» طرفي النّهارِ صحَّ إضافةُ أحدِهما إلى الآخر. اهـ

(٢) «لسان العرب» (٥/ ٣٦٥)، و«القاموس المحيط» (٢/ ١٨٠).

....

وَهُـــنَّ وُقُـــوفٌ يَـنْـتَـظِـرْنَ قَـضَـاءَهُ   بِضَاحِي غَـدَاةٍ أَمْـرُهُ وَهْـوَ ضَامِزٌ[١]

ولَا تَمَشَّـى: لا تَمْشِي. و«المشيُ والتَّمشِّي» نقلُ القدَمِ مِن مَكَانٍ إلى مكانٍ بإرَادَةٍ سَرِيعًا كانَ أو بَطِيئًا.

بِواديـه: «الوادي»: مُنْفَـرَجٌ بين جِبَالٍ أو تِلَالٍ أو آكامٍ يكونُ منفذًا للسُّـيول، وأضافـه إلى ضمـيرِ «خادر» لأدْنَى مُلَابَسَـةٍ، لِأَنَّهُ عِنْدَ خُروجِه للافـتراس يَنْزِلُ فيه يَتَرَصَّدُ الصَّيْدَ.

الأَرَاجِيلُ: جمعُ «أَرْجَـالٍ». و«أَرْجَالٌ» جمْعُ «راجِلٍ»، وهو الـمَاشِي عَلَى رِجْلَيه مِنَ النَّاسِ[٢]. فكلٌّ يَخَافُ أنْ يَكُونَ فَرِيسَةً لهذا «الخَادِرِ»، فلا يَقْرُبُ منه.



(١) «جمهرة أشعار العرب»، ص: (٣٢٥)، و«لسان العرب» (٥/ ٣٦٥). دار صادر - بيروت -، و«تهذيب اللُّغة» لأبي منصور محمّد بن أحمد الأزهريّ (١١/ ٤٨٩). الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة.

(٢) «لسان العرب» (١١/ ٢٦٦).



٤٩- وَلَا يَــزَالُ بِــوَادِيــهِ أَخُــو ثِقَةٍ مُــطَــرَّحَ الـبَـزِّ والــدِّرْسَــانِ مَــأْكُــولُ

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

الواو: حرفُ عطفٍ لِجملة «يزال» على ما تقدَّم.

لا: نافيةٌ.

يزال: فعلٌ مضارعٌ ناقصٌ مِن أَخواتِ «كان»، مرفوعٌ لِـمَا سَبَقَ[1] مِن عِلَّة رفعِ الفِعْلِ الـمُضَارِعِ عِنْدَ سِيبويهِ.

بواديه: «الباءُ» حرفُ جرٍّ. «وادي» مجرورٌ بـ«الباء» وعلامةُ جرِّه كسرةٌ مقدَّرةٌ على «الياء» مَنعَ مِن ظُهُورِهَا الثِّقَلُ، وهو مضافٌ. و«الهاءُ» ضميرٌ مبنيٌّ على السُّكُونِ في محلِّ جرٍّ مضافٌ إليه، والجارّ والمجرور متعلِّقان بـ«مُطَرَّح البزّ».

أخو ثقةٍ: «أخو» اسـمُ «يزال» مرفوعٌ، وعلامةُ رفعِه «الواوُ» نيابةً عن الضَّمةِ وهو مضافٌ. و«ثقةٍ» مضافٌ إليه مجرورٌ، وعلامةُ جرِّه الكسرةُ الظّاهِرَةُ.

مُطَرَّحَ البـزِّ: «مُطَرَّحَ» خبَرُ «يَزَال» مَنْصُوبٌ، وعلامةُ نَصْبِهِ الفتحةُ الظّاهرةُ، وهو مضافٌ. و«البَزِّ» مضافٌ إليه مجرورٌ، وعلامةُ جَرِّه الكَسْرَةُ الظَّاهِرَةُ.

والدِّرسـانِ: «الواوُ» حرفُ عطفٍ. «الدِّرْسَان» معطوفٌ على «البَزِّ» تَابعٌ له في جرِّه وعلامةُ ذلك: الكَسرةُ الظَّاهرةُ.

مَأكُـولٌ: خبرٌ مرفوعٌ لِمبتدإٍ مَحذُوفٍ مُقدّرٍ بـ«هو»، وعلامةُ رفعِ الخبرِ الضَّمَّةُ الظّاهرةُ.

---

(١) كثيرًا.

ثانيا: تفسير كلمات هذا البيت:

مُطَّرح: اسمُ مفعولِ «طرَّح الشَّيءَ» إذا أكثرَ مِن طَرْحِه، فـ«المطَّرَح»: المرمِيُّ الـمَلْقِيُّ بِكثْرَةٍ.

البَزّ: السِّلاح، ومنه قولُ الشَّنفَرَى في «لاميَّته»:

فإنِّي لَمَولَى الصَّبْرِ أَجْتَابُ بَزَّهُ   عَلَى مِثْلِ قَلْبِ السِّمعِ والحَزْمَ أَنْعَلُ

الدِّرْسان: الخُلقَانُ مِنَ الثِّيَابِ، مُفْرده «دِرْسٌ» بكسْر الدَّال، أي «خَلَقٌ قديم».

فمعنى البيت: مَنْ يثِقُ بنفسِه مِنَ النّاسِ ويَحْمِلُ سِلاحَه ويُنَازِلُ هذا الخادِرَ في وادِيه إذا حَلَّه ؟! فإنَّ الخادرَ يُمَزِّقُ عنه سلاحَه وثِيَابَهُ الخُلْقَانَ[1] فيقْطَعُها قِطَعًا ويَطْرَحُها، أمَّا هو نفسُه فيأكلُه.

❁ ❁ ❁

---

(١) جمعُ «خَلَقٍ» مُحَرَّكَةً: «البَالِي» لمذكَّر المؤنَّث، ومنه قولُ الشّاعر الأخْطَل:

وبِالصَّريمَةِ منهم مَنزِلٌ خَلَقٌ   عَافٍ تَغيَّرَ إلَّا النُّؤْيُ والوَتِدُ. اهـ

«شعر الأخطل»، ص: (٢٩٧). الطّبعة الرّابعة (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م). دار الفكر.

تنبيه: قد نَسَبَ العلَّامة العَيْنِيُّ في شرحِه للشّواهد الواردةِ في «شرح الأَشْمُونيّ» لألفيّة ابن مالك مع حاشية الصّبّان عليه (٢/ ١٤٤)؛ نَسَبَ هذا البيتَ إلى «الأخْطَلِ غَوث بنِ غوثٍ» والصّحيح: «الأخطلُ أبو مالك غِيَاثُ بنُ غَوث التَّغلبيّ».

٥٠- إنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

أوَّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

إنَّ: حرفُ توكيدٍ ونصبٍ.

الرَّسولَ: اسم «إنَّ» منصوبٌ، وعلامة نصبه الفتحةُ الظَّاهِرَةُ على آخره.

لَنورٌ: خبرُ «إنَّ» مرفوعٌ. و«اللَّامُ» حرفٌ مُزَحْلَقٌ مِن الاِسْمِ إلى الخبرِ، على حَدِّ قولِ ابنِ مَالِكٍ في «الخُلَاصَةِ»:

وبَعْدَ ذاتِ الكَسْرِ تَصْحَبُ الخَبَرْ ... «لامُ» ابْتِدَاءٍ نَحْو «إنِّي لَوَزَرْ»

يُستضاءُ بـه: «يُسْتَضاء» فِعْلٌ مضارعٌ مجهُولٌ، مَرفوعٌ للعلَّة المُومَى إليها سابِقًا عند سِيبويْهِ، وعلامةُ رفعِه ضَمَّةٌ ظاهرةٌ. «به» جارٌّ ومجرورٌ مُتعلِّقان بـ«يُسْتَضاء»، ومحلُّهما رفعٌ على النِّيَابَةِ عنِ الفاعِلِ، وجملة «يُسْتَضاء به» في محلِّ رفعٍ نعتٌ لـ«نور»، أو خبرٌ ثانٍ لـ«إنّ»، هو جملةٌ والأوَّلُ مفردٌ.

مُهنَّدٌ: خبرٌ ثالثٌ مرفوعٌ.

مِن سيوف الله: «مِن» حرف جرٍّ[1]. «سيوف» مجرورٌ بـ«مِن» وهو مضافٌ. «الله» مضافٌ إليه مجرورٌ، وشِبْهُ الجملةِ «مِن سُيوفِ الله» نعتٌ لـ«مهنّد»، في محلِّ رفعٍ.

مسلول: خبرٌ رابعٌ لـ«إنَّ»، مرفوعٌ، أو نعتٌ لـ«مُهَنَّد».

(١) والتّقديرُ في مثلِه: لفظُ «مِنْ» حرف جرّ.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

الرَّسـول: هو في اللُّغَـةِ مصدرٌ على وزن «فَعُول»، وقد أشـار ابنُ مالك إلى أنَّ المصـدرَ لِلْفِعْـلِ الثُّلاثـيّ يأتي على هـذا الوزن[١]. اهــ. إلَّا أنَّه قليلٌ. فـ«الرّسـول» بمعنى «الرِّسالة» على هَذَا. قالَ بعضُ العُلَماءِ: فِعْلُه مُماتٌ في الاستعمالِ الفَصِيحِ[٢].

ويشهدُ على أنَّ «الرّسول» بمعنى «الرِّسالة» قولُ الأسْعَرِ الجُعْفيِّ:

أَلَا أَبْـلِـغْ أبـا عـمْـرٍو رَسُـولا ... بِـأنّـي عـنْ فُـتَـاحَـتِـكُـم غَـنِـيٌّ[٣]

وقولُ رجلٍ مِن «بني يَشْكُر» فيما كان بينهم وبين «ذُهْلٍ»:

ألا أبـلِـغْ بَـنِـي ذُهْـلٍ رسُـولا ... وخُـصَّ إلَى سَـرَاةِ بَنِي النِّطَاحِ[٤]

وقولُ العَبّاسِ بنِ مِرْدَاسٍ الصَّحابيِّ الجليلِ - رضي الله عنه وأرضاه -:

أَبْـلِـغْ أبَـا سَـلْـمى رَسُـولًا يَـرُوعُـه ... وَلَـوْ حَلَّ ذَا سِدْرٍ وأَهلِي بِعَسْجَل[٥]

قـال العلاَّمـةُ المرزوقـيُّ: «يُخاطِـبُ بِقولِـه (أَبْلِـغْ) صاحبًـا لـه يقـول: أدِّ إِلَى أبي سَلْمَى رِسَالةً تُفَزِّعُه، على ما بيننا مِنَ البُعْد، وعلى استِيْطَانِه ذا سِدْرٍ، وَنُزُولِ أهلي بِعَسْجَل»[٦]. اهـ.

---

(١) «تسـهيلُ الفوائـد وتكميـلُ المقاصـد»، ص: (٢٠٤)، وانظـر كذلـك «القامـوس المحيـط» (٣/ ٣٨٤)، و«لسان العرب» (١١/ ٢٨٣).

(٢) «أقربُ المَوارِدِ في فُصَحِ العربيَّة والشّوارد» (١/ ٤٠٤).

(٣) «لسان العرب» (١١/ ٢٨٣).

(٤) «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقيّ (٢/ ٧٧٢).

(٥) «شرح ديوان الحماسة» (١/ ٤٣٣).

(٦) المرجع السّابق.

وقـدْ يُطْلَقُ «الرّسـولُ» ويُرادُ به الـذّاتُ، مِن باب إطلاق اسـمِ الـمَعْنَى وهو المصدرُ على اسمِ العَيْنِ، وهو كثيرٌ في كلامِ العربِ كإطلاقِ «الشَّبَابِ» بِفَتْحِ الشِّين، وهو اسـمُ معنًى على اسـمِ العَين، وهو الرَّجُـلُ في عُنْفُوانِ العُمْـرِ، وإطلاقِ «خُلَّة» وهـو مصـدرٌ على العَينِ، مَعْنَـاهُ «الصَّديقُ» كما تقدّمَ لِكَعْـبٍ، وفي هذه الحالةِ يكونُ «الرَّسـولُ» وصْفًا هو «الـمُرْسَـل» بِفتْحِ السِّين اسـمُ مفعول. و«المصدر» إذا أُطْلِقَ عـلى الذّاتِ يَسْـتَوِي فِيهِ الـمُفْرَدُ والـمُثنَّى والجَمْعُ، فهـذا «الوصف» باعتبارِ أصلِه «مصْدر»، و«المصدرُ» لا يُثنَّى ولا يُجْمَعُ.

و«أل» في «الرّسول» لِلعَهْدِ، عِوَضٌ عن الـمُضَافِ إليهِ الـمَعْرِفَةِ «لَفْظِ الجَلالَةِ» في قوله في البيتِ السَّـابِقِ «أُنْبِئتُ أنَّ رَسُـولَ اللهِ أوعَدَنِي». فحذَف لفظَ الجَلالَة هنا وعوَّض عنه «أل»، على ما تقرَّرَ في عِلْمِ النَّحوِ مِنْ جوَازِ تَعْوِيضِ «أل» عن المضافِ إليهِ الـمَحْذُوفِ. فاسْتَقَامَ له النَّظْمُ الشِّعْرِيُّ أَيضًا.

و«الرَّسـولُ» في اصطـلاحِ الشَّرْعِ: مَن بَعَثَـه اللهُ بِشَرِيعَةٍ جَدِيـدَةٍ، وأنزل عليه كتابًـا وأعْطَـاه مُعجزةً كُبرى، كرَسُـولِنَا محمَّدِ بنِ عبـدِ اللهِ العَرَبِيِّ القُرَشِيِّ الهَاشِـمِيِّ أفضلِ الخَلْقِ طُرًّا ﷺ. والدَّليلُ على هذا النّسـبِ العربيِّ الـمُجْمَلِ الـمُفَصَّلِ الـمُرَتَّـبِ عِـدَّةُ أَحاديثَ صِحَاحٍ، منها حديثُ واثلةَ بنِ الأسـقعِ قالَ: قالَ رسـولُ اللهِ ﷺ: «**إنّ اللهَ اصطفـى مِنْ وَلَـدَ إبراهيمَ إسماعيلَ، واصطَفَى مِنْ ولَدِ إسمَاعيـلَ بَـنِي كِنَانة، واصطفى مِن بني كِنانة قُرَيْشًـا، واصطفَى مِنْ قُرَيْشٍ**

بَني هَاشِمٍ، واصْطَفَانِي مِن بَنِي هَاشِم»[١]. اهـ، وقال: «حديث حسن صحيح»، والحديثُ عند غَيرِ التّرمذيّ، وأصلُه في «صحيح مسلم»[٢].

لَنــورٌ: أصلُ معناه اللّغويّ: الضّوءُ المحسوسُ أيًّا كان، وهو خلافُ الظُّلمة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١][٣]. قال أبو عُبيدة مَعمَر بنُ المثنّى: أي خَلَقَ، والنُّورُ: الضَّوءُ[٤]. اهــ. ومنه قولُ ذي الرُّمَّة وقدْ أَطْلَقَ «النُّورَ» على «الشَّمس» يُرِيدُ ضَوءَهَا المَحْسُوسَ، وشُعَاعَها المَلْمُوسَ:

فما زالَ فوقَ الأكْوَمِ الفَرْدِ رَابِئًا ... يُرَاقِبُ حتَّى فارَقَ الأرضَ نُورُها[٥].اهـ

الضّميرُ في «زال» يعودُ إلى «حمارٍ وحشِيٍّ» أي فمازال هذا الحمار فوق الأكومِ، وهو ما ارتفعَ مِن الأرضِ، يُراقِبُ الشَّمسَ، متى تسقُطُ وتَغِيبُ حتَّى يرِدَ بِأُتُنِه. و«نورُها» شَمسُها.

---

(١) «الجامع الصّحيح» للإمام أبي عيسى محمّد بن عيسى بن سَوْرَةَ التّرمذيّ (٥/ ٢٤٣) ضبَطَه وراجعَ أصولَه وصحّحه عبد الرّحمن محمّد عثمان. النّاشر محمّد عبد المحسن الكُتبيّ صاحب المكتبة السّلفيّة بالمدينة المنوّرة. مطبعة الاعتماد.

(٢) «صحيح مسلم» (٤/ ١٧٨٢)، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التُّراثَ العربيّ - بيروت - الطّبعة الثّانية (١٩٧٢م).

(٣) الآية رقم (١) من سورة الأنعام. وتمامُها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

(٤) «مجاز القرآن» لأبي عُبيدة معمر بن المُثَنّى التّميميّ (١/ ١٨٥). مكتبة الخانجيّ بالقاهرة.

(٥) «ديوان ذي الرُّمَّة» بشرح الإمام الباهليّ (١/ ٢٤٥).

يُسْتضاءُ بِه: أي يُسْتنار به، وقد جاء «النُّورُ» في مدْحِ العبَّاس لِلرّسولِ ﷺ بعْدَ استِئْذَانِه ﷺ قائلًا: يا رسولَ الله إنِّي أُرِيدُ أنْ أمْتَدِحَك فقال ﷺ: «**قُلْ، لا يَفْضُضِ اللهُ فاك**» فقال العبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبياتًا منها البيْتَان محلُّ الشَّاهد:

وأنتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الأرْ ... ضُ وضاءَتْ بِنُورِك الأُفُقُ

فنحنُ في ذلك الضِّياءِ وفي النُّو ... رِ وسُبْلَ الرَّشادِ نَخْتَرِقُ[1]. اهـ

مُهَنَّد: مشتقٌّ في الأصل مِنْ «هنّدَ السَّيفَ» شَحَذَه، أو طَبَعَه مِنْ حَديدِ الهِند، فـ«مُهَنَّدٌ» هنا نعتٌ لِمنعُوتٍ محذوفٍ وهو «سيفٌ»، فأصْله «سيفٌ مهنَّدٌ» أي مطبوعٌ مِن حَديدِ الهِندِ، أو مشحُوذ، فغلبتْ هذه الصِّفةُ غلَبَةَ الأسْماءِ، فاسْتُعْمِلَتْ مُجَرَّدةً مِنَ المَوصُوفِ، فَأَفَادَتْ العمومَ إذْ أَصْبحَتْ اسمَ جنسٍ عامًّا كموصوفِه «السَّيْفِ». وإلى هذا أشارَ شيخُ مشايخنا في قُطْرِ شِنْقِيطَ العَلّامَةُ المُختارُ بنُ بُونَه في «الجامع بين التّسهيل والخلاصة، المانِع مِنَ الحَشْوِ والخَصَاصَة» بقوله:

ورُبَّما استُغْنِيَ بِالنُّعُوتِ عَنْ ... تَقْدِيرِ مَنْعُوتٍ ولِلتَّعْمِيمِ عَنّ

مِنْ سيوفِ الله: تَقييدٌ لِقولِه «مُهَنَّد» بأنَّه مِنْ عند الله تَعَالَىٰ، فـ«من سيوفِ الله» شبهُ جملةٍ في محلِّ رفعٍ نعتٌ لـ«مُهَنَّد».

مَسلول: وصْفٌ ثانٍ لـ«مُهنَّد» بِصفةِ النَّزْعِ للعملِ دائمًا غيرُ مُعطَّل، فـ«مسلول» بِمَعنى «مَنْزُوع مِنْ غِمْدِه»، يقال قولًا جاريًا على قانونِ اللّغةِ: سَلَّ

(١) «سِيَرُ أعلام النُّبلاء» للذّهبيّ (١/ ٤٨). الطّبعة الثّانية (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

الشَّيءَ مِنَ الشَّيءِ يَسُلُّه سلًّا انتزعَه وأَخرجَه في رِفْقٍ، كـ «سلَّ السَّيفَ من الغِمْد، والشَّعْرَةَ مِنَ العَجين».

ثالثًا: بلاغةُ تراكيبِ هذا البيت:

هـذا البيت رُوحُ هذه القَصيدةِ، وسَائِرُهَا جَسَدُهَا، لِشُروع كعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مدحِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابِه المهاجرين به، وخصَّ هذا البيتَ بِمدحِه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وقدْ أفرغَه كَعبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قالَبِ جَوَامِعِ الكَلِمِ الَّتِي كَانَ الرَّسُولُ نفسُه يَتكلَّمُ بها في أحاديثِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فاحتوى هذا البيت على معانٍ عظيمةٍ بِعِدَّةِ أساليبَ بلاغِيَّةٍ[1] هي:

الأسلوبُ الأوّلُ: الإخبارُ عن الرّسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنّه نورٌ في أوّلِ البَيتِ، وذلك باعتبار المعنى اللّغويِّ المحسوسِ المُتبَادِرِ إلَى الذِّهْنِ يُفيدُ تشبيهًا في علمِ البَيَانِ، قَالَ السَّكّاكيُّ: «واعلمْ أنْ ليسَ مِنَ الوَاجِبِ في التَّشْبيهِ ذِكرُ كَلِمَةِ التّشْبِيهِ، بَل إذا قُلْتَ: زَيْدٌ أَسَدٌ، واكتَفَيتَ بِذِكْر الطَّرفين عُدَّ تَشْبِيهًا»[2]. اهـ.

الثّاني: أنّ كعبًا انتقَلَ مِنَ «الاستعطافِ» مِن قولِه: «أُنبِئتُ أنَّ رسولَ الله

---

(١) وهذا ما يَعْنِيهِ أَبُو تمّام مخاطبًا البُحْتُرِيُّ فيما نقله عنه القَرْطَاجَنِيُّ مِنْ قَولِه: وإذا أخذْتَ في مدح سيِّدٍ ذي أيادٍ فأشْهِرْ مَنَاقِبَهُ، وأظْهِرْ مناسبَه، وأبِنْ معالمه، وشَرِّف مقاومه، وتقاصّ المعانيَ، واحذر المجهول منها. «منهج البُلغاء وسِراج الأدباء» صَنعةُ أبي الحَسَنِ حازم القَرْطَاجَنيُّ ص (٢٠٣)، تحقيق محمّد الحبيب بن الخوجة. دار الغرب الإسلاميّ. الطّبعة الثّالثة - بيروت - (١٩٨٦م).

(٢) «مفتاح العلوم» للسّكّاكيّ، ص: (٣٥٤). الطّبعة الثّانية (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م). دار الكتب العلميّة.

أوعدني إلخ...» وما يتّصِلُ به، إلى المدحِ انْتِقَالًا هو في حدِّ ذاتِه مُستَمْلَحٌ لاسْتِلْذَاذِ النَّفْسِ الافتنان(١) في مذاهبِ الكلامِ، وارتيَاحِهَا إلى النُّقْلة مِنْ بعضٍ إلى بعضٍ لِيَتَجَدَّدَ نَشَاطُها بِتَجْدِيدِ الكَلَامِ عَليهَا. أشارَ أَبُو حَازِمٍ القرطاجنيّ إلى هذه النّكتَةِ البَلاغِيَّة(٢). ويُسَمَّى هذا الانْتِقَالُ بـ «الاسْتِطْرَادِ» في علمِ البَدِيعِ(٣). فشبَّه الرّسولَ ﷺ بـ «نور» بِجامعِ إزالةِ ظَلَامٍ في كُلٍّ، فالرّسولُ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ يُزِيلُ بِدَعْوتِه إلى الله تَعَالَىٰ ظَلامَ الجهلِ والضَّلالِ والكُفرِ والفسادِ. و«النُّور» الـمُشَبَّه به يُزيل ظلامَ اللّيلِ أو غيرِه.

الثّالث: أنَّ هذا النَّوعَ مِنَ التَّشبيهِ يُسمَّى بـ «التَّشبيهِ البَلِيغِ» عندَ البَيَانِيِّينَ. وهو الّذي تُحذفُ منْهُ أداةُ التَّشبيهِ ووجهُ الشَّبَهِ ويَبَقى الـمُشَبَّه والـمُشَبَّه بِهِ، وهو أقوى أنواعِ التَّشْبِيهِ. أشار إلى ذلك السَّكَّاكيُّ(٤) وغيرُه مِنْ عُلَمَاءِ البَيَانِ. والتّقديرُ: إنَّ الرَّسُولَ لَـمِثْلُ النُّورِ في إِزَالَةِ ظَلَامِ الضَّلالِ والفسادِ والكفرِ والجهلِ.

الرّابع: أنّ هذا التّشبيهَ مِنْ أَفْرَادِ أحدِ نَوْعَي التَّشبِيهِ الّذي طَرِيقُه التَّأَوُّلُ بِتَفَاوُتٍ، لأنّك تَرَى فِي هذا التّشبيهِ تَأَوُّلًا يَقْرُبُ مأخذُه، ويسهُلُ الوصولُ إليه، ويُعطِي المَقَادَةَ طَوْعًا. أشارَ إليه عبدُ القاهرِ الجُرجانيُّ(٥)، وغيرُه.

---

(١) مصدر «إِفْتَنَّ» في حديثِه: أَخَذَ في فنونٍ من القولِ، وجاء بـ «الأفانينِ» وهي الضُّروبُ منه.
(٢) «منهاج البلغاء وسِراج الأدباء»، ص: (٣٦١). الطّبعة الثّالثة، سنة (١٩٨٦م). دار الغرب الإسلاميّ.
(٣) «القول البديع في علم البديع» للعلّامة الشّيخ مرعيٍّ بن يوسف الحنبليّ، ص: (١٣١).
(٤) «مفتاح العلوم» للسّكّاكيّ، ص: (٣٠٠).
(٥) «أسرار البلاغة» (١/ ١٩٤).

الخامس: مجيءُ الخَبَرِ الأوّل وهو «لَنور» اسمًا مفردًا غيرَ جملةٍ، فيه مِن البلاغةِ دلالتُه على أنْ يَثْبُتَ به معنَى «النُّوريَّة» له ﷺ، مِنْ غيرِ أنْ يَقتَضِيَ تَجَدُّدَه شيئًا بعْد شيء. وهو ما أشارَ إليه الجُرجانِيُّ فقال: «ويَقْتَضِي الِاسْمُ ثُبُوتَ الصِّفةِ وحُصولَها مِنْ غيرِ أنْ يكونَ هُنَاكَ مُزاولةٌ وتَزْجِيَةُ فِعْلٍ ومعنًى يَحْدُثُ شيئًا فشيئًا»[1]. اهـ.

السَّادس: أنّ مجيءَ جملةِ «يُستضاءُ به» خَبَرًا ثالثًا للرّسولِ ﷺ، أو نعتًا لـ«نور» وهي جملةٌ فعليَّةٌ مُضارِعيَّةٌ، يُفيدُ قصْدَ كونِ الاستضاءةِ بِهِ ﷺ تَتَجَدَّدُ مِنَ المُسْتَضِيئِينَ في كلِّ زَمَانٍ ومكانٍ تبلُغُهم الدَّعوةُ فيهما إلى يوم الدِّين، أشارَ إلى هذا التَّجدُّد للفِعْلِ المضارع أيضًا الإمامُ عبدُ القاهرِ قائلًا: «لأنَّ الفعلَ يقتضِي مُزاولةَ وتجدُّدَ الصِّفةِ في الوَقْتِ»[2]. اهـ.

السَّابع: أنَّ قولَه «مُهنَّد» في عَجُزِ البيت، أَحَدُ رُكْنَي تَشْبيهٍ بَليغٍ ثَانٍ على نَمَطِ الأوّلِ في الصَّدر، وذلك لِوقوعِ «مُهَنَّد» خبرًا ثانيًا لِلَفظِ «الرَّسولِ» ﷺ، إذِ التَّقديرُ «إنّ الرَّسولَ لَمُهَنَّدٌ»، فَحَصَلَ تَعَدُّدُ التَّشْبيهِ في البيتِ مِنْ كعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويُسَمَّى هذا التَّعدُّدُ في علمِ البيانِ بـ«تشبيهِ الجمْعِ»، لِأنّ الطَّرَفَ الثَّانيَ - كما ترى - وهو المشبَّه به مُتكرِّر «نُورٌ، مُهَنَّدٌ» دون الطَّرفِ الأوَّلِ الَّذي هو الرَّسولُ ﷺ، وإلى «تشبيهِ الجَمْعِ»، أشار الإمامُ السُّيوطيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقولِه في عَجُزِ هذا البيتِ:

(١) «دلائل الإعجاز»، ص: (١٣٣).

(٢) «دلائل الإعجاز»، ص: (١٣٤). الطّبعة الرّابعة. أصدرتْها دار المنار بمصر (١٣٦٧هـ).

....

وإنْ تُعَدِّدْ أَوَّلًا فالتَّسْوِيَه أو ثانيًا تَشبِيهَ جمْعٍ سَمِّيَه[1]. اهـ

الثَّامن: أنّ كعبًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَبَّ «تشبيه الجمع» هذا، في قالبِ بديعٍ معنويٍّ في علمِ البلاغةِ يُسَمَّى بـ «التَّفويف»: إِذْ صَدرُ البيتِ المُحتَوِي على التَّشبيه الأوَّل، وعَجُزُ البيت المحتوي على التَّشبيه الثَّاني مُتَقَارِبَانِ في مقدارِ الكلماتَ مُتَناسِبَان، فَحَصَلَ «التّفويفُ» بِهَذَا فِيمَا يَظْهَرُ للمُتَأَمِّل؛ لِـمَا تَقَرَّرَ في علمِ البديع أنّ إيرادَ معانٍ مُتلائمةٍ في جملٍ مُسْتَوِيَةِ المِقْدَارِ، أو مُتقاربَتِه يُسَمَّى «تفويفًا»؛ وإنّما سُمِّيَ بذلك تشبيهًا لِـهَذَا الكلام بِالثَّوبِ المُفَوَّف، وهُوَ الّذِي فِيهِ خُطُوطٌ بِيضٌ، وعَرَّفه العَلّامَةُ عبدُ الله بنُ الحَاج إبراهِيمَ العَلَوِيّ الشِّنْقِيطِيُّ بِقَولِه:

تَفْوِيفُهُ إِيرَادُكَ الجُمَلَ مِنْ غَيْرِ تَفَاوُتٍ بِمِقْدارٍ زُكِنْ[2]. اهـ

والضَّمِيرُ في قولِه «تَفويفُهُ» يَعودُ إِلَى البَدِيعِ المَعْنَوِيِّ.

التّاسع: أنَّ التّلاؤُمَ المُومَى إليه آنِفًا في المَعْنِيِّ في «التَّفْوِيفِ» بَيْنَ صَدْرِ هذا البَيْتِ وبَيْنَ عَجُزِه، أنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعثَه اللهُ تَعَالَى بِهَذَا الدِّينِ قائِمًا على جِنْسِ النُّور الّذِي يَشْمَلُ العِلمَ والحُجَّةَ والبُرْهَانَ، وعَلَى جِنسِ القوّةِ والسُّلطانِ الشَّامِلَيْنِ لِتنفيذِ حُدُودِ الله تَعَالَى والجِهَادِ في سبيلِه، ونحوِ ذلك معَ قِيَامِ الدّولةِ الإسلاميَّةِ الفَرِيدَةِ الفَذَّةِ الأولى بالمدينة النّبويّةِ، وبَعْدَهُ؛ ولا يَخْفَى مَا في هَذينِ المَعنَيَينِ مِنْ التَّلاؤُم، فيكون هذا البيت مِن جهةِ دلالتِه على هذين المَعنيَيْنِ وما يَتفَرَّعُ عنهما

(١) «عقود الجُمان في المعاني والبيان» (٢/ ٢٩ - ٣٠) على هامش شرح العلّامةِ عبد الرّحمن بن مُرْشد العَمْرِيّ (٩٧٥ - ١٠٣٧هـ). الطّبعةُ الثّانية (١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م).
(٢) «فيضُ الفتّاح على نَوْرِ الأقاح» (٢/ ٢٠٦). الطّبعةُ الثّانية لِسَنة (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

....

مِـنْ بَابِ «إيجـاز القِصَر» في علـم البيان، ويُسَـمِّي بعضُ البديعِيِّين هذا الأسـلوبَ بـ«حُسْـنِ البيان»، لأنّ «حُسْـنَ البيان» في البديع تكون العبـارةُ عنه تارةً مِن طريقِ الإيجاز[١]، وظاهرُ هَذَا الخلْطُ للبديع بالبيان، ولذلك لم يَرْتَضِ بعضُ علماءِ البلاغةِ كونَ «حسْـنِ البيانِ» مِن البديعِ، وإلى هذا أشـار الإمامُ السُّيوطيُّ في «عقود الجُمان» بقوله:

حُسْنَ البَيَانِ زَادَ في «المِصْبَاحِ»   وَرَدَّهُ الجَلالُ في «الإيضاح»[٢]. اهـ

والضَّمـيرُ في «زاد» عائـدٌ إلى البـدْرِ ابـنِ مالـك، وقولـه «المصباح» هو اسـمُ كتابـه، وقولـه «ردَّه الجـلال» أي القزوينـيّ صاحـب الأصـلِ، و«الإيضاح» اسـم كتابه.

العاشـر: أنّ كـونَ التّشـبيهِ في هذا البيـتِ بليغًا متعـدِّدًا بـ«مُهَنَّـد» بعد «نور» مُسْـندَينِ خَبَرَينِ للرَّسـولِ ﷺ، يَظْهَـرُ لِي أَنَّه أَبْلَغُ مِن قولِ السَّـعد التّفتَازَانيّ ومَـنْ وافقـه مِن عُلماء البلاغةِ المتأخِّرينَ بقَطْعِ «مُهَنَّـد» عن كونِه خبرًا ثانيًا، وجعْلِه مُستقلًّا مُسْـتعارًا للرّسولِ ﷺ، وجَعْلِ «مسلول» ترشـيحًا لِهَذِه الاسْتِعَارَةِ. ذَكَرَ ذَلك عنهم العَلّامةُ عبدُ القادر بنُ عمر البغداديُّ[٣].

وإنّما كان ما قلنا: إنَّه أبلغُ وأرجحُ - والعلمُ عند الله - لأمرَينِ:

---

(١) «القول البديع في علم البديع»، ص: (١٥٨).

(٢) «عقـود الجُـمان في المعـاني والبيـان» للسُّـيُوطيّ (٢/ ١٥٢ ـ ١٥٣) على هامـش شرح العلّامةِ عبد الرّحمن بن مُرْشد العَمْريّ (٩٧٥ - ١٠٣٧هـ). الطّبعةُ الثّانية (١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م).

(٣) حاشية عبد القادر بن عمر البغداديّ على «شرح بانتْ سعاد» لابن هشام (٢/ ٦٤).

الأمر الأول: أنّ ظاهرَ سِيَاقِ تَرْكِيبِ البَيْتِ هو تَعدُّدُ الخَبَرِ، وهذا مُسَلَّمٌ به عند النّحَاةِ صَحيحٌ، فإبْقَاءُ البَيتِ على مُقْتضى هذا الظَّاهر هو الأَقْوَى لِاحْتِيَاجِ ما قَالُوه إلى تقديرٍ فَقَطْعٍ[١]، وهو خلافُ الأصلِ والظّاهِرِ، فتأمّل.

الأمر الثَّاني: أنَّ عبدَ القَاهر الجُرْجَانِيَّ ذَكَرَ ما يقتضي تأييدَ إبقاءِ ظاهرِ النّظمِ الإعرابيّ على ما هو عليه في بيتِ كعبٍ كما أَعْرَبْنَا، فقال: «وكان التَّشبيهُ يَقتضِي شَيئَينِ: مُشَبَّهًا ومُشَبَّهًا به، والاستعارة مِنْ شَأْنِهَا أنْ تُسْقِطَ ذِكْرَ المشَبَّهِ مِن البَيْن، وتَطْرَحه، وتَدَّعِي له الاسمَ الموضوعَ للمشبَّه به، نحو رأيت أَسَدًا، تُرِيدُ رجلًا شُجَاعًا، فالاسمُ الّذي هو المُشَبَّهُ غيرُ مذكورٍ بوجهٍ مِن الوجوه، وقد نقَلْتَ الحديثَ إلى اسمِ المشبَّه به لِقصدِكَ أنْ تُبَالِغَ فيه، فتَضَعَ اللّفْظَ بحيث تُخَيِّلَ أنَّ معك نفْسَ الأسدِ كي تُقَوِّيَ أمْرَ المشابَهَةِ، وتُشَدِّدَه، ويكون لَهَا هذا الصَّنيعُ حيثُ يقعُ الاسمُ المُستعارُ فاعلًا أو مفعولًا أو مجرورًا بحرفٍ أو مُضافًا إليه. وإذا جَاوَزْتَ هذه الأحوال كان اسمُ المُشبَّهِ مذكورًا، وكان مبتدأً واسمُ المُشَبَّهِ بِهِ وَاقِعًا في موضعِ الخَبَرِ كَقَولِكَ: زَيدٌ أسد، أو على هذا الحدِّ؛ وهل يستحقُّ الاسمُ في هذه الحالةِ أنْ يُوصَفَ بالاستعارَةِ أم لا ؟ فيه شُبهَةٌ»[٢]. اهـ بِتصرُّفٍ.

بناءً على قولِ الإمامِ الجُرْجَانِيّ هذا، فالرَّسولُ - في بيتِ كعبٍ - اسمُ المشبَّه مذكورٌ وهو اسمُ «إنَّ» الّذي أَصْلُه مبتدأٌ، واسمُ المشبَّه به «مُهنَّد»، وقعَ خبَرًا عنه

(١) فَقَطْعٍ عَمَّا قَبْلَهُ في نَسَقِ الإعراب.
(٢) «أسرار البلاغة» للإمامِ عبد القاهر الجُرجانيّ (٢/ ٩٧ - ٩٨). الطّبعة الثّانية، سنة (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م).

كما أعرَبْنا، فجاوَزَ هذا المُشبَّهُ به حالةَ كونِه فاعلًا أو مفعولًا أو مجْرُورًا بحرفِ جرٍّ أو مضافًا إليه، تلك الأحوالَ الإعرابيَّةَ الّتي يُمكنُ أنْ يكُونَ فيها مُسْتَعَارًا، وعليه لا يَستحِقُّ «مهنّد» في بيتِ كعبٍ هذا بَعْدَ إعرابِه خبرًا أنْ يُوصَفَ بالاستعارة في الصِّناعة البلاغيَّة. والله أعلم.

الحادي عشر: أَكَّدَ كَعبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَضْمُونَ هذا البيتِ الخَبَرِيِّ[1] في إيجازه البليغِ بِمُؤَكِّدَيْنِ لَفْظِيَّين، أوَّلُهما «إنَّ» وثانيهما «اللَّام»، لِمَا تَقَرَّرَ في علمِ المعانِي أنَّ «إنَّ» و«اللّامَ» مِنْ أدواتِ توكيدِ الخَبَرِ، فإذا اجتمعا كان التَّأكيدُ أَبلَغَ كما هُنَا فَدَلَّ ذَلِكَ علَى قُوَّة إثْبَاتِه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِهَذَا الخَبَرِ، وإيمانِه بالرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثَّاني عشر: أنَّ هذا البيتَ في سَبْكِه اللَّفظيِّ خالٍ مِنَ التَّكلُّفِ والتَّعْقِيدِ والتَّعسُّف، ففيه ما يُسَمَّى في علم البديع بـ«السُّهُولة» الّتي أشارَ إليها العلاّمةُ البليغُ أبو الحَسَنِ القَرْطَاجَنِيُّ في «مِنْهَاجِ البُلَغَاءِ وسِرَاجِ الأُدَبَاءِ»[2] بقوله: «ويجب أنْ تكونَ أَلفَاظُ المَدِيحِ جزلةً مَذْهُوبًا بها مَذْهَبَ الفَخَامَةِ في المَوَاضِعِ الّتي يُصلح بها ذلك، وأنْ يكونَ نظمُه مَتِينًا وأنْ تكونَ فيه مع ذلك عُذوبةٌ». اهـ. وفي هذا أيضًا يقول الجاحظُ: «أَجْوَدُ الشِّعْرِ مَا رَأَيْتَه مُتَلَاحِمَ الأَجْزَاءِ، سَهْلَ المَخَارِجِ، كأنَّه قدْ سُبِكَ سَبْكًا واحدًا، وأُفْرِغَ إفراغًا واحدًا فهو يَجْرِي على اللِّسانِ كَمَا يَجْرِي

(١) وعرّف المُبرِّدُ «الخَبَرَ» في «المُقْتَضَب» (٣/ ٨٩) بقوله: «ما جاز على قائله التّصديقُ والتّكذيبُ». اهـ

(٢) «منهاج البُلغاء وسِراج الأدباء» صَنعة أبي الحَسَنِ حازم القَرطاجَنِيِّ، ص: (٣٥١). الطّبعة الثَّالثةُ - بيروت - (١٩٨٦م). دار الغرب الإسلاميّ.

....

الدِّهَان، حتَّى تَرَاهَا مُتَّفِقَةً مُلْسًا لَيِّنَةَ المَعَاطِفِ سَهْلَةً»[1]. اهـ بتصرُّف. قلْتُ: كَلَامُهُ هـذا مِـنْ جِهة اللَّفظِ يَنطبِقُ على القَصِيدَةِ، وعلَى الْبَيتِ الفَرْدِ مثْلِ هَذَا البيتِ لكعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الثَّالث عشر: أنَّ هذا البيتَ جمَعَ فيه الصّحابيُّ كعْبٌ مدائحَ لِلرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هـي حـقٌّ يُعرَف بها المدُوحُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي صفاتُ النُّبوَّة والرِّسَـالَةِ. وهُنَا نَظيرُ مَا ذَكرَه عزُّ الدِّينِ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ السّلام السُّلميُّ، فقال: «وقد يَجمَعُ[2] المدائحَ في بعضِ المواضِعِ لِيَتعَرَّفَ بها إلى عبادِه فيَعْرِفُوه بها ويُعاملُوه بِمُقْتَضَاهَا»[3]. اهـ.

لم يكن الرّسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أَمرَ كعْبًا بها ابتداءً، بلْ لَـمَّا أسْلَمَ وتاب إلى اللهِ، عَـبَّرَ عن إيمانِه وتَوبتِه النَّصوحِ بهذه القصيدةِ فجاءتْ هذهِ المدائحُ فيها، ألقاها عليه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَأَقرَّهَا، لِأنَّها حَقٌّ.

ويدلُّ على مشروعيَّةِ مِثْلِ هذا المدح بالحقِّ أيضًا، حديثُ أبي حُميدٍ في الصَّحيحينِ أنَّ الرّسـولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قـال: «**إنّ خـيرَ دُورِ الأنْصَـارِ دارُ بَنِـي النّجَّـارِ، ثُمَّ دارُ بني عبدِ الأشْـهَلِ، ثمَّ دارُ بني عبدِ الحَارِثِ، ثمَّ دارُ بَني سـاعِدَةَ، وفي كلِّ دُورِ الأنصارِ**

---

(١) «البيـان والتّبييـنُ» (١/ ٦٧). أشـار الإمام السُّـيوطيُّ على هذا الـمُحَسِّـنِ اللّفظـيّ في «عُقود الجُمان» بقوله:

والانسِـجَـامُ مـا عَـلَا تَـسَهُّـلا ... عُـذُوبَـةً ومِـنْ عَـقَـادَةٍ خـلَا. اهـ

«عقود الجُمان في المعاني والبيان» على هامش شرح الـمُرشـديّ لـ «عقود الجُمان» (٢/ ١٨٥)، الطّبعة الثّانية (١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م).

(٢) أي الله في القرآن.

(٣) «قواعد الأحكام في مصالحِ الأنام» (١/ ١٨). دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان.

....

خيرٌ[١]». اهـ، قال القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفيه ما يَدُلُّ على جوازِ المَدْحِ إذا قُصِدَ به الإخبارُ بالحقِّ، وَدَعَتْ إلى ذلك حاجةٌ وأُمِنَتْ الفِتْنَةُ على المَمْدُوحِ[٢]». اهـ

❁ ❁ ❁

(١) رواه أحمد (٥/ ٤٢٤)، والبخاريّ (١٤٨١)، ومسلم (١٣٩٢) في «الفضائل» (١١ - ١٢)، وأبو داود (٣٠٧٩).

(٢) «المُفْهِمُ لِمَا أَشْكَلَ مِنْ تَلخيصِ كتاب مسلم» (٦/ ٥٩). الطّبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).

٥١- فِي فِتْيَةٍ من قُرَيشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ　　بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا

أولًا: إعراب كلمات هذا البيت:

في فتية: «في» حرفُ جرٍّ. «فتية» مجرورٌ بـ «في»، وشبهُ الجملةِ هذا، في محلِّ رفعٍ خبرٌ خامسٌ لاسمِ «إنّ» من قوله «إنَّ الرَّسولَ لَنُورٌ»، فهو مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ عند أهل البصرةِ تقديرُهُ «كائن» أو «استقرَّ»، ويجوزُ أنْ يكونَ حَالًا مِنَ «الرّسولِ» صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مِنْ قُريشٍ: «مِنْ» حَرْفُ جَرٍّ. «قُريش» مجرورٌ وعلامةُ جرِّهِ الكسرةُ الظَّاهرةُ، إذْ هو مَصروفٌ باعتبار الحَيِّ، وقد يُعْرَبُ ممْنُوعًا مِنَ الصَّرف لِلعلميَّةِ والتَّأنيثِ باعتبارِ القَبيلَةِ، كَما أشار إلى ذَينِكَ الإعْرَابَينِ سِيبويْهِ[1]، وجاء لفظُ «قريش» ممنوعًا مِنَ الصَّرْفِ للعلَّتَينِ في قولِ الشّاعرِ:

وهُمْ قُريشُ الأَكْرَمُونَ إِذَا انْتَمَوْا　　طَابُوا فُرُوعًا في العُلا وعُرُوقَا[2]. اهـ

الشَّاهد «قريشُ» بدونِ تَنْوِينٍ للمَنْعِ مِنَ الصَّرف، وهَذِه العِلَّةُ تُقَدَّمُ على الضَّرُورَةِ وإنْ كانَتْ هي مُتَأَتِّيَةً أيضًا، وشبهُ الجُملة «مِن قُريشٍ» في محلِّ جرٍّ نعتٌ لـ «فتية»، متعلِّقٌ بـ «كائِنِينَ».

قال قائلهم: «قال» فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ على الفتح. «قائلُ» فاعلٌ مرفوعٌ وهو مضافٌ. «هُم» مضافٌ إليه، ضميرٌ مبنيٌّ على السُّكونِ في محلِّ جرٍّ.

---

(١) كتاب سيبويه (٣/ ٢٥٠)، تحقيق عبد السَّلام محمَّد هارون - الطّبعة الأولى -.

(٢) «خزانة الأدب» (١/ ٢٠٢).

....

بِبطْـنِ مكَّةَ: «البَـاء» حرفُ جرّ. «بطنِ» اسـمٌ مجرورٌ بـ«البـاء» وعلامةُ جرِّه الكـسرةُ الظَّاهرةُ، وهو مضـافٌ. و«مكَّة» مضافٌ إليه مجرورٌ وعلامـةُ جرِّه الفتْحَةُ نِيَابَةً عَن الكَسْرَةِ، لِأَنَّه مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرف لِلْعَلَمِيَّةِ والتَّأْنِيثِ بِالتَّاءِ، والجَارُّ والمجرورُ مُتَعَلِّقَانِ بـ«قال».

لَـمَّـا: ظـرفٌ لِـمَا مَضَى مِن الزَّمـان بمعنى «حين» عندَ طائفةٍ مـن النّحاة كأبي عليٍّ الفارسيِّ[١]، وتلميذِه أبي عليّ أحمدَ بنِ محمّد بنِ الحسـين المرزوقيّ[٢]، وأبي بكر بـن الـسَّرَّاج[٣]. وذهبَ جمـالُ الدّين ابنُ مالـكٍ «إلى أنّ (لَـمّا) إذا وَلِيَها فعلٌ ماضٍ لفظًا ومعنًى، فهو ظرفٌ بِمَعْنَى «إذْ» فيه معنى الشَّرط[٤]» كمَا هُنَا، فـ«لَمَّا» في الرَّأْيَيْنِ ظَرفٌ مبنيٌّ على السُّكونِ في محـلِّ نَصْبٍ بِجَوَابِه «قَال قائلهـم»، إذِ التَّقديرُ: في فِتْيَةٍ مِنْ قُرِيشٍ لَـمَّا أَسْلَمُوا بِبَطْنِ مَكَّةَ قَالَ قَائِلُهم زُولُوا. وقالَ سِيبويْهِ: «وأمّا (لَـمَّا) فهي للأمـرِ الَّذي وقع لوقوعِ غَـيرِه، وإنَّما تجيءُ بِمَنْزِلَةِ (لو) لِـمَا ذَكَرْنا، فإنّما هُما لِابتداءٍ وجَـوَابٍ[٥]». اهـ. فاختَلَـفَ النُّحاةُ فيمَا يُؤْخَذُ مِن قَولِ سِـيبويْهِ هَـذا، لِعدمِ تَعيينِه لِوَاحِدٍ مِنَ الحَرفيَّةِ أو الاسمية لـ«لَـمَّا»:

---

(١) شرح الأبيات الـمُشـكلة الإعراب الـمُسَـمَّى: «إيضاحَ الشِّـعر». أَلَّفه أبو عليٍّ الفارسيِّ، ص: (٨٣).

(٢) «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقيّ (١/ ٥٣) و(٢/ ٦٣).

(٣) «الأصول في النَّحو» (٢/ ١٥٧). الطَّبعة الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

(٤) «تسهيل الفوائد وتكميلُ المقاصد» لابن مالك، ص: (٢٤١).

(٥) كتاب سيبويه (٤/ ٢٣٤).

....

١ - فقال بعض النُّحاة كبَهَاءِ الدّين ابنِ عَقيل[١]، وابنِ قيِّم الجوزيَّة[٢]: إنّ سيبويهِ يقول بحرفيَّة «لـمَّا»، فقال الأوّلُ: «والحرفيّةُ فيها مذهبُ سيبويهِ والمحقّقِين». اهـ، وقال الثَّاني: «وكثيرٌ مِن النُّحاةِ يَجعلُها ظرفَ زَمانٍ، ويقولُ إذا دخَلَتْ على الفعلِ الـمَاضِي فَهِيَ اسْمٌ، وإنْ دخلتْ على المستقبل فهي حرفٌ، ونَصُّ سِيبَوَيْهِ على خلاف ذلك، وجَعَلها مِنْ أَقْسَامِ الحُرُوفِ الّتي تَرْبِطُ بَيْنَ الجُمْلَتَيْنِ». اهـ. والتَّحقيقُ أنّ كلامَ سيبويهِ يَحتَمِلُ الرّأيينِ كَما أَشَارَ إِلَى ذلك العلاَّمةُ الرَّضِيّ[٣].

وابنُ خَرُوفٍ مِن النُّحاة لم يَرْتَضِ إلّا الحرفيّةَ لِـ«لَـمَّا»، وأنّ ذلك مفهومُ كلامِ سيبويهِ محتجًّا على ذلك في اعتراضِه على الاسمية بما نَقَلَ عنه ابنُ هشام مِن قولِه: «إنَّه يجوز أنْ يقال: لَـمَّا أكرمتني أمسِ، أكرمتُك اليومَ، لأنّها إذا قُدِّرتْ ظرفًا كان عاملُها الجوابَ، والواقعُ في اليومِ لا يَكُونُ في الأمْسِ[٤]». اهـ

قال ابنُ هشام: «والجوابُ أنَّ مثلَ هذا «إنْ كنتُ قلتُه، فقدْ علمْتَه» والشَرطُ لا يكونُ إلّا مُسْتَقْبَلًا، ولكنَّ المعنى: إنْ ثبت أنِّي كنتُ قُلتُه، وكذا هُنَا. المعنى: لَـمَّا ثَبَتَ اليومَ إكرامُكَ لي أمْسِ أَكْرَمْتُكَ[٥]». اهـ.

---

(١) «المساعد على تسهيل الفوائد» (٣/ ١٩٨). تحقيق د/ محمّد كامل بركات، طبعة سنة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م) دار المدنيّ.
(٢) «بدائع الفوائد» لابن القيِّم (١/ ٥٠).
(٣) شرح رضيِّ الدِّين على كافيةِ ابنِ الحاجبِ المالكيِّ (٢/ ١٢٧).
(٤) «مغني اللبيب» (١/ ٢٨٠).
(٥) المرجع السَّابق.

....

وقدْ حسّنَ كلٌّ مِن العلّامَتَيْنِ: ابن هشام الأنصاريّ، وعليّ بن محمّد الأشمونيّ رأيَ ابنِ مالكٍ الآنفِ الذِّكْرِ، مُعلِّلَيْنِ ذلك بأنَّ «لـمَّا» مُختصَّةٌ بالماضي وبالإضافة إلى الجملـةِ[1]. اهـ، مُخالِفَـينِ بذَلكَ مَا ذَهَبَ إليهِ العَلّامَتَانِ: ابـنُ عَقِيلٍ، وابنُ القيِّمِ في ترجيحِ الحرفيَّةِ على أنّها رَأيُ سِـيبويهِ، لكنَّهما ما علَّلا كتعليلِ العلاَّمَتَينِ السّـابِقَينِ، ولعلّ ذلك لِعَدَمِ مُنافاةِ تَعليلِهما لِلاسْمِيَّةِ، إذْ هذه الكلمةُ ذاتُ شَبَهٍ بالاسم من ناحيةِ أنَّ لـهُ ابتـداءً وَجَوَابًا، همـا حَدَثان أي فِعْلانِ يَقعَانِ فيه، فهو ظرفٌ؛ وشَـبَهٍ بالحرف مِن جهةِ أنَّ الفِعْلَينِ عُلِّقَا بِبعْضِهِمَا بِجَعْلِ الأوَّلِ ابتداءً والثَّاني جوابًا بـ «لـمَّا»، وهذا التّعليقُ - الّذي يدُلُّ على الشَّرطيَّةِ - هو مِنْ عَمَلِ الحَرْفِ اصطلاحًا.

فذانِك الشَّبهان المستنبَطَان مِنْ كَلَامِ سيبويهِ سَبَبُ الخِلافِ بينَ النُّحَاةِ، فمنهم مَنْ نظر إلى شَـبَهِ الحرف فقط فقال بِحَرْفِيَّته، كابنِ خَـروفٍ وابنِ عَقيلٍ وابنِ القيِّمِ، ومنهم مَنْ نَظَرَ إلى الشَّبهَيْنِ، فحَكَمَ بالأمرين وغَلَّبَ شَبَهَ الاسمِ الظّرف، كأبي عليّ الفـارسيّ، وابـنِ مالك، إلّا أنّ ابـنَ مالكٍ خصَّصَ نَوْعَ الاسـمِ الظّـرفِ: أنّه «إذْ»، ولم يُخَصِّصْ أبو عليّ ذلك بَلْ قَالَ: «عَلَمٌ للظَّرْفِ»، فيتناوَلُ ما خَصَّصَهُ بِهِ ابنُ مالك فيما يظهر. والله أعلمُ.

فتلخَّـص أنَّ معنى الاسـميّةِ والحرفيَّةِ موجودٌ في «لَـمَّا» في الصِّناعةِ النّحويَّةِ، لا يَنْفَـكَّانِ عنْـهُ إذا كَانَ دُخولُـه عـلى ابتداءٍ هو فعـلٌ ماضٍ، وعلى جَـوَابٍ كذلك، كـما في بيـتِ كعـبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فيكـونُ أَداةَ تَـلازُمٍ بـينَ جملتَـيْنِ مُثْبَتَيْنِ عـلى ما يقول

---

(١) «مغني اللبيب» (١/ ٢٨٠)، وشرح الأشـمونيّ على ألفيَّة ابن مالك مع حاشـية الصَّبَّان عليه وشرحِ الشّواهد للعينيّ (٤/ ٧).

....

ابنُ قيِّم الجوزِيَّة[١]، وسَبَقَهُ إلى ذلك ابنُ خَرُوف فقَدْ قال، بِنَقْلِ الرَّضِيِّ عنه: إنَّ «لَـمَّا» حرفٌ، وحَمَلَ كَلَامَ سِيبويْهِ على أنّه شرْطٌ في الماضي كـ«لو»، إلّا أنَّ «لو» لانتفاءِ الأوّل لانتفاء الثّاني، و«لَـمّا» لِثُبوتِ الثّانِي لِثُبُوتِ الأوّل[٢]. اهـ.

أَسْلَمُوا: فِعلٌ مَاضٍ معلومٌ مبنيٌّ على الضّمِّ، أو الفتح المقدّر لاتّصاله بـ«الواو» فيها. و«الواو» فاعلٌ مبنيٌّ على السُّكونِ في محلِّ رفعٍ.

زُولوا: فِعلُ أمرٍ مبنيٌّ على حذفِ «النّون». و«الواوُ» ضميرٌ مبنيٌّ على السُّكون في محلِّ رفعٍ فاعل، وجملةُ «زُولوا» في محلِّ نصبٍ، مفعولٌ به لـ «قال»، وجملةُ «قال قائِلُهم...» إلى آخر البيت، في محلّ جرٍّ نعتٌ ثانٍ لـ«فتية». والعلمُ عند اللهِ تَعَالَىٰ.

ثانيًا: تفسير كلماتِ هذا البيت:

فِي فِتيـةٍ: «في» حرفُ جرٍّ معناه «المصَاحَبةُ» هُنا، أي «مع فتيةٍ»، ومنه قوله تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ﴾ [الأعراف: ٣٨] أي «معهم»، أشار إلى هذا ابنُ هشامٍ الأنصاريُّ[٣]. وقولُه «فِتيةٍ» جمعُ «فتًى» مِنْ جموع القِلّة على وزنِ «فِعْلة»[٤]. قال ابنُ مالك في «الخُلاصة»:

---

(١) «بدائع الفوائد» لابن القيّم (١/ ٥٠).
(٢) شرح رضيِّ الدّين على كافيةِ ابن الحاجب (٢/ ١٢٧).
(٣) «مغني اللبيب»(١/ ١٦٨).
(٤) إلَّا أنَّ «فِعْلَة» مِن أوزانِ جُموعِ القلَّةِ لَمْ يَطَّرِدْ في شَيءٍ مِن الأبنيةِ. أَشَارَ إلى ذلك ابْنُ مَالِكٍ في «الخُلاصَةِ» بقوله:

.... و«فِعْلَةٌ» جَمْعًا بنقل يُدْرى

وهو محفوظ في ستّة أوزان هي: «فَعِيل» نحوُ صبِيّ، و«فَعَل» نحوُ فتًى، و«فَعْلٌ» نحو شَيْخ، =

....

«أفْعِلَة» «أَفْعُل» ثُمَّ «فِعْلة»   ثُمَّتَ «أفْعَالٌ» جموعُ قِلَّة

وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ عَددَ الصَّحابةِ المهاجرين في ذلك الوقتِ كان قليلًا. فلْيُتَأمَّل.

و«الفتى» يقال للشَّابِّ الحَدَثِ في اللُّغَة، ويقال أيضًا للسَّخِيِّ الكريمِ الجَزْلِ الكَامِلِ مِن الرِّجال (١). ويَدُلُّكَ على ذلك قولُ الشَّاعرِ المحتَجِّ بقوله:

إنَّ الفَتَى حَمَّالُ كُلِّ مُلِمَّةٍ   لَيسَ الفَتَى بِمُنَعَّمِ الشُّبَّان(٢). اهـ

وقولُ ابنِ هُرْمَةَ:

قدْ يُدْرِكُ الشَّرَفَ الفتَى وَرِدَاؤُه   خَلِقٌ وجَيْبُ قَمِيصِه مَرْقُومٌ(٣). اهـ

وبِناءً على ذلكَ فإنّ العربَ قدْ تَستعْمِلُ لفظَ «الفتى» لِلفَرْدِ مَدْحًا له على جَمْعِ الفَضَائِلِ. ومِنهُ قولُ الأخْطَلِ التَّغلبيِّ في مَدْحِ الوَليدِ بنِ عبدِ المَلِكِ، مِنْ مُلوك بَنِي أُمَيَّةَ:

طَلَبْنَ ابنَ الإمَامِ فتَى قُرَيشٍ   بِحِمْصَ، وَحِمْصُ غَائِرَةٌ بَعِيدُ

= و«فُعال» نحوُ غُلام، و«فَعَال» نحوُ غَزال، و«فِعَل» نحوُ ثِنًى. و«الثِّنى» هو الثَّاني في السِّيادة. ومَرجِع ذلك كلِّه النَّقْلُ لا القِيَاسُ، ولذا فترتيبُ قولِ ابنِ مالكٍ المتقدِّم: و«فِعْلَةٌ» يُدْرى جَمْعًا بِنَقْلٍ.

(١) «القاموس المحيط»(٤/ ٣٧٣)، و«خزانة الأدب» (٣/ ٢٨٠).

(٢) «لسان العرب» (١٥/ ١٤٦).

(٣) المرجع السَّابق. وابنُ هُرمةَ إبراهيمُ مِن الطَّبقة الّتي لا يُحتَجُّ بِكلامِها في صحيحِ الأقوال. والعلماء إنّما يَجيئونَ بكلامِ هذه الطّبقةِ على سبيلِ التّمثيل لا للاحتجاجِ.

نَمَاك إلى الرِّيَاءِ فُحُولُ صِدْقٍ وَجَدٌّ، قَصَّرَتْ عَنْهُ الجُدُودُ
وَزَنْدُكَ مِنْ زِنَادٍ وَارِيَاتٍ إِذَا لَمْ يُحْمَدِ الزَّنْدُ الصَّلُودُ(١). اهـ

وهذا المدحُ بِجَمْعِ الفضائلِ مِن كُلِّ فَرْدٍ مِن هؤلاء الصَّحابةِ هو مقصودُ كعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأَتْبَعَ مدحَ الرَّسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمدْحِهم -رضوانُ الله عليهم-، فيكونُ هذا البيتُ هو الثَّاني في العَظمَةِ مِن هذه القصيدةِ، وما بعد هذا الثَّاني إلى آخرِها في مَدْحِ الصَّحابةِ. وحَصَلَ ذلك مِن كعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالتَّعبيرِ بلفظِ «فتيةٍ» على التَّحقيقِ. وهذا مَسْلكٌ قرآنيٌّ بِذِكْرِ «الفِتْيَةِ» لإفادةِ مَدْحِ الموصُوفينَ به، أو بذكْرِ «فتًى» لإفادةِ مدْحِ الموصوفِ بهِ المفردِ، على ما هو معروفٌ في كلامِ العربِ، مِنْ إفادةِ ذلك لِلمدْحِ. وانْظُر إلى قولِه تَعَالَىٰ في مُحْكَمِ التَّنزيلِ: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، فقولُه تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾. قال فيه القرطبيُّ: «﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ أي شَبَابٌ وأَحْدَاثٌ حُكِمَ لَهُمْ بالفُتُوَّةِ حينَ آمَنُوا بِلَا وَاسِطَةٍ، كذلك قال أَهْلُ اللِّسَانِ: رأسُ الفُتُوَّةِ الإيمان، وقال الجُنَيدُ: الفُتُوَّةُ بذْلُ النَّدى وكفُّ الأذى، وترْكُ الشَّكوى، وقيل الفُتُوَّةُ اجتِنَابُ المَحَارِمِ، واستِعْجَالُ المَكَارِمِ. وقيل غيرُ ذلك. وهذا القَولُ حَسَنٌ جدًّا، لِأَنَّه يَعُمُّ بالمَعْنَى جميعَ ما قِيلَ في الفُتُوَّة»(٢). اهـ.

---

(١) «شعر الأخطل»، ص: (٤١٦). الطَّبعةُ الرَّابعةُ (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٠/ ٣٦٤). أعاد طبعه دار إحياء التُّراث العربيِّ. بيروت - لبنان- (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

....

قُلْتُ: ويُؤَيِّدُ صِحَّةَ ما قال القرطبيُّ مِنْ عُمُومِ اجتِنَابِ الـمَحَارِمِ واستِعْجَالِ الـمَكَارِمِ لِـمَعْنَى الفُتُوَّةِ شَرْعًا[(١)] - والـمَعْنَى الشَّرْعيُّ لِلكلمَـةِ يَدْخُلُ في المعنَى اللّغـويِّ العَـامِّ لَـهَا - يُؤَيِّدُها قولُ الإمَـامِ المرزوقيِّ عندَ شَرْحِ لَفْظِ «الفَتى»[(٢)] إذْ قَـالَ: «وفِي وصْفِـه المَرْثِيَّ بالفَتَـى كأنّه جَمَعَ له الفَضَائِـلَ كلَّها لِأَنَّ مِـنْ شَرْطِ الفُتُوَّةِ أنْ يَدخُـلَ تَحتَهَا خِصَالُ الخَيرِ[(٣)]». اهـ، ففُتُـوَّةُ هؤلاءِ الصَّحابةِ بالهِجْرةِ مِنْ مَكَّةَ إلى المدينة وذَلك مَنبَعٌ لِخصَالِ الخَيرِ الإيْمانِيَّةِ. فَنَاهِيكَ بِالهِجْرَةِ مِنْ فُتُوَّة!.

ودلَّ القـرآنُ على نوعِ فُتُوَّتِهم العَالي الفَائِقِ في عُمُومِ آياتٍ وخُصُوصِ أُخْرَى، فمِنَ الآياتِ العَامَّة في الدّلَالَةِ على هَذَا النَّوعِ.

قولُـه تَعَالَىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥]. قـال الإمَامَانِ الجَلِيلان: أبو عبد الله مُحَمَّدُ بنُ أحْمَدَ الأنصاريُّ القُرطُبِيُّ[(٤)] وأبو الفِداءِ إسماعيلُ ابنُ كَثيرٍ[(٥)] في تفسير هذه الآيةِ الكريمةِ:

---

(١) وهـو معنًى يُذكَـرُ في علـم السُّـلوك. «مجموع فتاوى شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة» (١٠/ ٥) و(١٩/ ٢٧٤).

(٢) من بيتٍ لِأحد شعراء الحماسةِ وهو:

أَلَا لَا فتَى بَعدَ ابنِ ناشِرَةِ الفتَى ... ولا عُـرْفَ إلَّا قـد تـولَّى فـأدْبَـرَا

«شرح ديوان الحماسة» (٢/ ٩٨٤).

(٣) المرجع السَّابق.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٤/ ٣١٩). الطّبعةُ الثَّانية، شعبان (١٣٧٦هـ) مارس (١٩٥٧م).

(٥) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٤٥١). الطَّبعة التَّاسعة (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، دار المعرفة.

....

﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمۡ﴾ أي تَرَكُـوا دَارَ الـشِّرْكِ وأَتَـوْا إلى دَارِ الإِيـمَانِ، وفَارَقُـوا الأَحْبَابَ والإخـوانَ، والخِلَّان والجِيرَانَ والأَوطَـان، لِـمُضَايَقَةِ المشركينَ لهـم بِالأَذَى حَتَّى أَلْجَؤُوهُم إلى الخُرُوجِ مِنْ بَـينِ أَظْهُرِهِم وذَلِكَ في طَاعَةِ الله عَزَّوَجَلَّ. ﴿وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ أي: في سَبيلِ الله، وهَذَا أعلَى الـمَقَامَاتِ: أنْ يُقَاتِلَ المسلمُ في سبيلِ اللهِ، فيُعْقَـرَ جَوَادُهُ، ويُعْفَـرَ وَجْهُهُ بِدَمِهِ وتُرابه. وقد ثَبَتَ في «الصَّحيحين» أنّ رجلًا قال: يا رسولَ الله أَرَأَيْتَ إنْ قُتِلْتُ في سَبيل الله صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ، أَيُكَفِّرُ اللهُ عنِّي خَطَايَايَ؟! قال: «**نَعَمْ**»، ثمَّ قال: «**كَيفَ قُلْتَ**»، فأَعَادَ عَليهِ مَا قال، فقال: «**نَعم إلَّا الّذي قاله لي جبريلُ آنفًا**»[1]. ولِهذا قالَ تَعَالَىٰ بَعْدَ ذلك: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّـٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ﴾ أي: تَجْـري مِن خِلَالِهَا الأنْهَارُ مِن أَنْـواعِ المَشَـارِب مِن لَبَنٍ وعَسَـلٍ وخَمْرٍ ومَاءٍ غَيرِ آسِـنٍ وغيرِ ذَلِك، مِمَّـا لا عَينٌ رَأَتْ ولَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. ﴿ثَوَابًا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أضافَهُ إلى نَفسِه، ونَسَبَه إليه لِيَدُلَّ على أنَّه عظيم، لأنَّ العظيمَ الكريمَ لا يُعْطِي إلَّا جَزِيلًا. ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾ أي: عنده حُسْنُ الجَزَاءِ لِمَنْ عَمِلَ صَالِحًا. انتهى كلامُهما.

وقولُـه «مِنْ قُرَيشٍ»: «مِـن» حرفُ جرٍّ معناه «بيانُ الجِنْـسِ» الّذي هو ابتداءُ الغَايَةِ، وبيانُ الجِنْسِ في «مِن» مَشُـوبٌ بِتَبْعِيضٍ، كَمَا قَـال أَبُو العَبَّاسِ مُحَمَّدُ بنُ يزيدَ الـمُبَرِّدُ[2] وهذا التَّبْعِيضُ ظَاهِرٌ مِنْهُ هُنَا، إذْ هؤلاءِ الفِتْيَةُ بَعضٌ مِنْ قُرَيشٍ.

---

(١) والّذي قال له جبريلُ آنفًا هو: «إلَّا الدَّينَ». رواه مُسلمٌ مِن حديثِ أبي قتادةَ في كتاب «الجهاد»، باب من قُتِلَ في سبيلِ الله كُفِّرَتْ خطاياه إلَّا الدَّينَ، (٣/ ١٥٠١)، ومالكٌ في «الـمُوَطَإ»، باب الشُّهداءِ في سبيل الله، ص: (٢٨٥ - ٢٨٦).

(٢) «الـمُقتَضَب» (١/ ٤٤) و(٤/ ١٣٦). عالم الكتب.

إفـادةُ وصفِ «فِتْيَة» بِشِبْهِ الجملة: «مِنْ قُرِيشٍ» الـمَـدْحَ الـمُنْبِئَ عَنْ الفُتُوَّةِ:

شبهُ الجملَةِ «مِنْ قُرَيش» في بَيتِ كَعبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تقدَّم في الإعرابِ أنَّه نعتٌ لـ «فتية»؛ وهذا النّعتُ أفادَ شَيئَينِ: أحدهما لفظيّ، والآخر معنويّ:

الأوّل: وهـو اللّفظيّ: أنّـه أَفَادَ تَقييد «فِتية» - وهـو الـمَنعوتُ - بِكونِهم مِن قُريـشٍ، ومَثَلُ هذا التّقييدِ لِـمِثْلِ هَذَا الـمَنْعُوتِ النَّكِرَةِ يُسَـمَّى بـ «التّخْصِيصِ» في اصطِلَاحِ النُّحَاةِ.

الثانـي: وهـو الـمَعْنَـويُّ: أنّ هـذَا التَّخصيـصَ مُفادُه مِـن جِهَـةِ الـمَعْنَى هُوَ الـمَـدْحُ، إذْ تَرَشَّـح قولُه «في فتيةٍ» لِذَلِـكَ الـمَدْحِ، وتَـمَّ واشْرَأَبَّ عُنُقُهُ بِقَولِه «مِنْ قُريـشٍ» لِـمَا هوَ مَعْـرُوفٌ في قُريشٍ مِنَ الحَـمَاسِ فِي الدِّين والدُّنيا، فَمَـنْ آمَنَ منهم تَحَمَّسَ في دِينِه، ومَنْ لَمْ يُؤمِنْ تَحَمَّسَ في كُفْرِه[1]. أَشَـارَ ابْنُ مَالِكٍ إلى هَذَينِ الأَمرَينِ اللَّفظيِّ والـمَعْنَوِيِّ مِنْ شَأْنِ النَّعْتِ الّذِي هُوَ تَابعٌ، بِقَولِه فِي «الخُلَاصَة»:

---

(١) مِثـال التَّحَمُّـسِ في الكُفْرِ أوّلًا، ثمَّ في الإسـلام ثانيًا مـا حصل مِنْ قُرَشِيٍّ هـو عُمَيرُ بنُ وهْبٍ الجُمَحِيُّ: كَانَ شَـيْطَانًا مِن شَـيَاطِينِ قُرِيشٍ. وكان مِمَّنْ يُؤَذِي رسـولَ الله ﷺ، ثمَّ أسلَمَ عَلَى يَدِيه ﷺ. فتَحَمَّسَ بعْدَ إسْـلامِه فقال للرَّسُـولِ ﷺ: يا رَسُولَ الله، إني كنتُ جاهِـدًا في إطفـاءِ نُورِ الله، شَـدِيدَ الأذى لِمَـنْ كَانَ عَلى دِيـنِ الله، وإنّي أُحِبُّ أنْ تـأذَنَ لي فَأَقْدمَ مكّة فَأَدْعُوَهم إلى الله وإلى الإسـلام لعلَّ اللهَ أنْ يهديَهم، وإلَّا آذيتُهمْ في دِينِهم، كما كُنتُ أُوذِي أَصْحَابَكَ في دِينِهم، قال فأَذِنَ له رسول الله ﷺ فَلَحِقَ بمكّة. اهـ.

«تهذيب الآثار» للطَّبريّ - مُسْـنَدُ عليِّ بنِ أبي طالبٍ، ص: (٧٢، ٧٤). مطبعة المدنيِّ، و«سـيرة ابـن هشـام» (٢/ ٣١٦، ٣١٨). قـال الـمَرْزُوقـيّ في أوّل «شرح ديوان الحماسةِ» (١/ ٢١): «وكانتِ العربُ تُسَمّي قُرَيشًا حُمْسًا لِتَشَدُّدِهم في أحوالهم دينًا ودُنْيَا». اهـ.

....

فالنّعْتُ تَابِعٌ مُتِمٌّ مَا سَبَقْ بِوَسْمِهِ أو وَسْمِ مَا بِهِ اعْتَلَقْ. اهـ

فالمُرَادُ بـ «مُتِمّ»: مُكَمِّلٌ مَا يَطْلُبُهُ المَنْعُوتُ بِحَسَبِ المَقَامِ مِنْ تَخْصِيصٍ أو مَدْحٍ، أو غيرِ ذَلِكَ.

ولفظُ «قُرَيْشٍ» فِي وضْعِهِ اللُّغوِيِّ قَبْلَ أنْ يُرَكَّبَ فِي كَلامٍ، له دَلَالَتَانِ: دلالة على المعنَى الوَضْعِيِّ لِلَّفْظِ. ودلالة عَلَى مَعْنًى زَائِدٍ عَلَى ذلك المَعنَى الوَضْعِيِّ عِنْدَ التَّرْكِيبِ. أمَّا «قُريشٌ» مِنْ جِهةِ الدّلَالَةِ الوَضْعِيَّةِ اللَّفْظِيَّةِ فَهُوَ مُكَبَّرُ «قِرْش» - بِكَسْرِ القَافِ وسُكونِ الرَّاء -: اسْمُ جَنْسٍ لِدَابَّةٍ تَكُونُ في البَحْرِ المِلْحِ[1]. قال الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ: «والَّذي سَمِعْتُهُ مِن أفواهِ أَهْلِ البَحْرِ: (القِرْشُ) بِكَسْرِ القَاف وسكونِ الرَّاءِ»[2]. اهـ. وتصغيرُه «قُرَيش»، وهذا المصغَّرُ أيضًا مُسْتَعْمَلٌ في دابَّة في البحرِ لا تَدعُ دَابَّةً إلَّا أكلَتْها، فجميعُ الدَّوابِّ تخافُها[3]. أمَّا دلالةُ لفظِ «قُريشٍ» على مَعَانٍ زَائدَةٍ على المَعنَى الوَضْعيِّ وبَينها وِفَاقٌ، فَذَلِكَ يَتَّضِحُ بأمورٍ عَشَرَةٍ:

الأمرُ الأوَّلُ: أنَّ لفظَ «قُريش» استُعمِلَ عَلَمًا[4] مَنقُولًا لِقبيلَةٍ، تَشْبِيهًا لَهَا بهذه الدَّابَّةِ العَظِيمةِ البَحْرِيَّةِ. فكان التَّصغيرُ للمُشَبَّه به للتَّعظيمِ، وكذلك للمُشَبَّه، لِـمَا

---

(١) «لسان العرب» (٦/ ٣٣٤).

(٢) «فتح الباري» (٦/ ٦١٨)، و«تهذيب اللّغة» للأزهريّ (٨/ ٣٢١ - ٣٢٢)، و«القاموس المحيط» (٢/ ٢٨٣)، و«أساس البلاغة» للزّمخشريّ (٢/ ٢٤٣).

(٣) المراجع السَّابقة.

(٤) وإلى هذا النّوع المنقولِ مِنَ الأعْلَام، أَشَارَ ابنُ مالكٍ بقوله:

ومنه منقولٌ كفَضْلٍ وأَسَدْ ....

....

تَقَرَّرَ في علمِ النّحوِ أنَّ التَّصغيرَ يُؤتَى بِهِ لِأَجلِ التَّعْظِيمِ عند الكُوفِيِّين[1] وذلك واردٌ في كلامِ العربِ. و«قُرَيشٌ» في اصْطِلَاحِ علماءِ النَّسَبِ يُطْلَقُ عليه اسمُ: «عِمارَة» أيضًا[2].

الأمرُ الثَّاني: أنَّ الدَّليلَ على استعمالِ لفظِ «قُرَيشٍ» عَلَمًا للقَبِيلَةِ، ما جاءَ في هذا الأثرِ: أَخبرَنا أبو نصْر بنُ قتادةَ، قال أنبأنَا أبو الحَسَنِ عليُّ بنُ عيسى المالِينِيُّ، قال حدَّثنا محمَّدُ بنُ الحَسَنِ بنِ الخليلِ النَّسَوِيّ (أو النِّسْريّ) أنَّ أبا كُرَيبٍ حدَّثهم قال وَكِيعُ بنُ الجرَّاح عن هشام بن عُرْوةَ عن أبيه عن أبي رَيحانَةَ العَامريِّ، أنَّ مُعاويةَ قالَ لابنِ عبَّاسٍ: فَلِمَ سُمِّيَتْ قُرَيشٌ قُرَيشًا ؟ قال: لِدابَّةٍ تكونُ في البحْرِ، أَعْظَمُ دوابِّه، يُقال لها القِرْشُ، لا تَمُرُّ بشيءٍ مِنَ الغَثِّ والسَّمينِ إلَّا أَكَلَتْه. قال: فَأَنْشَدَني في ذلك شيئًا قالوه، شِعْرُ الجُمَحيِّ إذْ يقول:

وقُرَيشٌ هي الَّتي تسكُنُ البحـ ـرَ بِهَا سُمِّيَتْ قُرَيشٌ قُرَيشَا
تَأكُلُ الغَثَّ والسَّمينَ ولا تَتْـ ـرُكُ فيها لِذي جَنَاحَيْنِ رِيشَا
هكذا في البِلادِ حَيُّ قُرَيشٍ يَأْكُلونَ البِلادَ أَكْلًا كَمِيشَا
ولَهُمْ آخِرَ الزَّمانِ نَبِيٌّ يُكْثِرُ القَتْلَ فيهمُ والخُمُوشَا[3]. اهـ

---

(١) شرح الأشمونيّ على ألفيَّة ابنِ مالك مع حاشية الصَّبَّان عليه وشرحِ الشّواهد للعَينيّ (٤/ ١٥٧).

(٢) «فتح الباري» (٦/ ٦١٠). نَقَلَ ذلك ابنُ حَجَر مِن كتابِ «النَّسَب» للزُّبير بنِ بكَّار. وسيأتي أنَّ جِذْمَ قُرَيشٍ عَدْنانُ. و«الجِذْمُ» هو الأصلُ للشَّيءِ في اللُّغة.

(٣) «دلائل النّبوّة» للبيهقيّ (١/ ١٤٠ - ١٤١). الطّبعة الأولى (١٣٨٩هـ - ١٩٩٦م)، و«فتح الباري» (٦/ ٦١٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبيّ (٢٠/ ٢٠٢)، و«خزانة الأدب» =

....

الأمر الثَّالثُ: أنّ طائفةً مِنَ العلماءِ ذَهَبُوا إلى أنّ «قُريشًا» العَلَمَ لِهَذِه القَبِيلَةِ مُصَغَّرُ «قَرْشٍ» بفَتحِ القافِ مُكَبَّرَةً، منهم العلَّامة عبدُ الرَّؤوفِ المَنَاوي[1]، والعلَّامةُ الكفَوِيُّ[2]. والشَّيخُ الأستاذُ الإمامُ محمَّد الطَّاهر ابن عَاشور التُّونُسِيُّ[3].

واختلفوا في معناه: فمنهم مَنْ قال: إنّه اسمٌ لِمعنيَيْنِ: وهو ظاهرُ كلامِ المناويّ، والكفويّ، لِقول الأوّل في أحدِ المعنيَيْنِ: «وأصلُ (القَرْشِ) الجَمْع، وتَقَرَّشُوا تجمَّعوا وبه سُمِّيَتْ قُرَيشٌ»[4]. اهـ، وقال الثَّاني في ثاني المَعنيَيْنِ: «قُرَيشٌ مُصَغَّرًا لِـ(قَرْشٍ) تعظيمًا، وهو الكَسْبُ والجمعُ، سُمِّيَ به لأنَّهم يَتَّجِرُون ويَجْتَمِعون بمكَّةَ بَعْدَ التَّفَرُّقِ في البِلادِ»[5]. اهـ بتصرُّفٍ. أو يَجمَعُونَ المَالَ لِقولِ العرب: فلانٌ يَتَقَرَّشُ المَالَ أي يَجْمعُه، فَهُمْ كَانُوا أَهْلَ تِجارَةٍ، ولم يكونوا أصحابَ ضَرْعٍ وزَرْعٍ[6]. قلتُ: والتَّصغيرُ على قولِهم لِلَفْظِ «القَرْشِ» بِفتْحِ القافِ وهو مَصْدَرٌ بهذه المَعَانِي

= (١/ ٢٠٤)، و«طبقات فحول الشّعراء» لمحمّد بن سلّام الجُمحيّ، ص: (٨). واختلفوا في القائلِ لهذه الأبياتِ. والأهمُّ من ذلك معرفةُ صِحَّة الأثرِ إسنادًا، ولم أتمكَّنْ من الكشْفِ عن ذلك وقتَ الكتابةِ.

(١) «العُجالةُ السَّنِيَّةُ على ألفيَّةِ السِّيرةِ النَّبويَّة»، ص: (١٥).

(٢) «الكلّيَّات في المُصطلحات والفروق اللُّغويَّة»، ص: (٧٠٢).

(٣) «التّحرير والتَّنوير» (٣٠/ ٥٥٦).

(٤) «العُجالةُ السَّنِيَّة»، ص: (١٥).

(٥) «الكلّيّات»، ص: (٧٠٢).

(٦) «القاموس المحيط» (٢/ ٢٨٣)، و«لسان العرب» (٦/ ٣٣٥).

الـمُخْتَلِفَـةِ للتَّعظيـمِ، لم تَجْـرِ بِهِ أُصولُ التَّصْريـفِ لأنَّ الـمَصْـدرَ لا يُصَغَّرُ إلَّا علَى تَأْويلِه باسـمِ عَيْنٍ. ومنهم مَنْ يقولُ إنَّه(١) اسـمُ عَيْنٍ للحَيَوانِ البَحْرِيِّ العَظيمِ الـمَارِّ ذِكْـرُه في معنَـى: «قِرْش»(٢). وهذا ما ذهَبَ إليه ابنُ عاشـور إذ قـال: ولُقِّبَ «فِهْرٌ» بلقَـبِ «قُريشٍ» بصيغة التَّصغـيرِ، وهوَ علَى الصَّحيحِ تَصْغيرُ «قَـرْشٍ» بِفتحِ القَافِ وسُـكونِ الرَّاء وشينٍ مُعْجمَةٍ، اسـمُ نوعٍ مِنَ الحُوتِ، قوِيٌّ يَعْدُو علَى الحِيتَانِ وعلى السُّفُنِ(٣). اهـ. وفتحُ القافِ مِن «قَرْشٍ» لِهذا الحيوانِ ذهَبَ إليه الزَّمخشريُّ إذْ قال: «وهـو قَرْشٌ مِـن القُروشِ إذا كان غالِبًا قاهِرًا، وهو دابَّـةٌ عظيمةٌ مِن دَوَابِّ البَحرِ، يَعْرِفهـا البَحَّـارُونَ، وقدْ سـمِعْتُ وَصْفَهَا الهَائلَ مِـن غيرِ واحِدٍ منهـم، وبِتَصْغيرِه سُـمِّيَتْ قُرَيشٌ»(٤).اهــ إلَّا أنَّ الزَّمخشريَّ لم يَنُـصَّ عـلى ضبطِ القَاف مِـن «قَرْش» بالفتحـة نصًّـا كـمَا فَعَلَ ابنُ عَاشُـورٍ، بل في ذِكْرِه لــ «قرش» احتمالٌ أنْ تكـونَ قَافُهُ مفتوحـةً فيُوافِـقُ ما صرَّحَ به ابنُ عاشـور، وأنْ تكونَ مكسـورةً فيُوافِقُ ما صرَّح به الجُمهورُ مِن الكَسْرِ سابِقًا.

الأمـرُ الرّابعُ: أنَّ «قُريشًـا» - وهو عَلَـمٌ للقبيلةِ - إنِ اعتبرتَـه حيًّا فهو مُذكَّرٌ فتَصْرِفُـه، كـما في بيت كعبٍ هذا: «في فِتيةٍ مِن قُرَيشٍ قَالَ قائلُهم ...إلخ»: لِأنَّ الحيَّ مُذكَّـرٌ تقـولُ: هذا الحـيُّ. وإنِ اعتبِرْتَه قبيلةً، منعْتَـهُ مِنَ الصَّرفِ لِلعلَمِيَّـةِ والتَّأنيثِ

---

(١) أي «القَرْشُ» بفتح القاف وسكونِ الرَّاء.

(٢) بكسر القاف وسكونِ الرَّاء.

(٣) «تحرير المعنى السّديد وتنويرُ العقلِ الجديد من تفسيرِ القرآن المجيد» (٣٠/ ٥٥٦).

(٤) «أساسُ البلاغةِ» (٢/ ٢٤٣ - ٢٤٤). مطبعة دار الكتب (١٩٧٣م).

....

الـمَعْنَـويِّ. أشـار أبو العلاءِ المعرِّيُّ[١] إلى هذين الإعْرَابَينِ فيما أَشْـبَهَ «قُرَيْشًـا» مِنَ الأعلامِ فقال في «سَبَإٍ»: «إنَّما هو اسمٌ جرى مَجْرى القبائلِ، تارةً يُصْرَفُ، وتارةً يُمْنَعُ مِن الصَّرفِ»[٢]. اهـ، والوجْهَانِ الإعرابِيَّان وَرَدَا في كلامِ العرَبِ[٣].

الأمر الخامسُ: أنّ «قُريشًا» صنفٌ مِنَ العَرَبِ الـمُسْتَعْرِبةِ. وذلك أنّ العربَ جيلٌ مِنَ النَّاسِ خِلَافُ العَجَمِ، والمرادُ بالعَجَمِ كلُّ مَنْ ليسَ مِنَ العربِ مِنَ الفُرْسِ، والتُّركِ، والإفرِنْجِ، وغيرِهم، ولفظُ «العرَبِ» مُؤنَّثٌ على تَأويلِ «الطّائفة»، ومِنْ ثَمَّ يُوصَفُ لفظُ «العَرَبِ» بالعاربَةِ أو المُسْتَعْرِبَةِ جوازًا. والعربُ عامٌّ في سُكَّانِ الأمصارِ وسُكَّان البادِيَةِ[٤].

---

(١) واسـمُه: «أحمـدُ بنُ سُـلَيمان أديـبُ مَعَرَّةِ النُّعـمانِ» قالـه الفيروزأبادي في «القامـوس المحيط» (١/ ٤).

(٢) «عَبَثُ الوَليد»، ص: (٤٨). هذا الكتابُ في الكلام على شِعرِ أبي عُبادةَ الوليدِ بنِ عُبيد البُحْتُرِيّ الطَّائيّ. إملاء فيلسوفِ الـمَعَرَّةِ. الطَّبعةُ الثَّامنة لمكتبة النَّهضَة المِصريَّة.

(٣) «لسان العرب» (٦/ ٣٣٥). وستأتي الإشارةُ إلى نوعِ هذا العَلَمِ لـ «قُريش» في الأمرِ العاشِرِ.

(٤) «المسـائلُ الحَلبيّـات» لأبي علـيٍّ الفـارسيِّ المتوفَّى سـنَةَ (٣٧٧هـ)، ص: (١٦٧ - ١٦٨). دار القلـم -دمشـق -. دار المنـارة - بـيروت - الطَّبعـة الأولى (١٤٠٧هــ - ١٩٨٧م). وقـولي: «والعـرب عامٌّ» أي لفـظُ «العرب». وإذا قُلْتَ: «الأَعْرَابُ» اختـصَّ بأهل البادية من العرب. مفردُه: أعرابيٌّ. ومفردُ «عَرَبٍ» عَرَبِيٌّ، بياء النَّسَبِ فيهما. وإذا نُزِعَتِ الياءُ يقال لـ «عَرَبٍ» اسمُ جَمْـعٍ، ويقـال لـ «أَعْرَاب» اسـم جِنْسٍ جَمْعِيٌّ. على ما تَقَـرَّرَ في علم النَّحْـوِ. وفي هذه الحالةِ إذا وقعاً موصوفَيْنِ أو مُبْتَدَأينِ أُخْبِرَ عنهما بِخَبَرٍ غلبَ التَّذكيرُ في الوصْفِ والخَبَرِ، أشـار إلى ذلك صاحبُ «الجامع بين التّسهيل والخلاصة» بقوله:

وإذْ هُـوَ فِي وَصْـفِـهِ وفِي خَـبَرْ ... يُـوَافِـقُ الـمُـفْـرَدَ مِـنْ دُونِ حَـذَرْ

أَوْ مِيـزَ عـنْ فَـرْدٍ بِـنَـزْعِ يَـا النَّسَبْ ... أو تَـاءِ تـأنـيـثٍ وتَـذْكِـيرٌ غَـلَـبْ

فـاسْمًـا لِجَمْـعٍ أو لِجِنْـسٍ يُدْعَى ... إنْ كـانَ هكذا ولَيْـسَ جَمْعًـا. اهـ

....

الأمرُ السَّادسُ: أنَّ العَربَ المُسْتَعْرِبَةَ على قسمينِ: قِسْمٍ منه قُرَيشٌ، وهذا القِسْمُ ضاربُ الجُذُور في العُرُوبَةِ. وقسْمٍ ليسَ منه قُرَيشٌ، وليس كالأوَّل في العُرُوبَة. أمّا القِسْمُ الأوَّلُ الّذي منْه قُرَيشٌ مِن العَرَبِ المُسْتَعْرِبَةِ فهم ذُرِّيّةُ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ - عليه وعلى نبيِّنا الصّلاةُ والسَّلامُ -[(١)]. وذلك أنَّ أوَّلَ مَنْ أَنْطَقَ اللهُ لِسانَه بِلُغَةِ العربِ: يَعْرُبُ بنُ قَحْطَان، وهو أبو اليَمَنِ كُلِّهم، وهم العربُ العاربةُ[(٢)]. ونشأ إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ - عليه وعلى نبيِّنا الصّلاةُ والسّلام - معهم فتكلَّم بِلِسانهم، أي تَعَلَّمَ لُغَةَ العَرَبِ فِي الحِجَازِ بَعْدَ هِجرةِ أَبِيهِ إِلَى الحِجَازِ[(٣)]. قال الله تَعَالَىٰ حاكِيًا عن إبراهيم: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وسُمُّوا بـ «العرب المُسْتَعْرِبة» لأنَّ السِّماتِ والشَّعائِرَ العربيَّةَ لَـمَّا انتقلَتْ إليهم مِن العربِ العاربة، اعتُبِرَتْ فيها الصَّيرورةُ، بمعنى أنَّهم صاروا إلى حالٍ لم يكُنْ عليها أَهْلُ نَسَبِهم، وهي العربيَّةُ الّتي تكَلَّموا بها، فهو مِن «استفعَلَ» بمعنى

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٦٢١)، و«بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» لمحمود شُكري الألوسي (١/ ٨)، الطَّبعة الثَّالثة. وقيل إنَّ العرب المُسْتَعْرِبَة مِنْ بَنِي حِمْيَرَ بنِ سَبَإٍ. «بلوغ الأرب» (١/ ١٠).

(٢) «بلوغ الأرب» (١/ ٩ - ١٠). وذكر ابنُ خلدون أنّ العرب العاربة هي الطّبقة الأولى من طبقات العرب الّتي يقال لها الرَّاسِمَةُ في العُرُوبةِ، وقد تُسَمَّى بـ«البائِدةِ» أي الهالِكة، لأنَّه لم يبق على وجه الأرضِ منهم أحد. اهـ «بلوغ الأرب» (١/ ٩ - ١٠). ولابنِ حجَرٍ مِثْلُ هذا الكلامِ في «فتح الباري» (٦/ ٦٢١).

(٣) «بلوغ الأرب» (١/ ٨ - ٩)، و«طبقات الشُّعراء» لمحمّد بن سلّام الجُمَحيّ، ص: (٨).

....

الصَّيْرُورة، مِنْ قولِ العربِ: اسْتَنْوَقَ الجَمَلُ واستَحْجَرَ الطِّينُ[١]. أي صار الجملُ كالنَّاقةِ وصار الطِّينُ كالحَجَرِ.

بَيْدَ أنَّ هذه الصَّيرُورةَ في لِسَانِ «قُرَيشٍ» مِنَ العَرَبِ المُسْتَعْرِبة ارتفعَ شأنُها، وعلَا قَدْرُها بإرادةِ الله تَعَالَىٰ، فلم تَكُنِ العربيَّة في لِسانِهم بالوصْفِ الَّذي كانتْ عليه في العَرَبِ العَارِبةِ، بل أصبحتْ عربيَّةً مُبِينَةً بلسانِ قُرَيشٍ قومِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٢].

قال أبو عُبيدة: وحدَّثنا مِسْمَع بن عبدِ المَلِكِ عن محمَّد بنِ عليِّ بنِ الحُسَينِ عن آبائه عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: **«كان أوَّلَ مَنْ فُتِقَ لِسانُه بالعربيَّةِ المُبِيْنَةِ إسماعيلُ** عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ **وهو ابنُ أربعَ عشْرَةَ سنةً»**. فقال له يُونُسُ[٣]: صَدَقْتَ يا أبا سَيَّارٍ، هكذا حدَّثني به أبو جَزْءٍ. فإسماعيلُ أوَّلُ مَنْ تكلَّم بالعربيَّة المُبِينَة ثمَّ صارتْ إلى قريشٍ خاصَّةً[٤]. وتصديقُ ذلك في القرآن: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

---

(١) «بلوغ الأرب» (١/ ٩ - ١٠).

(٢) «طبقات الشُّعراء» لمحمَّد بنِ سلَّام، ص: (٨)، و«شرح القصائد السَّبع الطّوال الجاهليَّات» ص: (٢٥٤).

(٣) هو ابنُ حَبيبٍ الضَّبيّ أبو عبد الرّحمن البصريّ، المتوفَّى سنة (١٨٢هـ) إمامُ نحاةِ البصْرةِ في وقته، ومِنْ أصحابِ أبي عمرو بنِ العلاء. سَمِعَ من العرب. وهو من شيوخِ سيبويه. «إرشاد الأريب» (٢/ ٦٤)، و«بغية الوُعاة» (٢/ ٣٦٥).

(٤) «شرح القصائد السّبع الطّوال الجاهليّات» لابن الأنباريّ، ص: (٢٥٤). تحقيق عبد السّلام محمّد هارون. الطّبعة الخامسة. دار المعارف. هذا الحديثُ من جهة الإسناد لا يخلو مِنْ نقد، ولا يَتَّسِعُ المَقام لبيان ذلك.

....

وأمّا القِسْمُ الثّاني مِنَ العَرَبِ الـمُسْتَعْرِبَة فهم قومٌ مِنَ العَجَمِ دَخَلُوا في العرب[١]، فتكلَّموا بلسانِهم، وحَكَوا هَيْئَاتِهم، ولَيْسُوا بِصُرَحاءَ فيهم»[٢]. اهـ

الأمرُ السَّابع: أنّ مِن عَظَمةِ قُرَيشٍ تَفَوُّقَها في اللُّغة على غيرِها، مِنَ القبائلِ العَرَبِيَّةِ. إذْ كانتْ أجْوَدَ العَرَبِ انتِقَادًا للأفصَحِ مِنَ الألْفَاظِ، وأسهلِها على اللِّسانِ عند النُّطقِ، وأحْسَنِها مَسْموعًا، وأَبْيَنِها إبانةً عمَّا في النَّفْسِ[٣]. قال الفَرَّاءُ: «كانتْ العربُ تَحْضُرُ الموسِمَ في كلِّ عامٍ، وتَحُجُّ البيتَ في الجاهليَّةِ، وقُرَيشٌ يَسمعونَ جميع لُغاتِ العربِ، فما استَحْسَنُوه من لغاتِهم تكلَّموا به، فصاروا أفصحَ العرب، وخَلَتْ لُغَتُهم مِن مُسْتَبْشَعِ اللُّغاتِ، ومُسْتَقْبَحِ الألفاظِ»[٤]. اهـ. وقال ثَعْلب: أَخْبَرَنا أبو العبّاس[٥] قال: ارتفعتْ قُرِيشٌ في الفصاحة عن عَنْعَنَةِ تميمٍ، وكَشْكَشَةِ رَبيعةَ، وكَسْكَسَةِ هَوازِنَ، وتَضَجُّعِ قَيْسٍ، وعَجْرَفَةِ ضَبَّةَ، وتَلْتَلَةِ بَهْرَاءَ[٦]». اهـ. وهذه اللَّهجاتُ أكثرُ ممَّا ذَكَرَهُ أبو العبَّاسِ.

(١) قلتُ: وهذا يشمَلُ دخولَهُمْ فيهم بِسَببِ الإسلام أو بغير ذلك قبل الإسلام وبعده. فإذا كان ذلك الدُّخولُ فيهم في عصْرٍ تغلبُ الفصْحى على لسانِ العربِ الأصْلِيِّين صحَّ استِعْرابُ هؤلاء العَجَم.

(٢) «لسان العَرَب» (١/ ٥٥٧)، و«شرح ديوان الحماسة» للمرزوقيّ (٣/ ١٥٢٤).

(٣) «فيْض نَشْرِ الانشِرَاح من رَوض طيِّ الاقتراح» لأبي عبد الله محمّد بن الطَّيِّب الفاسِيّ (١/ ٥٢٧). الطَّبعة الأولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م). دار البحوث للدِّراسات الإسلاميّة وإحياء التُّراث. الإمارات العربيّة الـمُتّحدة - دبي -.

(٤) «فيْض نَشْرِ الانشِرَاح من رَوض طيِّ الاقتراح» (٢/ ١١٣٩).

(٥) هو محمّد بنُ يزيدَ المبرّد الثّمالي.

(٦) «مجالس ثعلب» لأبي العبَّاس أحمد بن يحي ثعلب، شرح وتحقيق عبد السّلام محمّد هارون. القسم الأوّل ص (٨٠ - ٨١) النّشرة الثَّانية. دار المعارف بمصر.

(أ) فعَنْعَنـةُ تميـم أنَّها تقْلِبُ الهمـزةَ عينًا مُهملةً فتقول في موضـعِ: «أنَّ» عنَّ. تقول: عنَّ عبدَ الله قائمٌ[١].

(ب) وكَشْكَشَـةُ رَبيعـةَ هـي وَضْـعُ الشِّـينِ مَكَانَ الـكافِ، لِخِطـابِ المفردةِ المؤَنَّثـةِ خاصَّةً، نحوُ «عَلَيـشِ» في: علَيكِ، و«مِنْشِ» في: مِنْـكِ، و«بِشِ» في: بِكِ[٢]. ويُنشِدونَ:

فَعَيْنَاشِ عَيْنَاهَا وجِيـدُشِ جِيدُهَا ولكنَّ عظْمَ السَّاقِ مِنْشِ رَقيقُ[٣]. اهـ

(جـ) وكَسْكَسَـةُ هَوازِنَ[٤] هي: جَعْلُهم سِـينًا بعـد كافِ الخطابِ، للأنثى في الوقف، فإذا وَصَلْتَ أَسْقَطْتَ السِّينَ، فيقال: أَعطَيْتُكِسْ، ومِنْكِسْ، وعَنْكِسْ[٥].

(د) وتَضَجُّـع قيـسٍ: لم أَطَّلِـعْ - بعد إمعـانِ البحثِ عن تصاريـفِ المادَّة مِن كُتُـبِ لأهْلِ اللُّغة - على بيانِ المُرادِ مِـن «تَضَجُّع». وهو مضافٌ إلى قيسٍ. والظَّاهرُ أنَّه مِن إضافةِ المصدرِ إلى فاعِله، ويتَّضِحُ ذلك كلُّه بِمَا يَلِي:

---

(١) «القاموس المحيط» (٤/ ٢٥٠)، و«تهذيب اللُّغة» للأزهريِّ (١/ ١١١).

(٢) «لسان العرب» (٦/ ٣٤٢)، و«تهذيب اللغة» للأزهريِّ (٩/ ٤٢٤)، و«سرُّ صناعةِ الإعرابِ» لأبي الفتـح عثمان بنِ جنِّيٍّ (١/ ٢٣٠). الطَّبعة الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م). دار القلم - دمشق - بيروت، و«القاموس المحيط» (٢/ ٢٨٦).

(٣) المراجع السَّابقة.

(٤) قـال الفيروزأبـادي في «القاموس» (٢/ ٢٤٦): والكَسْكَسَـةُ لِتميـم لا لِبَكْـرٍ إلحاقُهم بكاف المؤنَّثِ سِينًا عندَ الوقفِ، يقال أَكْرِمْتُكِسْ وبِكِسْ». اهـ ونسَبَ الجمهورُ الكسْكَسَةَ إلى هوَازِنَ. «لسـان العرب» (٦/ ١٩٦)، و«سرُّ صناعةِ العرب» لابنِ جِنِّيٍّ (١/ ٢٣٠)، و«خزانةُ الأدب (١١/ ٢٣٧).

(٥) المراجع السَّابقة.

أنَّ معنى هذه المادَّةِ «ضَجَعَ» هو الخفضُ، الّذي يكونُ بالمَيْلِ لجِرْمٍ إلى الأرضِ. ويشهدُ لِهَذا المَعْنَى فِيهَا مَا وَرَدَ منها في قولِ ذي الرُّمَّة:

كأنَّ السُّلافَ المَحْضَ منهنَّ طَعْمُهُ ... إذا جعَلَتْ أيْدِي الكواعِبِ تَضْجَعُ[1].اهـ

الشَّاهدُ «تَضْجَعُ»، قال فيه أبو عمرو بن العَلاء: إذا هَوتْ في آخِر اللَّيلِ[2]. اهـ قلتُ: والهُوِيُّ فيه المَيْلُ والخَفْضُ. فجاء «ضَجَعَ» بمعنى وَضْعِ الشَّيءِ على جَنْبِهِ بالأَرْضِ. فكلُّ شيءٍ تَخْفِضُهُ فَقَدْ أَضْجَعْتَه[3]. و«تَضجَّع» استعملَه العَرَبُ بمعنَى تَقَعَّدَ عن الأمرِ ولمْ يقُمْ به[4]. ففِي «تَضَجَّع» في هذا الاستعمالِ خَفْضٌ معنويٌّ. ويَشْهدُ لِهَذَا الاسْتِعْمَالِ بِهَذا المَعنى لـ «تَضَجَّع» ما في قولِ مُتَمِّمِ بنِ نُوَيْرَةَ اليَرْبُوعيّ:

إذا جَرَّدَ القومُ القِداحَ وأُوقِدَتْ ... لهمْ نارُ أَيْسَارٍ، كَفَى مَنْ تَضَجَّعَا[5] اهـ

الشَّاهدُ: «تَضَجَّع» لمْ يقُمْ بالأمْر. فهو لازِمٌ، كلُزُومِه في قولِهم «تَضَجَّع السَّحَابُ» أَرَبَّ بِالمكَان[6]. أي أَقامَ بِهِ وَلَزِمَه.

---

(١) «ديوان ذي الرُّمَّةِ» شرح الباهليّ (٢/ ٧٢٤).

(٢) المرجعُ السَّابقُ.

(٣) «لسان العرب» (٨/ ٢٢٠)، وكتاب «العَين» المنسوب إلى الخليل بن أحمد الفراهيديّ (٣/ ٨)، الطّبعة الأولى (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان.

(٤) وذلك إذا قلتَ: تَضَجَّع فُلانٌ في الأمر. «لسان العرب» (٨/ ٢٢٠).

(٥) «شرح اختيارات المُفَضَّل» للتَّبريزيّ (٣/ ١١٧٤).

(٦) «لسان العرب» (٨/ ٢٢٠).

....

وإذا تَـمَهَّـد لك هذا فـ«تَضَجُّعُ قيس»، يُرادُ بـه - أخْذًا مِنْ دَلالَة مَعْنَى أصْلِ المادّةِ - أنَّ لِهذهِ القَبيلةِ في النُّطقِ بِحَرَكَاتِ حُروفِ بعضِ الكلماتِ إضجاعًا لها ومَيْلًا بها على حالةِ الإمالةِ والخفضِ.

ويُسْتَأنَسُ على ذلك بما ذكرَهُ بعضُ أهلِ اللُّغةِ في «الإضْجاعِ» إذ قال: «والإضْجَاعُ في بابِ الحركاتِ مِثْلُ الإمالةِ والخَفْضِ»[١]. اهـ. والتَّضجُّعُ كالإضجاعِ مِن جهةِ تَعَدِّي فِعْلَيهما مع اختلافِ الوزنِ، والتّقديرُ: تَضَجُّعُ قيسٍ حركاتِ الحروفِ. وبقيَتْ معرفةُ كيفيَّةِ هذا التَّضَجُّع مِن قَيسٍ في الكلامِ.

(هـ) وعَجرفَةُ ضَبَّةَ هي تَقَعُّرُها في الكلامِ، لِأنَّ معنى العَجرفَةِ في اللُّغةِ: جَفْوَةٌ وخُرْقٌ في العملِ، والإقدامُ في هَوَجٍ[٢].

(و) وتَلْتَلَةُ بَهْراءَ هي كَسْرُهم تاءَ «تَفْعَلون»، نحوُ: تِعْلَمُون وتِعْقِلون وتِصْنَعون[٣].

الأمرُ الثَّامن: أنَّ هذا التَّفوُقَ اللُّغويَّ لِقُرَيشٍ، مَلحوظٌ وُجودُه[٤] مِنْ جِذْمِهِمْ[٥] عَدْنان المتَّفقِ عليه أَعْلَى أبٍ لهم، فمَنِ انحَدَرَ مِنْ صُلْبِ عدنانَ مِنَ

---

(١) «تهذيب اللُّغة» للأزهريّ (١/ ٣٣٥)، و«القاموس المحيط» (٣/ ٥٥).

(٢) «القاموس المحيط» (٣/ ١٧٢)، و«لسان العرب» (٩/ ٢٣٤).

(٣) «مجالس ثعلب»، ص: (٨١) من القسم الأوّل، و«القاموس المحيط» (٣/ ٣٤٠)، و«خزانة الأدب» (١١/ ٤٦٦).

(٤) وبِسَبَبِ ما كانوا يَنْتَقُونَه من الألفاظِ والتَّركيبِ في الجاهليَّة.

(٥) «الجِذْمُ» في اللُّغة معناه أصْلُ الشَّيءِ، ومِنْ ثَمَّ يقال لأصْلِ النَّسَبِ جِذْمٌ. «فتح الباري» (٦/ ٦١٠).

الذُّكورِ إلى الرّسـول ﷺ يَفوقون مَنْ فوقَ عدنانَ إلى إسـماعيلَ بنِ إبراهيمَ في العربيَّةِ، وإنْ كانتْ عربيَّةُ إسماعيلَ مُبِيْنَةً[١] كما تقدَّمَ.

فعَدْنانُ مِنْ بني قَيْدَارٍ ذُرِّيَّةِ إسماعيل[٢]. ونَسَبُ قريشٍ من الرَّسول ﷺ إلى عَدْنانَ محفوظٌ؛ بخلافِ مَنْ فوقَ عدنانَ مِنَ الآباءِ إلى إسماعيلَ، فَنَسَبُهُم إليه غيرُ محفوظٍ. قال البيهقيُّ قال الحافظُ أبو عبدِ الله: «نِسْـبَةُ الرَّسولِ ﷺ إلى عَدنانَ صحيحـةٌ، وما وراءَ عَدْنانَ فليس فيه شيءٌ يُعْتَمَدُ»[٣]. اهـ. وقال الحافظُ ابنُ حَجَرٍ العسْـقَلانيُّ: «والنَّسَـبُ ما بينَ عَدنان إلى إسـماعيلَ بنِ إبراهيمَ مُخْتَلَفٌ فيه، وأمَّا مِنَ النَّبيِّ ﷺ إلى عَدْنانَ فمُتَّفَقٌ عليه»[٤]. اهـ، وقال أيضًا: وروى الطَّبرانيُّ بإسنادٍ جيِّدٍ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، قالتْ: «استقامَ نَسَبُ النَّاسِ إلى مَعَدِّ بنِ عدنان»[٥]. ونظَمَ حاصِلَ ذلك صاحبُ «قُرَّةِ الأبصارِ» بقوله:

ونَسَـبُ الـمُـخـتَـارِ مَحْـفُـوظٌ إلى … عَدنانَ بالإجماعِ عندَ الفُضَلا[٦]. اهـ

---

(١) «مُبِينَـةً» أي مُتَّضِحَـةً في العُرُوبة. اسـمُ فاعلِ «أبان الشَّيء». والفعـلُ لازِمٌ معناه: اتَّضَحَ. وقدْ يأتي متعَدِّيًا.

(٢) «التَّنكيلُ بما في تأنيبِ الكوثريِّ من الأباطيل» (١/ ٤٠٢) للشَّيخ العلَّامة عبدِ الرَّحمنِ بنِ يحيى الـمُعَلِّميِّ العُتْمِيِّ اليمانيِّ. الطَّبعةُ الأولى سنة (١٤٠١هـ).

(٣) «دلائلُ النُّبُوَّةِ» للبيهقيِّ (١/ ١٤٠)، الطَّبْعةُ الأولى سنة (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م).

(٤) «فتح الباري» (٦/ ٦١١).

(٥) «فتح الباري» (٦/ ٦١٨، ٦٢١).

(٦) «مَرَاتِـعُ الأبـرار في التَّعليقِ على قُرَّةِ الأبصارِ مِنْ سـيرةِ النَّبيِّ الـمُختـار»، ص: (١٢). الطَّبعة الأولى (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).

....

الأمـرُ التَّاسـع: أنَّ لغَةَ قُرَيشٍ مِنَ العَرَبِ الـمُسْـتَعْرِبة، الَّذيـن أَبوهم عَدْنانُ فاقـتْ لُغَـةَ العـربِ العارِبـةِ الـمُتَعَرِّبـةِ الَّذيـن أَبوهـم قَحْطَـانُ[١]. لِأنَّ الرَّسـولَ ﷺ أَفْصَـحُ العـرَبِ قاطِبَـةً وهـو قُرَشيٌّ بـل اختِيرَ مِـن بني هاشـمٍ، واختِيرَ بنو هاشمٍ مِنْ قُرَيشٍ. وأيضًا نزلَ القرآنُ بلُغةِ قُرَيشٍ.

الأمرُ العاشـرُ: لفظُ «قُريشٍ» اسـمُ جنسٍ جَمْعِيٌّ، يُفَرَّقُ بينهُ وبـينَ مُفْرَدِه بياء النَّسَـبِ الـمُشـدَّدةِ، فيقال فيه: قُـرَشيٌّ[٢]. و«قُريشٌ» بعد حذفِ اليـاءِ يُفيدُ الجَمْعَ، فهـو عَلَـمُ جِنْسٍ يُطْلَـقُ على بني أبٍ مـن الآباءِ، بَـدْءًا مِن عدنان إلى عبـدِ الله والدِ النَّبيِّ ﷺ، فيُسَـمَّى هؤلاء البنُونَ للأب الواحد «قبيلةً» أيضًا أَخْذًا مِنْ قبائلِ الشَّجرةِ لِلقِطَعِ المشْعُوبِ بَعْضُها إلى بعضٍ عند النَّسَّابِينَ[٣].

واختلـفَ النَّسَّـابُونَ وأهـلُ اللُّغة - بِناءً عـلى هذا الأصـلِ الـمُومَى إليه - في «قُريش»؛ مَنْ هم؟ إلى قولين:

---

(١) أشـار إلى هـذا الأبِ لهم الحافـظُ ابنُ حَجَرٍ العسْـقلانيُّ في «فتح البـاري» (٦/ ٦١٨، ٦٢١)، و«القاموس المحيط» (٢/ ٣٧٨)، و«لسان العرب» (٧/ ٣٧٤).

(٢) هـذا إذا أردْتَ هـذه الطَّائفةَ أو الطَّوائف من العرب الـمُسْـتَعْرِبة، وأمّـا إذا أردْتَ بـ«قُريش» ذلـك الحيـوان البحـريَّ العظيمَ فلفظُ «قُريـشٍ» مفردٌ في معناه، فهو اسـمُ جِنْسٍ والنِّسْـبَةُ إليه «قُرَشيٌّ» والياءُ الـمُشَـدَّدَةُ لِإفادةِ مُجَرَّدِ النِّسْـبَةِ، لا للْفَرْقِ بين الـمُفْرَدِ واسـمِ الجنسِ الجمعيِّ. وأشار الأزْهريُّ إلى هذه النِّسْبَةِ إلى «قُريش» الحيوان. «تهذيبُ اللُّغة» (٨/ ٣٢٢).

(٣) «فتح الباري» (٦/ ٦١٠ - ٦١١)، و«القاموس المحيط» (٤/ ٣٤ - ٣٥)، و«لسـان العرب» (١٣/ ٣٦٢)، و«خزانة الأدب» (٩/ ١١٧).

....

الأَوَّل: أنَّ قُريشًا هم بنو النَّضْر خاصَّةً، فمَنْ كان مِنْ بني كِنانةَ لم يَلِدْهُ النَّضْرُ، فليسَ بقُرَشيٍّ[1]. ومن الأدلَّةِ على ذلك أحاديثُ، منها:

١- حديثُ هشامِ بنِ الكَلْبيِّ عن أبيه قال: كان سُكَّانُ مكَّةَ يَزْعُمون أنَّهم قُرَيشٌ دون سائرِ بني النَّضْرِ، حتَّى رحلوا إلى النَّبيِّ ﷺ، فسألوه: مَنْ قُرَيشٌ؟ قال: «**ومَنْ وَلَدُ النَّضْرِ بنِ كِنانَة؟**»[2]. ووجهُ الاستدلالِ بهذا الحديثِ[3] أنَّ قولَه ﷺ: «**ومَنْ وَلَدُ النَّضْرِ بنِ كِنانَة؟**» استفهامٌ انكاريٌّ كالإخبارِ بالنَّفْي[4]، يفيدُ الإثباتَ أي لم يكنْ قُريشٌ إلَّا مِنْ وَلَدِ النَّضْرِ. فأفاد هذا الأسلوبُ النَّبَوِيُّ أنَّ قُرَيشًا وَلَدُ النَّضْر. ومِثْلُ هذا الإثباتِ بالاستفهامِ الإنكاريِّ للتَّقريرِ مَهْيَعٌ مَسْلُوكٌ في فَصِيحِ وبَلِيغِ كَلَامِ العَرَبِ، كصَدْرِ هذا البيتِ للأخطلِ التَّغلِبِيِّ:

فمَنْ يَعْدِلْ بِنا إلَّا قُرَيْشٌ ... أَلَسْنا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ النِّعَالا[5]. اهـ

---

(١) «الكامل» للمُبرِّد (١/ ٣٢٥)، و«لسان العرب» (٥/ ٢١٤)، و«الإعلامُ بفوائدِ عمدةِ الأحكام» لِابنِ المُلقِّنِ الشَّافعيِّ (٩/ ٢١٥). الطَّبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، و«فتح الباري» (٦/ ٦١٧)، و«التَّبيينُ في أنسابِ القُرَشِيِّين» لِمُوَفَّقِ الدِّينِ ابنِ قُدامةَ المَقْدِسِيِّ، ص: (٣٦)، وتفسير البيضاويّ المُسَمَّى «أنوارَ التَّنزيلِ وأسرارَ التَّأويل» (٢/ ٦٢٤).

(٢) أخرجه ابنُ سَعْدٍ عن أبي بكرِ بن الجَهْم. «فتح الباري» (٦/ ٦١٧).

(٣) وهو ضعيفٌ، لأنَّ راوِيَهُ هِشامُ بنُ الكَلْبِيِّ النَّسَّابةُ متروكٌ هو وأبوه. أشارَ إلَى ذَلك الذَّهبيُّ فِي «سِيَرِ أَعلَامِ النُّبَلاءِ» (١/ ٢٩، ٣٩). فلا يصحُّ هَذَا الحديثُ إلَّا إذا اعتضد بشواهِدِه الآتيةِ. والله أعلم.

(٤) «فيضُ الفتّاح شرح نَور الأقاح» (١/ ٤٨).

(٥) شعْرُ الأخْطَل أبي مالك غِياثِ بنِ غَوثٍ التَّغْلِبيِّ، ص: (٥٦٤). الطَّبعة الرابعة (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

....

أي: لا يَعْدِلُ بنا إلَّا قُريشٌ.

٢- حديثُ الأشعثِ بنِ قيسٍ الكِنديِّ قال: «قلتُ يا رسولَ الله، إنَّا نزعُمُ أنَّكم مِنَّا - يعني مِنَ اليمَنِ - فقال ﷺ: **«نحنُ بنو النَّضْرِ بنِ كِنانَةَ»**»[1]. اهـ، ووجه الاستدلالِ بهذا الحديثِ: أنَّ قولَه ﷺ: «نحن بنو النَّضْر» جملةٌ اسميَّةٌ مُثْبَتَةٌ مِنْ مبتدإٍ معرفةٍ، وخبرٍ معرفةٍ كذلك، قُدِّم فيها المُحَدَّثُ عنه وهو المبتدأُ الَّذي لَفْظُهُ حكايةٌ عنه ﷺ وعن قُرَيْشٍ، لأنَّ الحالةَ اقتَضَتْ تلك الحكايةَ[2] بـ«نحنُ» لِقول الكِنْدِيِّ: **«إنَّا نَزعُمُ أنَّكم مِنَّا»**. ثُمَّ تقديمُ لفظِ المبتدإ على لفظِ الخَبَرِ يَقْتَضي تأكيدَ الخَبَرِ وتَحْقيقَه له[3]. فيَمْنَعُ هذا التَّأكيدُ الكِنْدِيَّ مِن الشَّكِّ في كونِهم قُريشًا ولَدَ النَّضْرِ، فيكونُ ذلك تكذيبًا لِزَعْمِهم أنَّ قُرَيْشًا مِنَ اليَمنِ، على ما تقرَّرَ في علمِ المعاني[4]. وأشار الجُرجانيُّ إلى نظيرِ هذا التَّكذيبِ بمِثْلِ هذا الأسلوبِ في القرآن[5]. فأفادتْ صِياغةُ هذا الكلامِ النَّبوِيِّ البَليغِ أنَّ قُرَيْشًا - والرَّسولُ ﷺ منهم - وَلَدُ النَّضْرِ.

---

(١) رواه أحمدُ وابنُ سَعْد. «فتح الباري» (٦/ ٦١١)، وأخرجه البيهقيُّ في «دلائل النُّبُوَّة» (١/ ١٣٥). الطَّبعة الأولى.

(٢) على ما تقرَّرَ في علمِ المعاني. «مفتاح العلوم» للسَّكّاكيّ، ص: (١٧٩)، الطبعة الثَّانية (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

(٣) «دلائلُ الإعجاز» للإمام عبد القاهر الجرجانيُّ ص (١٠١ - ١٠٢).

(٤) «دلائل الإعجاز»، ص: (١٠٣).

(٥) المرجع السَّابقُ.

....

٣- ومنهـا حديث عمرو بنِ العاصِ الَّذي رواه ابنُ سَـعْدٍ بإسـنادٍ فيه ضَعْفٌ مرفوعًـا: «أنـا محمَّدُ بنُ عبدِ الله، وانتَسَـبَ حتَّى بَلَغَ النَّضْرَ بـنَ كِنانةَ، قال فمَنْ قال غيرَ ذلك فقدَ كَذَبَ»[١]. اهـ، ووجهُ الاستِدْلالِ بهذا الحديثِ - وله شواهدُ يتقَوَّى بهـا - وهـو مِمَّا لَا مَجَالَ لِلرَّأيِ فيهِ أيضًا: أنّ انْتِسَـابَهُ ﷺ بِذِكْـرِ الآباءِ بَدْءًا مِنْ عبد الله إلى النَّضْرِ بنِ كِنانةَ يُفيد أنَّ قُرَيشًا ولَدُ النَّضْر، أوِ النَّضْرُ جِماعُهم[٢]، على هذا القولِ الأوَّلِ للنَّسَّابينَ.

القـول الثَّاني: أنَّ قريشًـا هم ولدُ فِهْـرِ بنِ مالك بنِ النَّضر، فمَـنْ لم يلِدْهُ فِهْرٌ فليس قُرَشـيًّا[٣]. وبناءً على هـذا القولِ قال بعضُ النَّسَّـابِينَ: إنّ فِهْرًا لَقَبٌ للقبيلةِ، وقُرَيشٌ اسـمٌ لها، فالقبيلةُ منسـوبةٌ إليها[٤]. وعَكَسَ آخرون فقالوا إنَّ قُرَيشًـا لقبٌ للقبيلـةِ، وفِهْرٌ اسـمٌ لها[٥]. ففِهْرٌ على القولَينِ جِمَاعُ قُرَيـشٍ، فَوَلَدُ مَنْ فوقَ فِهْرٍ ليسَ بِقُرَشِيٍّ بل كِنَانِيٌّ.

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٦١١).
(٢) المرجع السَّابق، و«شرح أبيات سيبويه» (١/ ٣٥١) للسِّيرافيّ. دار المأمون للتّراث (١٩٧٩م)، و«خزانةُ الأدب» (١/ ٢٠٣).
(٣) «فتح الباري» (٦/ ٦١٧)، و«الإعلامُ بفوائد عُمدة الأحكام» (٩/ ٢١٥)، و«خزانة الأدب» (١/ ٢٨١)، وكتـاب «العـين» المنسـوب للخليل بن أحمـد الفراهيديّ (٣/ ٣٤٣)، و«لسـان العـرب» (٥/ ٦٦)، و«تهذيـب اللغـة» لأبي منصور الأزهريّ (٦/ ٢٨١)، و«جمهرة أنسـاب العرب» لابن حزم، ص (١٢) و(٤٦٤).
(٤) «الإعلامُ بفوائد عُمدة الأحكام» لابن الـمُلَقِّن الشَّافعيّ (٩/ ٢١٥)، و«العُدَّةُ» للصَّنعانيّ على إحكام الأحكام (٤ - ٣٦٩).
(٥) «تفسير التَّحرير والتَّنوير» (٣٠/ ٥٥٦).

....

واستدلُّوا على ذلك بما قال ابن سَعْدٍ في «الطَّبقاتِ»: حدَّثَنا هشامُ بنُ الكلبيِّ (١) قال: «علَّمَنِي أبي وأنا غلامٌ نسبَ النَّبيِّ ﷺ فقال: محمَّد بنُ عبد الله بنِ عبدِ المُطَّلبِ - وهو شيبةُ الحَمْدِ - ابنِ هاشِمٍ -واسمُه عمْرُو- ابنِ عبد منافٍ - واسمُه المغيرةُ - ابنِ قُصيٍّ - واسمُه زيدٌ - ابنِ كِلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْب بنِ لُؤَيّ بنِ غالبِ بنِ فِهْرٍ، وإليه جِماعُ قُريشٍ، وما كان فوق فِهْرٍ فليس بقُرَشِيٍّ بل هو كِنانيٌّ، ابنِ مالكِ بنِ النَّضْرِ - واسمُه قَيْس - ابنِ كِنانة بن خزيمة بن مُدْركة - واسمُه عمرو - ابنِ إلياسَ بنِ مُضَر» (٢). اهـ، ومحلُّ الشَّاهد قوله: «وإليه جِماعُ قُرَيشٍ». وإلى القولينِ أشار الحافظُ عبدُ الرَّحِيمِ العراقيُّ مُخْتَارًا القَوْلَ الثَّانِيَ، فَقَالَ:

أمَّا قُرَيشٌ فالأصَحُّ فِهْرُ ... جِماعُها، وقيلَ ذاك النَّضْرُ (٣)

هذان القولان مُتَفرِّعَان عنْ أصلٍ عَظِيمٍ في عِلْمِ نسَبِ قريشٍ، فلا تعارُضَ بينهما، لإمكان الجمعِ بَينَهُمَا فيما يَظْهرُ على هذا الأصل الَّذي هو: أنَّ بني كلِّ أبٍ مِنَ الآباءِ المَعْرُوفِينَ للنَّبيِّ ﷺ قبيلةٌ مُسْتَقِلَّةٌ، يقال لها قُريشٌ (٤). فبنو النَّضْرِ الَّذين وَرَدَ فيهم قولُه ﷺ: **«نحنُ بنو النَّضرِ بنِ كِنانَةَ»** قُريشٌ. وبنو فِهْرٍ من صُلْبِه يقال لهم قُريشٌ. وبنو لُؤَيِّ بنِ غالبِ بن فِهْرِ بنِ مالكٍ قبيلةٌ يقال لها قُرَيشٌ، قال الكُمَيْتُ:

(١) وتقدَّم عن الحافظِ الذَّهبيِّ أنَّه وأباهُ متروكان.

(٢) «فتح الباري» (٦/ ٦١١).

(٣) «الدُّرَّة السَّنيَّة في السِّيرةِ النَّبويَّة»، ص: (٥) مخطوط.

(٤) «فتح الباري» (٦/ ٦١٠). الطَّبعة الثَّالثة، و«خزانة الأدب» (١/ ٢٠٣)، و«القاموس المحيط» (٤/ ٣٤).

....

أَجُـهَّـالًا تـقـولُ بـنـي لُـؤَيٍّ لَعَمْرُ أَبيكَ أمْ مُتَجاهِلِينا[(١)]. اهـ

قال السِّيرافيُّ: «وبنو لُـؤَيٍّ هم بَنُو لُؤَيِّ بنِ غَالِبِ بنِ مَالكِ بنِ النَّضْرِ وهم قُرَيْشٌ»[(٢)]. اهـ.

وعلى هذا فكلُّ أبٍ جِماعُ قُريشٍ. وعلى هذا أيضًا افترقتْ قريشٌ عن قُريشٍ باختلافِ الآباء[(٣)]. وتعدَّدتْ قبائلُ قُريشٍ وكَثُرَتْ. فعند إطلاقِ لفظ «قريش» ينصرفُ معناه تارةً إلى ما يدلُّ عليه المقامُ مِن العمومِ الجِنْسِيِّ، لِـمَا في لفظِ «قُريشٍ» مِنْ مَعْنَى عَلَمِ الجِنسِ الشَّامِلِ. ويَنْصَرِفُ تارةً إلى الخُصوصِ القَبَلِيِّ، يُعيِّنُ المَقامُ ذلك كُلَّه.

وقولُ كعبٍ في البيت: «قال قائلهم»: هو الرّسولُ ﷺ. وقولُه «**بِبَطْنِ مكَّةَ**» أي في وسَطِ مكَّةَ بلدِ الله الحرامِ. والتَّعبيرُ بـ«بطن» مجرورًا بالباءِ، مُضافًا إلى مكَّةَ أُسلوبٌ قُرآنيٌّ. قال الله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٤].

وقولُ كَعبٍ: «لـمَّا أسلموا زُولوا» أي لَـمَّا أَسْلَمَ فِتْيَةٌ مِن صحَابةِ رسولِ اللهِ ﷺ وآمنوا به في أوَّلِ الدّعوةِ، وآذاهم كُفَّارُ قُريشٍ لإيمانِهم بِبطْنِ مكَّةَ، قال

(١) «شرح أبيات سيبويه» ليوسف بن أبي سعيد السِّيرافيّ (١/ ١٣٢) دار المأمون للتّراث – دمشق – لبنان طبع سنة (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).
(٢) المرجع السَّابقُ.
(٣) «خزانة الأدب» (١/ ٢٨١)، و«المقاصد الشّافية في شرح الخلاصة الكافية» لأبي إسحاق إبراهيم ابن موسى الشَّاطبيّ (١/ ٣٠٣)، الطّبعة الأولى (١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م). جامعة أمّ القرى – مكّة المكرّمة –.

....

لهم الرَّسـول ﷺ: زُولوا. أي ارتَحِلوا وانتقِلوا من مكَّةَ مُهاجِرينَ بدِينِكُمْ إلى المدينـةِ(١). وبَيْنَ قوله: «قـال قائلُهم بِبَطْنِ مكَّة لـمَّا أسـلموا» وبَـيْنَ قوله: «زُولوا» ما يُسَمَّى بـ «الانقطاعِ» في عِلْمِ المعاني للاختلافِ خبَرًا وإنشَاءً(٢).

والفعـل: «زُولُوا» فعـلُ أَمْرٍ لجماعةِ الذُّكورِ الـمُخاطَبِـينَ. ومصْدَرُه: زَوَالٌ أو زَوِيلٌ، أو زُؤُولٌ، أو زَوْلٌ، أو زَوَلانٌ(٣)، فيقال: «زَال الشَّيءُ عن مَكَانِهِ» ذهبَ عنه، واسْتحالَ وانتقَلَ منه إلى مكانٍ آخَرَ، ومنه ما جاء في قولِ الأَخْطَلِ:

دَنَـا البَيْنُ مِـنْ أَرْوَى فَـزَالَـتْ حُمُولُهَا ... لِتَشْغَلَ أَرْوَى عَنْ هَوَاهَا شُغُولُها(٤)

فقولُه: «زالتْ حُمُولُـها» تحرَّكَتْ وانتَقَلَتْ.



(١) عَنْـوَنَ الحافـظُ الذَّهبـيُّ بقوله: «ذِكْـرُ مَنْ هاجر إلى المدينة» في «سِـيَرِ أعلام النُّبلاءِ» - السّـيرة النّبويّـة - (١/ ٢٦٠) وأوردَ في هـذا البـابِ ما نصُّه: «وقال موسـى بنُ عُقْبَةَ عن ابنِ شِـهابٍ قال: فلَمَّا اشْـتَدُّوا على رسولِ الله ﷺ وأصحابِه، أمَر رسولُ الله ﷺ أصْحابَه بالهجرةِ، فخَرَجُوا رَسَلًا رَسَلًا... إلخ». اهـ.

(٢) «مفتاح العلوم» للسَّكّاكيّ، ص: (٢٦٩)، الطّبعة الثّانية (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

(٣) «القاموس المحيط» (٣/ ٣٩١).

(٤) «شعْرُ الأخطلِ» صَنْعةُ السُّكَّرِيِّ، ص: (٤١١). الطَّبعة الرَّابعة (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

٥٢- زَالُوا فَمَا زَالَ أَنكاسٌ وَلا كُشُفٌ عِـنـدَ الـلِـقَـاءِ وَلا مَـيـلٌ مَـعَـازِيـلُ

أوّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

زالـوا: فعلٌ ماضٍ معلومٌ، مبنيٌّ عـلى الضَّمّ لِاتِّصاله بواو الجماعةِ، أو على فتحٍ مُقـدَّرٍ منعَ مِـنْ ظُهوره الضَّمَّـةُ العارِضَةُ لِمُناسَـبَةِ واوِ الجماعةِ. و«الـواوُ» مبنيٌّ على السُّكونِ في محلِّ رفعٍ فاعلٌ.

فمـا زالَ: «الفاء» حرفٌ لِعَطْـفِ مُفَصَّلٍ بعْدَها على مُجْمَـلٍ قَبْلَها. «ما» حرفُ نَفْـيٍ، مبنيٌّ على السُّـكونِ لا محلَّ له مِـنَ الإعرابِ. «زال» فعلُ مـاضٍ معلومٌ مبْنِيٌّ على الفتحِ.

أَنْكاسٌ: فاعلُ «زالَ»، مرفوعٌ.

ولا كُشْـفٌ: «الواوُ» حـرفُ عطْفٍ، مبنيٌّ على الفتـحِ. «لا» حرفُ نفيٍ مبنيٌّ عـلى السُّـكونِ للتَّوكيد. «كُشْـفٌ» معطوفٌ على «أنـكاس»، تابعٌ لـه في رفعِه الَّذي علامتُه الضَّمَّةُ الظَّاهرةُ.

عند اللِّقاءِ: «عند» ظرفُ مكانٍ منصوبٌ بِتَعَلُّقِه بـ«كُشْفٌ»، و«عند» مضافٌ؛ «اللِّقاء» مضافٌ إليه، مجرورٌ.

ولا ميلٌ: «الواو» حرفُ عطفٍ. «لا» نافية، مَبْنِيَّةٌ على السُّـكونِ لا محلَّ لها من الإعرابِ. «مِيلٌ» معطوفٌ على «أنكاس»، تابعٌ له في رفعِه.

مَعَازيـلُ: نعـتٌ لــ «مِيل»، تابـعٌ له في رفعِه. وهـو ممنوعٌ من الـصَّرفِ لِصِيغَةِ منتهى الجُموعِ «مَفَاعِيل» ولمْ يُحَلَّ بـ «أل»، ولم يُضَفْ إلى ما بعده.

ثانيًا: تفسيرُ كلماتِ هذا البيت:

زَالـوا: أي ارتَحلُـوا وانتَقَلُوا. وهذا اسـتئنافٌ بيـانيٌّ، كأنَّه قيلَ: هـلْ زَالوا بعد الأَمْـرِ مِنْ قَولِـه ﷺ: «**زُولُوا**»؟. فَبَيَّنَ كعْبٌ ذلك فقال: زالوا. ثُمَّ فَصَّل ذلك فقال: «فما زال أنكاسٌ» مُبَيِّنًا حالَتَهم عندَ الزَّوَالِ. و«النِّكْسُ» بكسْرِ النُّونِ وسكونِ الكافِ: السَّـهْمُ يَنْكَسِرُ فُوقُهُ فيُجْعَلُ أَعْلاهُ أَسْـفَلَهُ[1]، فيَضْعُـفُ. ومِنْ أَجْلِ ذلك أَطْلَقَهُ العربُ على الرَّجُلِ الضَّعيفِ استِعارةً، فهو اسمُ ذاتٍ لا وَصْفٌ.

كُشْـفٌ: جمعُ «أَكْشَـفَ» وهو مَنْ لا تُرْسَ معه، فهو وَصْفٌ مُشْـتَقٌّ على وزنِ «أَفْعَل» قياسًا، فعْلُه «كَشِفَ» على وزنِ «فَعِلَ». قال ابنُ الأعرابيِّ: الأَكْشَفُ: الجبان. وأنشد أبو العبَّاسِ الـمُبَرِّدُ عن ابن الأعرابيِّ:

فمـا ذُمَّ جـادِيـهِـمْ ولا سَـاءَ رَأْيُـهُـم ... ولا كَشِفُوا إنْ أَفْزَعَ الحَيَّ خائِفُ[2]

اللِّقاء: استِقبالُ الشَّيءِ ومُصادفَتُه ليسَ بينَكَ وبَينَهُ حِجَابٌ. والمرادُ به هنا: استقبالُ العدوِّ في القِتالِ. ومِنْ ذلك قولُ كعبِ بنِ سَعْد الغَنَويّ:

أَخـي مـا أَخـي لا فـاحِشٌ عند بيْتِهِ ... ولا وَرَعٌ عـنـدَ الـلِّـقـاءِ هَـيُـوبٌ[3]

مِيـل: جمـعُ «أَمْيَـل»، وهو الَّـذي يَميلُ عـلى السَّـرْجِ في جانِبٍ، ولا يَسْـتَوي عليه.

---

(١) «القاموس المحيط» (٢/ ٢٥٦).

(٢) «شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات»، ص: (٤١٨).

(٣) وهو في «الأصمعيَّات» عدد (٢٥) و(٩٤).

....

مَعازِيلُ: جمعُ «مِعْزَال» قِياسًا. قال سيبويه: «وأمَّا ما كان (مِفْعَالًا) فإنَّه يُكَسَّرُ على مِثَالِ (مَفَاعِيل) كالأسماء»[1]. اهـ، فـ«معازيل» مَنْ لا أسْلِحَةَ معهم، ومُفْرَدُه «مِعْزال»، كـ«أَعْزَل»[2] الّذي جمعُه «عُزْل».

وقد اجتمع «مِيلٌ» و«عُزْلٌ» جمعَينِ لـ«أَمْيَلَ» و«أَعْزَلَ» في قولِ الأعشى:

نحنُ الفَوَارِسُ يَومَ الحِنْوِ ضَاحِيَةً ... جَنْبَيْ فُطَيْمَةَ لا مِيلٌ ولا عُزُلُ[3]

ويأتي «معزا» وجمعُه «مَعَازِيلُ» لِلَّذي ينزلُ في السَّفرِ وَحْدَهُ مُعْتَزِلًا الجماعة لِبُخْلِهِ. ومنه ما في قولِ الأخْطَلِ:

مَعَازِيلُ حَلَّالُونَ بالغَيْبِ لا تَرَى ... غَرِيبَتَهُم إلَّا لَئِيمًا حَلِيلُها[4]

والسَّياقُ يُعَيِّنُ المُرادَ مِنَ الكلِمَةِ في التَّرْكيبِ إذا كانَ لها معنيَانِ أو أكثَرَ، في الوَضْعِ اللُّغويِّ.

❁ ❁ ❁

(١) كتاب سيبويه (٣/ ٦٤٠).
(٢) «أدب الكاتب» لابن قتيبة، ص: (١٥٦)، و«مجالس ثَعْلَب» شرح وتحقيق عبد السَّلام محمَّد هارون، القسم الثَّاني، ص: (٥٨٠). الطَّبعةُ الثَّانيةُ - دار المعارف - بمصر.
(٣) ضمُّ الزَّاي لِلضَّرورةِ. «ديوان الأعشى» (٤٨)، وكتابُ سيبَويه (١/ ٤٠٦).
(٤) «شِعْرُ الأخطل» صَنعة السُّكَّريِّ، ص: (٤١٥) - دار الفِكر-.

٥٣- شُمُّ العَرَانِينِ أبطَالٌ لَبُوسُهُمُ   مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الهَيْجَا سَرَابِيْلُ

أوَّلًا: إعرابُ كلمات هذا البيت:

شُمُّ العَرَانِيْنِ: «شُمُّ» خبرٌ لـمُبتدإٍ محذوفٍ، تقديرُه «هُمْ»، و«شُمُّ» مضافٌ. و«العَرَانِينِ» مضافٌ إليه مجرورٌ، وعلامةُ جرِّه الكسْرَةُ الظَّاهرةُ.

أَبْطالٌ: خبرٌ ثانٍ مرفوعٌ.

لَبوسُهم: «لَبُوس» مبتدأٌ مرفوعٌ، و«لَبُوس» مضافٌ. و«هُم» ضميرٌ مبنيٌّ على السُّكونِ في محلِّ جرٍّ، مضافٌ إليه.

مِنْ نَسْجِ داودَ: «مِنْ» حرفُ جرٍّ. «نَسْجِ» اسمٌ مجرورٌ بـ«مِنْ»، و«نَسْجِ» مضافٌ. «داودَ» مضافٌ إليه مجرورٌ، وعلامةُ جرِّه الفتحةُ نيابةً عن الكسْرَةِ لأنَّه ممنُوعٌ مِنَ الصَّرفِ لِلْعَلَمِيَّةِ والعُجْمةِ.

في الهَيْجَا: «في» حرفُ جرٍّ. «الهَيْجا» أصلُه «الهيجاء» بالهَمْزِ فقَصَرَهُ للضَّرورةِ الشِّعْريَّةِ. مجرورٌ وعلامةُ جرِّه الكسْرَةُ. والجارُّ والمجرورُ مُتَعَلِّقان بـ«نَسْج». وقوله: «مِنْ نَسْجِ دَاودَ في الهَيْجاءِ» شبهُ جُمْلَةٍ، حالٌ مِن قولِه: «لَبُوسُهم» في مَحَلِّ نَصْبٍ، فيكونُ حالًا مِنْ مُبْتَدَإٍ على رأيِ سيبَويهِ. أو شِبْهُ الجُملةِ خبرٌ لِـ«لَبُوسِهم». أو مُتَعَلِّقٌ بخبرٍ محذوفٍ تقديرهُ: كائنٌ أو استَقَرَّ.

سَرَابِيلُ: خبرٌ ثانٍ للمُبتدإِ «لَبُوسُهم». أو هو الخبرُ ليسَ غيرُ، إذا أعربْنا شِبْهَ الجُمْلَةِ حالًا للمُبْتدإِ.

ثانيًا: تفسيرُ كلمات هذا البيت:

(أ) هذا البيتُ كلُّه مدْحٌ أَتْبَعَهُ للبيتِ قَبْلَهُ وهو كذلك مَدْحٌ كلُّه، فهذا الصَّنيعُ مِنَ الإتباعِ على هذا الوصْفِ للبَيْتَيْنِ يُسَمَّى في علْمِ البديع بـ «الاستِتْبَاع»[١].

(ب) قوله: «شُمُّ العَرَانين»: مُرْتَفِعُو الأُنوفِ. و«العَرَانين» جمعُ «عِرْنِينٍ» وهو أَوَّلُ كُلِّ شيءٍ في اللُّغةِ. ويُطْلَقُ على الأنفِ كُلِّه أو ما صَلُبَ منه كما هنا.

ويشهدُ على أنَّه يُطْلَقُ على أوَّلِ كلِّ شيءٍ ومُقَدِّمَته، ما في قولِ عمْرِو بن الأهْتَم السَّعديّ، أدركَ الإسلامَ وأَسْلَمَ، ووفَدَ على رسول الله ﷺ مع بني تَميمٍ، قال يَصِفُ طارِقًا باللَّيلِ:

يُعالِجُ عِرْنِينًا مِنَ اللَّيلِ بارِدًا ... تَلُفُّ رِيَاحٌ ثَوبَه وبُرُوقٌ[٢]. اهـ

ويُطلَقُ «الأنفُ» على أوَّلِ الشَّيءِ في اللُّغة لِأَنَّه كالعِرْنِينِ في التَّقَدُّمِ، قال الحُطيئَةُ:

---

(١) «مفتاح العلوم» للسَّكّاكيّ، ص: (٤٢٨)، و«القول البديع في علم البديع» للعلّامة الشّيخ مَرْعيّ بنِ يوسُفَ الحنبليّ (١٠٣٣هـ)، ص: (١٣٤)، الطّبعة الأولى (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
تنبيه: ذِكْرُ كعبٍ قولَه في أوّل البيتِ «شُمُّ العَرانين» وهو مِنْ أوصافِ الشَّجاعةِ في كلامِ العربِ، بدليلِ قولِ غَيلانَ ذي الرُّمَّة:

كمْ فيهمُ مِنْ أَشَمِّ الأنْفِ ذي مَهَلٍ ... يَأبى الظُّلامَةَ منه الضيغمُ الضَّاري

وأَتْبَعَ ذلك أوصافًا للشُّجعان، فهذا يُسَمَّى «مُراعاةَ النّظير» في علمِ البديع. «فيض الفتّاح شرحُ نَور الأقاح» (٢/ ٢٠٧ - ٢٠٨) الطَّبعةُ الثَّانية.

(٢) «شرح اختياراتِ المُفَضّل الضَّبّي» للخطيب التّبْريزيّ (٢/ ٦٠٠)، و«الإصابة» (٤/ ٢٨٥)، و«مُعجمُ الشّعراء»، ص: (٢١ - ٢٢)، و«الأغاني» (٢١/ ١١٣).

....

وَيَحْــــرُمُ سِــرُّ جـارَتِـهـم عَليهِم   ويَأْكُلُ جارُهُمْ أَنْفَ القِصَاعِ[1]. اهـ

أبطال: جمعُ «بَطَل»، صفةٌ مُشَبَّهةٌ باسمِ الفاعل، وفعلُهُ «بَطُلَ» على وزنِ «فَعُلَ» بضمِّ العَيْنِ. ومعنى البَطَل: الشُّجاعُ الَّذي تَبْطُلُ عنده الدِّماءُ، ولا يُدْرَكُ منه الثَّأرُ.

اللَّبُوسُ: ما يُلْبَسُ، أو الثِّيابُ، أو السِّلَاحُ، وهو المرادُ هنا، فـ «لَبُوسٌ» فَعُولٌ بمعنى مَفْعُول.

مِنْ نَسْجِ داودَ: «النَّسْجُ» هنا «فَعْلٌ» بمعنى مفْعولٌ، أي ما نسجَهُ داودُ مِنَ الدُّروعِ الَّتي تُلبَسُ في الحروبِ. وداودُ هو نبيٌّ الله تَعَالَى أبو سُليمان - عليهما وعلى نبيِّنا الصَّلاةُ والسَّلام -، وكان داودُ معروفًا بالحِذْقِ في صَنعةِ الدُّروعِ.

الهيجاء: الحربُ والقِتالُ. وسُمِّيتْ كذلك لِدلالَةِ المادَّةِ على أنَّها مَوْطِنُ غَضَبٍ وثَوَرَانٍ وتَحَرُّكٍ وتَقَحُّمٍ وشجاعةٍ.

سرابيل: جمْعُ «سِرْبَال»، وهو القميصُ أو الدِّرْعُ. والمرادُ به هُنا الدِّرْعُ.



(١) «لسان العرب» (٩/ ١٣).

٥٤- بِيْضٌ سَوَابِغُ قَد شُكَّت لَهَا حَلَقٌ كَأَنَّها حَلَقُ القَفْعَاءِ مَجْدُولُ

أوّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

بِيضٌ سَـوَابِغُ: نعتان لـ «سرابيل»، تابعان لهذا اللَّفظ في إعرابه وهو الرّفْعُ. أو خَبَرَانِ لمبتدإٍ محذوفٍ تقديرُه «هي».

قد: حرفٌ للتّحقيق، مبنيٌّ على السُّكونِ لا محلَّ له مِنَ الإعراب.

شُكَّتْ: فعلٌ ماضٍ مجهولُ الصِّيغةِ، مبنيٌّ على الفتحِ، و«التَّاء» للتّأنيثِ.

لهـا: جارٌّ ومجرورٌ، شِـبْهُ جُملةٍ في محلِّ نصبٍ، حالٌ، تَقَـدَّمَ عَلَى صَاحِبِها النَّكرةِ وهو «حَلَقٌ».

حَلَقٌ: نائبُ فاعِلٍ للفعلِ «شُـكَّتْ»، مرفوعٌ. وجملةُ «قد شُـكَّتْ لها حَلَقٌ»، في محلِّ رفعٍ نعتٌ ثالثٌ لـ «سرابيلَ»، ويصحُّ أنْ تُعْرَبَ حالًا من «سرابيل»[1]؛ فتَقْتَرِن الجملةُ بـ «الواوِ» للحال: «وقدْ شُكَّتْ لها حَلَقٌ».

كأنّها: حرفٌ للتَّشبيه المؤكَّد، مِن أخواتِ «إنَّ» في العملِ. «ها» اسمُ «كأنَّ»، ضميرٌ مبنيٌّ على السُّكون في محلِّ نصْبٍ.

حَلَـقُ القَفْعَـاء: «حَلَقُ» خبرُ «كأنَّ» مرفـوعٌ، و«حلَقُ» مضـافٌ. و«القَفْعاء» مضافٌ إليه مجرور، وعلامةُ جرِّه الكَسْرَةُ الظَّاهرة.

مَجْـدُولٌ: خـبرٌ ثانٍ لـ «كأنَّ» مرفـوعٌ. وجملةُ «كأنّها حَلَـقُ القَفْعاءِ مجْدولٌ» في محلِّ رفْعٍ نعتٌ لـ «حَلَق» الأوَّل.

---

(١) باعتبـارِ خروجهـا عـن دائرةِ التَّنكـيرِ إلى دائرةِ التَّعريـف، الّذي يَصِحُّ معه أنْ يكونَ صاحبَ حالٍ.

ثانيًا: تفسيرُ كلمات هذا البيت:

بيضٌ: جمْعُ «بَيْضاء»، صفةٌ لـ «سرابيل». أي مَجْلُوَّةٌ، وقَصْدُه أنَّها بَرَّاقَةٌ ليس بها صَدَأٌ. والعربُ في الجاهليَّةِ تصِفُ الدُّرُوعَ بالبَرِيقِ والصَّفاء، وذلك إنَّما يكونُ لِكَثْرَةِ لُبْسِهم، على حدِّ قول عمْرِو بنِ كُلثوم التَّغلبيّ:

عَلَيْنا كلُّ سابِغَةٍ دِلَاصٍ ... تَرَى فَوقَ النِّجادِ لَهَا غُضُونَا[1]

فقولُه «كلَّ سابِغَة»، أي كلُّ دِرْعٍ تُصْنَعُ مِن زَرَدِ الحَدِيدِ. وقوله «دِلاص» لَيِّنَةٌ بَرَّاقَةٌ.

سَوابغ: مِنْ هذا البَيتِ لكعبٍ: طِوالٌ تامّةٌ.

شُكَّتْ لها حَلَقٌ: أي أُدْخِلَ بعضُ حَلَقِ هذه السَّرابِيل في بعضٍ. فـ«الشَّكُّ» هو الإدخالُ لهذه الحَلَقِ لِأجْل أنْ تَتَقَوَّى[2]. وكذلك «مَشَكٌّ» بفتح الميم والشِّينِ، مصدرٌ مِيمِيٌّ يُستَعْمَلُ بمعنى الإدخال، أو يُوصَفُ به، فيقال: «مَشَكُّ دِرْعٍ» أي إدخالُ حلَقِ دِرْعٍ. أو دِرْعٌ مُدْخَلٌ بَعْضُ حَلَقِها في بعضٍ. ويَشْهَدُ لِهَذَا المَعْنَى قولُ عَنْتَرَةَ:

ومَشَكُّ سابِغةٍ هَتَكْتُ فُرُوجَها ... بالسَّيفِ عن حَامِي الحقيقَةِ مُعْلِمِ[3]

(١) «شرحُ القصائدِ السَّبعِ الطِّوال الجاهليَّاتِ» لأبي بكر محمَّد بن القاسم، ص: (٤١٥). الطَّبعةُ الرَّابعة.

(٢) «حَلَقٌ» اسمٌ للجميع عند سيبويه، مُفردُه «حَلْقَةٌ» بسكون اللَّام. كتاب سيبويه (٣/ ٦٢٥).

(٣) بروايةِ الأصمعيّ. «شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّات»، ص: (٣٤٩).

....

الشَّاهدُ «مَشَكٌ سَابغةٍ»: سابغةٌ نعتٌ في الأصلِ لِمنْعُوتٍ محذوفٍ هو «دِرْع» سابغةٌ ذاتُ حَلَقٍ. وقد قال الزَّجَّاج[1]: إنَّ «السَّرْدَ» مِنْ قوله تَعَالَى: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سَبَأ: ١١]، قال: إنَّ «السَّرْدَ» هو السَّمْرُ، لأنَّ السَّرْدَ تقديرُكَ طَرَفَ الحَلْقَةِ إلى طَرَفِها الآخرِ». اهـ. قلتُ: مادَّةُ «السِّين والرَّاء والدَّال» لمعنى الخَرْز والثَّقْب والنَّسْج[2]، فتجِدُ بعضَ هذه المعاني الثَّلاثةِ في «الشَّكِّ» و«المَشَكِّ». إذ يُثْقَبُ طَرَفَا كلِّ حلْقَةٍ مِنَ الدِّرعِ ويُدخلُ بعضُها في بعضٍ، فيُخْرَزُ ويُنْسَجُ. و«النَّسْجُ» للدِّرعِ مِنْ معاني السَّرْدِ[3].

وقوله: «حَلَق» اسمٌ لِلْجَميعِ، مُفردُه: «حَلْقة» بِالتَّاءِ، وهِيَ كُلُّ شيءٍ استدارَ كَحَلْقَةِ الحَديدِ والفِضَّةِ والذَّهَبِ، وكَذَلِكَ هِيَ فِي النَّاسِ، كَمَا قَالَ طَرَفَةُ بن العَبد:

وإنْ تَبْغِني في حَلْقَةِ القومِ تَلْقَني وإنْ تَقْتَنِصْني في الحوانِيتِ تَصْطَدِ[4] اهـ

كأنَّها حَلَقُ القَفْعَاءِ: «القَفْعَاء» شَجَرَةٌ فيها حَلَقٌ تُشْبِهُ حلَقَ الخواتِيمِ، إلَّا أنَّها لا تَلْتَقي وهي رَطْبَةٌ فَإذَا يَبِسَتْ سَقَطَتْ[5]. اهـ.

مَجْدول: مُحْكَمُ الصَّنْع، لأنَّ «الجَدْلَ» هو الفَتْلُ.

---

(١) «لسان العرب» (٣/ ٢١١).

(٢) «القاموس المحيط» (١/ ٣٠١).

(٣) المرجع السَّابقُ.

(٤) «شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليَّاتِ»، ص: (١٨٦).

(٥) «القاموس المحيط» (٣/ ٧٣)، وكتاب «النَّبات والشَّجر» للأصمعيِّ، ص: (٢٩) - مِنَ «البُلْغة في شذور اللُّغة» -.

٥٥- لا يَفرَحُونَ إذا نَالَتْ رِمَاحُهُمُ قَومًا وَلَيسُوا مَجَازِيعًا إِذَا نِيلُوا

أوّلًا: إعرابُ كلمات هذا البيت:

لا: نافيةٌ غيرُ جازمةٍ.

يَفْرَحُونَ: فعلٌ مضارعٌ مبنيٌّ للمعلومِ، مرفوعٌ لِتَجَرُّده مِنَ النَّواصبِ والجوازمِ، وعلامةُ رفعه ثبوتُ النُّون. و«الواو» ضميرُ ذكورِ العُقَلاءِ يعود إلى هؤلاء الفِتْيَةِ الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وهو مبنيٌّ على السُّكون في محلِّ رفعٍ فاعلٌ.

إذا: اسمُ شرطٍ غيرُ جازمٍ، للظَّرْفيَّةِ الزَّمانيَّةِ هنا، مبنيٌّ على السُّكونِ في محلِّ نَصْبٍ. وهو مضافٌ.

نالتْ: فعلٌ ماضٍ معلومٌ مبنيٌّ على الفتح، و«التَّاء» للتَّأنيثِ، حرفٌ لا محلَّ له من الإعراب.

رِماحُهم: «رماحُ» فاعلُ «نالَتْ» مرفوعٌ، وعلامةُ رفعِه الضَّمَّةُ الظَّاهرةُ في آخرِه، و«رماح» مضافٌ. و«هُم» مضافٌ إليه، مَبْنِيٌّ على السُّكونِ في محلِّ جرٍّ.

قومًا: مفعولٌ به منصوبٌ. وجملةُ «نالتْ رِماحُهم» في محلِّ جرٍّ مضافٌ إليه، والمضافُ «إذا»، والتَّقديرُ: لا يَفرحونَ وقْتَ نَيْلِ رِماحِهم. وعاملُ النَّصْبِ في محلِّ «إِذَا» الظَّرفيِّ «لا يَفْرَحون».

وليسُوا: «الواوُ» حرفُ عطفٍ لجِملةٍ قبلَه على أخرى بَعْدَهُ، لِإفادةِ تشْريكهما في حُكْمِ المدحِ، على ما تقرَّرَ في علم المعاني. «ليسوا» فعلٌ ماضٍ ناقصٌ جامدٌ، يرفعُ الاسمَ وينصِبُ الخبَرَ، مبنيٌّ على الضَّمِّ لاتِّصاله بـ«واو» الجماعة، أو على فتحٍ مُقَدَّرٍ

....

مَنَعَ مِن ظُهورِه الضَّمَّةُ الـمَأْتِيُّ بها لِـمُناسَـبَةِ «واوِ» الجماعةِ، وهي في محلِّ رَفْعٍ، اسْمُ «لَيْسَ».

مَجازِيعًا: خبرُ «ليس» منصوبٌ، وهو ممنوعٌ من الصَّرْفِ، ونُوِّنَ لِلضَّرورةِ.

إذا: اسـمٌ للظَّرْفِ الزَّمانيِّ، مبنيٌّ على السُّـكونِ في محلِّ نصبٍ بقولهِ «مجازيعًا»، إذْ هـذا اللَّفـظُ جمعٌ لِوَصْـفٍ يَعملُ عَمَلَ فِعْلِـه، و«إذا» مضافٌ، والتَّقديرُ: وليسُـوا مجَازِيعًا وقتَ نَيلِ غَيْرِهم منهم بالطَّعْنِ أو الضَّربِ في الجهادِ.

نِيلُـوْا: فِعلٌ مَاضٍ مجهُولٌ، مَبنِـيٌّ علَى الضَّمِّ لاتِّصالِه بِالـوَاوِ. و«الوَاوُ» نَائبُ فاعـلٍ، مبنـيٌّ على السُّـكونِ في محَلِّ رفـعٍ. وجملةُ «نِيلُـوا» في محَلِّ جـرٍّ بإضافةِ «إذا» إليهَا.

ثانيًا: تفسير كلمات هذا البيت:

لا يَفْرَحُـونَ: أي لا يَفْرَحـونَ فَـرَحَ بَطَـرٍ. قـال الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القَصَص: ٧٦].

إذا نالـتْ رِمَاحُهم: أي إذا أصابَتْ رِماحُهم العـدُوَّ. و«الرِّماحُ» جمعُ «رمح». و«الرُّمْحُ» في اللُّغة: عُودٌ طويلٌ في رأسِهِ حَرْبَةٌ يُطْعَنُ بها العدُوُّ[1].

قومًا: رِجالًا فقطْ ليس معهم نِساءٌ.

ليسوا: «ليس» معناه نَفْيُ ما في الحالِ، مِثْلُ «ما» النَّافيةِ تَنْفي في الحالِ، وأصلُهُ «لَيِسَ»، فَسُـكِّنَتْ الياءُ سَـمَاعًا للتَّخفيفِ في النُّطْقِ. قال سيبويهِ: «وأمَّا (لَيْسَ) فإنَّها

(١) «القاموسُ المحيط» (١/ ٢٢٣).

....

مُسْكَنَةٌ مِنْ نحوِ (صَيِدَ) كما قالوا (عَلْمَ ذاك) في (عَلِمَ ذاك)، فلمْ يجْعَلوا اعتلالَها إلَّا لُزُومَ الإسْكان، إذْ كَثُرَتْ في كَلَامِهم»[1]. اهـ. وهو مِنْ أخواتِ «كَانَ» يُشْبِهُهُ في اتِّصالِ الضَّميرِ به، وفي إعمالِه، لكنَّه ليسَ كـ«كان» في الفِعْليَّةِ تمامًا، إذْ قَالَ سِيبَويْهِ: «ولا يكونُ منها فاعلٌ ولا مصْدَرٌ ولا اشْتِقاقٌ، فلمَّا لمْ تَصَرَّفْ تَصَرُّفَ أخواتِها جُعِلَتْ بمنزِلَةِ ما ليسَ مِنَ الفِعْلِ نحوُ (ليتَ)، لأنَّها ضارَعَتْها فَفُعِلَ بها ما فُعِلَ بما هو بمنزِلَةِ الفِعْلِ وليسَ منه»[2]. اهـ.

مجازيعًا: جمعُ «مِجْزَاعٍ»، وهو الكثيرُ الجَزَعِ.

إذا نِيلُوا: إذا أُصيبُوا بِرِمَاحِ العدُوِّ.



(١) كتاب سيبويه (٤/ ٣٤٣ - ٣٤٤).

(٢) المرجع السَّابق.

٥٦-يَمْشُونَ مَشْيَ الجِمَالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ ضَـرْبٌ إِذَا عَـرَّدَ الـسُّـودُ الـتَّـنَـابِـيـلُ

أوّلًا: إعرابُ كلمات هذا البيت:

يَمشُونَ: فعلٌ مضارعٌ معلومٌ، مرفوعٌ لِتجرُّدِه مِنَ النَّواصِبِ والجَوَازِمِ، وعلامةُ رفعِه ثُبُوتُ النُّونِ. و«الواوُ» ضميرُ رفعٍ ساكنٌ بناءً في محلِّ رفعٍ فاعلٌ.

مَشْـيَ: مفعولٌ مطلقٌ، منصـوبٌ، مُبيِّنٌ لِنـوعِ عاملِه، لإضافتـه إلى «الجِمالِ»، وعلامةُ نصبه الفتحةُ الظَّاهرةُ.

الجمالِ: مضافٌ إليه مجرورٌ، وعلامةُ جرِّه الكسْرَةُ الظَّاهرةُ.

الزُّهْرِ: نعتٌ لـ «الجِمَالِ»، تابعٌ له في جرِّه.

يَعْصِمُهـم: «يَعْصِـمُ» فعـلٌ مضـارعٌ، معلـومُ الصِّيغـة، مرفـوعٌ لِتَجَـرُّدِه مِنَ النَّواصِـبِ والجوازمِ، وعلامةُ رفعِـه ضمَّةٌ ظاهرةٌ. و«هُم» ضمـيرٌ مُتَّصِلٌ، للذُّكورِ العُقلاءِ يعودُ إلى هؤلاء الفِتْيةِ الصَّحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، في محلِّ نصبٍ، مفعولٌ به.

ضرْبٌ: فاعلُ «يَعْصِـمُ» مرفوعٌ. وجملةُ «يَعْصِمُهم ضرْبٌ» في محلِّ نَصْبٍ حالٌ مِنَ «الواو» في «يمشون»، والرَّابط لِـمِثْلِ هذه الجُمْلَةِ الحاليَّةِ الـمبْدُوءةِ بفعْلٍ مضارعٍ مُثْبَتٍ بصاحبِ الحالِ هو الضَّميرُ فقطْ، على حدِّ قولِ ابنِ مالكٍ في «الخُلاصَةِ»:

وذاتُ بَـدْءٍ بمُـضَـارِعٍ ثَـبَـتْ حَـوَتْ ضميرًا ومِـنَ الـوَاوِ خَلَتْ

إذا: اسـمُ ظرفُ زمانٍ، مبنيٌّ على السُّـكون، في محلِّ نصْبٍ، وناصبُه «يَعْصِمُ»، و«إذا» مضافٌ.

عَرَّدَ: فعلٌ ماضٍ، معلومٌ، مَبْنِيٌّ على الفَتح.

السُّودُ: فاعلُ «عَرَّدَ» مرفوعٌ.

التَّنابِيلُ: نعتٌ لـ «السُّود» تابعٌ له في رفعه، وعلامةُ رفعِه الضَّمَّةُ الظَّاهرةُ.

ثانيًا: تفسيرُ كلمات هذا البيت:

يَمْشـون: حقيقةُ «المـشي» في اللُّغة: نَقْلُ الخُطى بالقَدَمِ مـن مكانٍ إلى آخرَ قبْلَ الأوَّل، بـإرادةٍ بسُرْعَـةٍ أو ببُطْءٍ، كما في «يمشـون» مِنْ قولِ كعـبٍ. وإذا حَصَلَ بهذا النَّقْـلِ للخُطى مُجاوزةُ مَكانٍ قَصْدًا إلى مكانٍ آخَرَ، سُـمِّيَ هذا النَّقْلُ «مُرُورًا»، وهو الاجْتِيازُ، قال الشَّاعِرُ:

مَـرَرْتُ على وَادِي السِّبَاعِ ولا أَرَى   كَوَادِي السِّبَاعِ حِينَ يُظْلِمُ وادِيًا(١)

لكـنَّ صاحبَ «القامـوس»(٢) فَسَّرَ «الـمَشْيَ» بِالـمُرُورِ فَقَطْ، وهُـوَ عِنْدِي مِـن قَبيلِ التَّفسـيرِ بالمعنَى الـلَّازِمِ مِنَ المَعْنَى الأصْـلِيِّ لِلَّفظِ. وقَالَ صَاحبُ «لِسَـانِ العَرَبِ»(٣): «الـمَشْيُ معروفٌ». وكلْتا تَيْنِكَ الطَّريقَتَينِ غيرُ مَرْضِيَّةٍ عند الـمُحَقِّقِينَ. واللهُ أعلمُ.

والضَّميرُ في «يمشـون» لِلفِتيـةِ الـمُهَاجِرينَ، وأنَّهم في سَـاحَةِ مُقاتَلَـةِ الكُفَّارِ يَمشُونَ وَلَا يَتَجَاوزُونَهَا.

مَشْـيَ الجِمـالِ الزُّهْـرِ: «الـجِمَالُ» جَمْعُ «جَمَـل»، قياسيٌّ مِـن جُمُـوعِ الكَثْرَةِ،

---

(١) قاله سُحيمُ بنُ وَثيل الرِّياحيّ. «لسان العرب» (٨/ ١٤٩).

(٢) «القاموس المحيط» (٤/ ٣٩٠).

(٣) «لسان العرب» (١٥/ ٢٨١).

....

لأنَّ مفردَه على وزن «فَعَل» غيرُ مُعْتلِّ اللّامِ. أشار إليه ابنُ مالك في «الخُلاصَةِ» بقوله:

و«فَعَلٌ» أيضًا له «فِعَالُ» ... ما لمْ يَكُنْ في لامِهِ اعْتِلالُ

و«الجَمَلُ» هو الذَّكَرُ مِنَ الإبل. و«الزُّهرِ» جمعُ «أزْهَر وزَهْراء». و«الأَزْهَرُ» الأبيضُ العَتيقُ النَّيِّرُ الحُسْنِ[١]، وهو أحْسَنُ مِنَ البَيَاض. فوصَفَ هؤلاءِ الفتيَةِ بالطُّول وحُسْنِ البياضِ في اللَّونِ، المَوجُودَين في الجِمَالِ الزُّهرِ الَّتي شَبَّهَهُم بها ضِمْنًا. كما شبَّهَ مَشْيَهم بِمَشْيِها أوَّلًا. ونَعْتُ الجِمَالِ بالزُّهْرِ لِلمَدْحِ، لِمَا تَقَرَّرَ في عِلْمِ النَّحو أنَّ مِنْ أَغْرَاضِ النَّعْتِ المَدْحَ[٢].

يَعصِمُهم: يَقِيهِمْ ويَحْفَظُهم، ويَمْنَعُهم[٣].

ضَرْبٌ: طَعْنٌ بالسَّيفِ أو الرُّمح أو نحوِهما.

عَرَّدَ: تَرَكَ القصْدَ وانهزم بسُرْعةٍ وَفرَّ[٤].

السُّود: جمع «أَسْوَدَ». و«أسْوَد» وصفٌ مُشْتَقٌّ على وزن «أَفْعل» يدُلُّ على شيءٍ اتَّصَفَ بلونِ السَّوادِ الظَّاهِرِ. وفِعْلُه «سَوِدَ»، على وزنِ «فَعِلَ» بِكَسْرِ

---

(١) «القاموس المحيط» (٢/ ٤٣)، و«أساس البلاغة» للزّمخشريّ (١/ ٤١٣) الطّبعة الثّانية (١٩٧٢م).

(٢) «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد»، ص: (١٦٧).

(٣) «القاموس المحيط» (٤/ ١٥٠).

(٤) «لسان العرب» (٣/ ٢٨٨)، و«شرح ديوان الحماسة» للمرزوقيّ (٢/ ٦٢١)، و«الكامل» للمُبَرِّد (٣/ ١١٧٠). الطّبعة الثّالثة.

....

العَينِ في الـماضِي، «يَسْوَدُّ» في المضارع، «سَوَدًا» في المصدر قياسًا، و«سَوَادًا» سَماعًا.

فـ«أَسْودُ» صفةٌ مُشَبَّهةٌ باسمِ الفاعلِ بِهَذَا الوزنِ لِمِثْلِ هـذا الفِعلِ الدَّالِّ على اللَّونِ أو الحِلْيَةِ أو العَيْبِ. أشارَ إلى ذَلِكَ الرَّضِيُّ بِقَولِهِ: «وقَدْ جاءتْ - يعني الصِّفةَ الـمُشَبَّهَةَ - مِنَ الألوانِ والعُيُوبِ الظَّاهِرَةِ قِيَاسِيَّةً كـ(أَسْودَ وأَبْيَض وأَدْعَج وأَعْوَرَ) عَلَى وزنِ أَفْعَلَ»[1]. اهـ

تنبيه: قولُ الشّيخِ الأستاذِ الإمامِ مُحمّد الطّاهر بنِ عاشور في لفظ «أَلْـمى»، وهو مِنَ الصِّفات الـمُشَبَّهة باسمِ الفَاعِلِ على مَا تقدَّمَ بَيَانُه أَعْلَاهُ، لأنَّ فِعْلَهُ على وَزْنِ «فَعِلَ»: لَـمِيَ، ومعناه لِلْحِلْيَةِ، و«أَلْـمى» على وزنِ «أَفْعَل»؛ قولُه فيه عِنْدَ شَرح بيتِ بَشَّارِ بنِ بُرْدٍ:

ومُؤَشَّرٌ أَلْـمَى اللِّثَا ... تِ شَهِيُّ طَعْمِ الرِّيقِ عَذْبُهْ[2]. اهـ

«و(الألْـمى) اسمُ تفضيلٍ مَصوغٍ لِلْمُبَالَغَةِ لا لِلمُفَاضَلَةِ» سَهوٌ وسَبْقُ قَلَمٍ منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولفظُ «السُّود» في بيت كعبٍ بصيغة الجمع لـ«أَسْوَد» على وزن «فُعْل» وصفٌ استُعمِل استعمالَ الأسماءِ الجوامدِ، ولذا لم يُتْبِعْهُ كعبٌ لـمَوصُوفٍ بل جَعَلَهُ موصُوفًا لـ«التَّنابيل». ومِثْلُ هذا الاستعمالِ في كلام العربِ يَحْصُلُ في بعضِ

---

(١) «شرح الكافية» للرَّضيّ (٢/ ٢٠٥).

(٢) «ديوان بشَّار بن بُرْد» (١/ ١٧٠). طبعة (١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م) - القاهرة - مطبعة لجنة التَّأليف والتَّرجمة والنَّشر.

....

الأوصافِ الـمُشْـتَقِّ في الأصل، المُنتقِلِ إلى الجُمودِ الّذي يفيدُ به اللَّفظُ الدَّلالةَ على شيءٍ واحـدٍ هـو ذاتٌ لا صفـةٌ. ويُوَضِّـحُ هذا في لفظِ «السُّـودِ» أَنَّ مُفْرَدَهُ «أَسْـوَد» استُعْمِلَ اسْمَ جِنْسٍ عامًّا يُرادُ به:

(أ) كلُّ حيَّةٍ شَـدِيدَةِ الخُبْـثِ بِغَضِّ الطَّرْفِ عنِ اللَّونِ. قال شـمر: الأَسْـوَدُ أَخْبَثُ الحَيَّات وأعظَمُها وأَنْكَاهَا. وهي مِنَ الصَّفاتِ الغَالِبَةِ حتَّى استُعمِلَ استِعْمَالَ الأَسْمَاءِ، وجُمِعَ جَمْعَهَا. ولَيسَ شَيءٌ مِنَ الحَيَّات أَجرَأَ مِنْه، ورُبَّمَا عَارَضَ الرُّفْقَةَ، وتَبِعَ الصَّوتَ، وهو الّذي يَطْلُبُ بِالذَّحْلِ[1]، ولا يَنْجُو سَلِيمُه[2]. اهـ.

(ب) أو الماءُ. قَالَ أَبُو زَيدٍ الأَنْصَارِيُّ: ويقال «ما سقاني فلانٌ مِنْ سُوَيدٍ قَطْرَةً» وهو الماءُ، يُدعى «الأَسْوَدَ»:

أَلَا إِنَّـني سُـقِّـيتُ أَسْـوَدَ حَالِكًا ... أَلَا بَجَلِـي مِـنَ الـشَّرابِ أَلَا بَجَـلْ[3]

أو غيرُ ذلك مِنَ الأَشْيَاءِ.

وكعـبٌ قصَدَ بـ «السُّـود» في هذا البيتِ بعضَ الأنصارِ الّذيـنَ قَالُوا: «دعني يا رسولَ الله أَضْرِبْ عُنُقَه» أي عُنُقَ كعبٍ، عندما نالَ كعْبٌ في كُفْرِه مِن رسول الله ﷺ. وقال هذا البيتَ بعد توبَتِه مُسْـلِمًا وعَرَّضَ بهم بـ «السُّـود»، فأَمَرَهُ النَّبيُّ ﷺ أَنْ يَمْدَحَهُم.

---

(١) «الذَّحْلُ» الثَّأْرُ.

(٢) «لسان العرب» (٣/ ٢٢٦).

(٣) كتـاب «النَّوادر في اللُّغة» لأبي زيد سـعيد بن أوسٍ بن ثابت الأنصـاريّ، ص: (٨٣). المطبعة الكاثوليكيّة في بيروت سنة (١٨٩٤م).

....

التَّنابيـلُ: جمـعُ «تِنْبال» وهـو القصيرُ. ونعتُ «السُّـود» بــ«التَّنابيل» غرضُه الذَّمُّ، وهو عكسُ ما تقدَّم في الوصفِ لـ «الجِمَال» بـ«الزُّهْر» فإنَّه لِلْمدْحِ[١].

فمعنـى البيـتِ: يَمْشُـون في رَزَانَـةٍ وثَبَـاتٍ مُقْبِلِـينَ عـلى الكُفَّـار الأعداءِ في مُبارَزَتِهم، يَقِيْهم ضَرْبُهُم الأعداءَ بينما يفِرُّ السُّـودُ التَّنابيـلُ عند الـمُبَارَزَةِ. فاحتوى هذا البيتُ على المدحِ في صدْرِه، وعلى الهِجاءِ في عَجُزِه بأُسْـلُوبٍ يُسَـمِّيه البَلَاغيُّون في علـمِ البديعِ بـ «الـمُقابلةِ»[٢]؛ وذلك أنَّ كعْبًا ذَكَـرَ ثلاثةَ أَلْفَاظٍ مُختَلِفة في المعنى: الأوَّلُ «يَمشـون»، الثّـاني والثَّالثُ «الجِـمَالُ الزُّهْرُ»، الدَّالَّان عـلى الطُّول والبَياض. وأَعْقَـبَ هـذه الثَّلاثَةَ بِذِكْرِ أضْدَادِهـا في عَجُزِ البيتِ على التَّرْتِيـبِ، وهي: «عَرَّدَ»، الثّاني والثّالثُ «السُّود التَّنابيل»، الـمُفيدان للسَّواد والقِصَرِ.

ونظـيرُ هذه المقابلةِ في القـرآنِ الكريم قولُـه تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [اللَّيْل: ٥ - ١٠][٣]. إلَّا أنَّـه لا مُقارنـةَ بين ما جاء في التَّنزيلِ، وبين ما في كلام العربِ الفُصَحَـاءِ مِنَ الأسـاليبِ البلاغيّةِ مِن جهةِ القوَّة والإعجـازِ لَفْظًا ومَعْنًى. إذ ليس

---

(١) لكنَّ هذا المدحَ على التَّحقيق بمنظارٍ شرعيٍّ لم يتِمَّ لهؤلاء الفتيةِ الصَّحابة - رضوان الله عليهم- بِمُجَرَّدِ كونِهم طِوَالًا زُهْرًا كالجِمال في الشَّكل والصُّورة، بل بالإيمان الّذي رسَـخَ في قلوبِهم، فَدَفَعَهـم إلى هذا العملِ الصّالح. وكذلك هؤلاء السُّـودِ التَّنَابِيلِ لم يَتِـمَّ هذا الذَّمُّ فيهم بِمُجَرَّدِ كونِهم سُـودًا تَنابِيلَ، بل لِمَا فيهم مِن سُـوءٍ إنْ وُجِدَ. فيُسْـتَيْقَنُ ذلك، فيُحْكَمُ بِمُقْتَضَاهُ عَلَيهم. والله أعلم.

(٢) «مفتاح العلوم» للسَّكّاكيّ، ص: (٤٢٤)، و«فيض الفتّاح شرح نَور الأقاح» (٢/ ٢٠٥).

(٣) في سورة اللَّيل. وهذه الآياتُ مِنْ أَوَائِلِ آياتها.

....

كمثْلِه شيءٌ وهو السَّميعُ البصيرُ. ولذا فليس كلُّ ما جاء في لغةِ العربِ مِن هذه الأساليبِ البلاغيّةِ يجوزُ في القرآنِ لِضَعْفِ بعضِها ضَعْفًا يليقُ بالبَشَر، ولا يليقُ بِخَالِقِ البَشَرِ الّذي يُحِبُّ أنْ يُوَحَّدَ في ذاتِه، وصفاتِه وأَفْعَالِه، لَا يُشَابِهُهُ فِي ذَلِكَ شَيءٌ.

ومِمَّا جَاءَ مِنَ الأَسَالِيبِ البَلَاغِيَّةِ فِي كَلَامِ العربِ، ولا يجوزُ في القرآنِ ما يُسَمَّى بـ«الرُّجُوع» في علم البديع[1]، وهو أنْ يَنْفيَ الشَّاعرُ شيئًا في كلامِه ثُمَّ يُثْبِتُه بِسببِ وَلَهٍ أو تَحَسُّرٍ أَصَابَهُ في مَقَامٍ، كأنْ يقِفَ على دِيارِ محبوبتِه أو نَحْوِها فلا يتَمالَكُ - عندَ الذِّكْرَى - إلَّا أنْ يَتكَلَّمَ بِكَلَامٍ فيه الوَلَهُ عَلَيْهَا، كَقَولِ زُهَيرِ بنِ أبي سُلمى:

قِفْ بالدِّيارِ الّتي لمْ يَعْفُها القِدَمُ   بلى وغَيَّرَها الأَرْوَاحُ والدِّيَمُ[2]. اهـ

فالقُرآنُ الّذي هو كلامُ اللهِ، يَتَنَزَّه ويَعلُو عنْ أمْثَالِ هذا الّذي هو مِن كَلامِ البَشَرِ عُلُوًّا كبيرًا.

❁❁❁

(١) «القول البديع في علم البديع» لِمَرْعِيِّ بْنِ يُوسُفَ الحَنْبَلِيِّ، ص: (١٣٠)، كنوز إشبيليا. الطّبْعَة الأولى (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، و«فيض الفتّاح شرح نَور الأقاح» (٢/ ٢١٦). الطّبعة الثّانية (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

(٢) «شرح ديوان زُهير بن أبي سُلمى» صَنعةُ أبي العبَّاس ثعلب، ص: (١٢٦). الطّبعة الأولى (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) دار الكتاب العربيِّ - بيروت - لبنان.

٥٧- لا يَقَعُ الطَعنُ إلّا في نُحورِهِمُ   وما لَهُم عَن حِياضِ المَوتِ تَهْلِيلُ

أوّلًا: إعراب كلمات هذا البيت:

لا: نافيةٌ لا محلَّ لها من الإعرابِ؛ لأنّها حرفٌ كما تقدَّم.

يقَعُ: فعلٌ مضارعٌ، مرفوعٌ لتجرُّدِه من النَّواصبِ والجوازمِ، وعلامة رفعه الضَّمَّة الظاهرة.

الطَّعنُ: فاعلُ «يقعُ» مرفوعٌ.

إلَّا: أداةُ استثناءٍ مُلغاةٌ.

في نُحورِهِم: «في» حرف جرٍّ. «نُحُور» اسمٌ مجرورٌ بـ«في»، وعلامةُ جرِّه الكسْرَةُ الظَّاهرةُ، و«نحورِ» مضافٌ. و«هِم» مضافٌ إليه مبنيٌّ على السُّكونِ في محلِّ جرٍّ، والجارُّ والمجرورُ متعَلِّقان بـ«يقع».

وما لهم: «الواو» حرفٌ لِعَطْفِ جملةٍ على أخرى قبلها، ويصْلُحُ أنْ تكون «واوَ» حال[1]. «ما» حرفُ نفيٍ، مبنيٌّ على السُّكونِ لا محلَّ له مِنَ الإعرابِ. «لهم» اللّام حرفُ جرٍّ، «هم» ضميرٌ مبنيٌّ على السُّكون في محلِّ جرٍّ باللَّام. والجارُّ والمجرورُ في محلِّ رفعٍ خبَرٌ مُقَدَّمٌ على المبتدإ «تَهْلِيلٌ».

عن حِيَاضِ الموتِ: «عن» حرفُ جرٍّ. «حِياض» اسمٌ مجرورٌ بـ«عن»، وهو مضافٌ. و«الموت» مضافٌ إليه مجرورٌ وعلامةُ جرِّه الكَسْرَةُ الظَّاهِرَةُ، وشبهُ الجملة «عن حِياضِ الموتِ» مُتَعَلِّقٌ بـ«تهليلٌ» حالٌ منه في محلِّ نَصْبٍ، لأنَّ شبهَ الجملةِ

---

(١) ستأتي الإشارةُ إلى هذا الإعراب أخيرًا.

حالٌ في الأصلِ نعتٌ لـ «تهليل»، فلمَّا تَقَدَّمَ النَّعْتُ وهو نكرةٌ على منعوتِه وهو نكرةٌ في المعنى، أُعْرِبَ النَّعتُ حالًا، على ما تقرَّر في علم النَّحو.

تهليلٌ: مبتدأٌ مؤخَّرٌ، مرفوعٌ، وعلامةُ رفعِه الضَّمَّةُ الظَّاهرة.

وجميع الشَّطر الثَّاني مِنَ البيتِ وهو: «وما لهُم عن حِياضِ الموتِ تَهْليلٌ» يصحُّ إعرابُه جملةً اسميَّةً حاليَّةً في محلِّ نصْبٍ، صاحبُ الحال «هم» من «نُحورهم»، والرَّابطُ للجملةِ بصاحب الحال: الضَّميرُ في «لهم»، و«الواوُ» للحال في أوَّلِ الجُمْلَةِ.

ثانيًا: تفسيرُ كلمات هذا البيت:

لا يَقَعُ: معنَى الكلِمَتَين: نفْيُ الحَدَثِ الَّذي هو الوُقُوعُ المفهومُ مِن «يَقع». و«الوُقُوعُ» مُلاقَاةُ جِسْمٍ بِجِسْمٍ آخَرَ تَحْتَهُ[1]، أو مُعارَضَةُ جِسْمٍ لآخَرَ يُصِيبُه في عُرْضِهِ بِقُوَّةٍ، يَحْدُثُ مِنْ هذه الإصابةِ غَالِبًا صَوْتٌ. ويشْهدُ دليلًا لهذا المعنى في مادَّةِ «وَقَعَ» في كلامِ العربِ، ما في قولِ غيلانَ ذي الرُّمَّةِ في وَصْفِ حُمُرٍ وَحْشِيَّةٍ عند طَرْدِ الصَّائدِ لها:

---

(١) فيجيءُ «وَقَعَ» بمعنى «نَزَلَ»، نحوُ ما في قولِ المُرارِ الأَسَديِّ الوارد في كِتَابِ سِيبَويهِ (١/ ١٨٢):

أنا ابنُ التَّارِكِ البَكْرِيِّ بِشْرٍ ... عَلَيْهِ الطَّيرُ تَرْقُبُهُ وُقُوعًا

فـ «وُقُوعًا» بمعنى: نُزُولًا. ونحوُ ما في قولِ الأخْطَلِ:

وَقَعْنَ أُصْلًا وعُجْنا مِنْ نَجَائِبِنا ... وقدْ تُحُيِّنَ مِنْ ذي حَاجَةٍ سَفَرُ. اهـ.

«شعر الأخطل»، ص: (٤٧).

....

يَقَعْنَ بالسَّفْحِ مِمَّا قَدْ رَأَيْنَ بِهِ وَقْعًا يَكادُ حَصَى المَعْزاءِ يَلْتَهِبُ[١].اهـ

فمحلُّ الشَّاهد قولُه «يقعنَ بالسَّفْحِ»، إذْ حوافِرُها أجْرَامٌ صُلْبَةٌ لاقَتْ السَّفْحَ، وهو جِرْمٌ صُلْبٌ، فَتَمَّ الوُقُوعُ الّذي هو وَاسِطَةٌ بَينَ مَجْمُوعِ الجِرْمَين فَحَصَلَتْ الـمُلاقَاةُ.

والوُقوعُ في بيتِ كعْبٍ هذا، مِنْ قَبِيلِ الوُقوعِ الّذي هو مُعارَضَةُ جسْمٍ لِعُرْضِ جِسْمٍ آخَرَ، تَحَصَّلَ مِن تِلْكَ الـمُعَارَضَةِ طَعْنٌ مِنْ الجِرْمِ الأوَّل الّذِي هُوَ السَّيفُ أو الرُّمْحُ، مَعَ الجِرمِ الثَّاني الّذي هو النَّحْرُ.

فـ«الطَّعْنُ» مِنْ قولِ كعبٍ هو: الضَّربُ والوَخْزُ بالرُّمْحِ والسَّيفِ.

نُحُور: الـمُضافُ إلى ضميرِ الفِتْيَةِ للغائبينَ، جمعُ «نَحْرٍ»، وهو أعلى الصَّدْرِ، مَوْضِعُ القِلادَةِ، مُذَكَّرٌ.

ما لهم عَنْ حِياضِ الـمَوتِ: «حِياض» جَمْعُ «حَوض» وهو مُجْتَمَعُ الماءِ[٢]. و«الموت» مَصْدَرُ الفِعْلِ «مات»، يُطْلَقُ على زوالِ الحياةِ عمَّنْ اتَّصَفَ بها. و«الموتُ» خَلْقٌ مِن خَلْقِ اللهِ تَعَالَىٰ لقولِه - جلَّ شأنُه -: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [المُلك: ٢][٣]. اهـ، وقولُه «حِياض الموت» يُريدُ كعبٌ

---

(١) «ديوان ذي الرُّمَّةِ» شرح أبي نصر الباهليّ (١/ ٧٢)، الطّبعة الثّالثةُ. (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م). مؤسّسة الرِّسالة.

(٢) «القاموس المحيط» للفيروزأباديّ (٢/ ٣٢٩).

(٣) سورة المُلْكِ رقم الآية (٢). لكنَّ اللهَ تَعَالَىٰ جَعَلَ للموتِ أسْبَابًا غالبًا يُخْلَقُ الموتَ عند وُجودِها، وهو مُوجِدُ هذه الأسْبابِ، فهو خالقُ الأسْبابِ والمُسبَّبَاتِ.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ «حِياض» المضاف إلى «الموت»، ساحاتِ القِتالِ الَّتي تَجْتَمِعُ فيها مَهَالِكُ كاجْتماعِ الماءِ في الحِياضِ الحقيقيَّةِ الّتي هي مُجْتَمَعُ الماءِ. فشَبَّهَ هذه السَّاحاتِ بالحِياضِ بجامعِ الوُرودِ في كُلٍّ مِنَ النَّاسِ. ثُمَّ اسْتعارَ اللَّفظَ الدّالَّ على المُشَبَّهِ به وهو «حِياض»، للمُشَبَّهِ وهو «ساحاتُ القتالِ» على سبيلِ الاستعارةِ التَّصْريحيَّةِ الأصليَّة: «تصريحيَّةٌ»، للتّصريحِ بلفظِ المُشَبَّهِ بِهِ. «أصليّةٌ» لجَرَيَان الاستعارةِ في لفظٍ جامدٍ، هو «حِياض»، جمعُ «حَوض» وهو جامد [1].

تَهْليل: مصدرُ «هَلَّلَ» عنِ الشَّيءِ إذا تأخَّرَ عنه [2]. فـ«التَّهليلُ»: التّأخُّرُ عن الشَّيءِ. يشهدُ لهذا المصدرِ بهذا المعنى قولُ الشَّاعِرِ:

يُشْلِيْ ضَوَارِيَ أَشْبَاهًا مُغَرَّثَةً ... فَلَيْسَ منها إذا أُمْكِنَّ تَهْلِيلُ [3]

يصِفُ صيَّادًا وكلابَهُ، فيقول: إنَّ هذا الصَّيَّادَ يُشْلي أي يُغْرِي. ضَوَارِيَ أي كِلابًا خبيرةً مُتعَوِّدَةً على الصَّيدِ، ذَواتِ وَلَعٍ به. «أَشْباهًا» أي مُتماثِلَةً. «مُغَرَّثَةً» مُجوَّعَةً. «إذا أُمْكِنَّ» إذا حصلَ لهنَّ سُلْطانٌ وقُدْرَةٌ على الصَّيدِ بالإشْلاءِ. فليس منها «تَهْليلُ» لم يكنْ منها رُجوعٌ ونُكوصٌ عن هذا الصَّيد.

فهؤلاء الفتيةُ الصَّحابةُ - رضي الله عنهم وأرضاهم - لا يَحْصُلُ منهم تَهْليلٌ عن حِياضِ الموتِ في الجِهادِ في سبيلِ اللهِ تَعَالَى.

---

(١) والقرينةُ الموتُ. «البلاغة الواضحة» ص: (٧٧، ٨٤).

(٢) «القاموس المحيط» (٤/ ٧٠).

(٣) «شرح اختيارات المفضَّل» للخطيبِ التّبريزيّ (٢/ ٦٥٩). الطّبعةُ الثَّانية (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

واعلـم - أيُّها النَّاظـرُ في هذا البيت - أنَّ صَدْرَهُ أفادَ وَصْفَ الشَّـجاعةِ فيهم، وأفادَ عَجُزُهُ تأكيدًا لذلك الوَصْفِ:

(أ) أفـاد الصَّـدْرُ هـذا الوصْـفَ بِأُسْـلُوبٍ بَلَاغِـيٍّ، هُـوَ تَخْصِيـصُ حُكْـمٍ هـو «الطَّعْـنُ»، بمَحْكـوم عليـه هـو «نُحورُهم»، بحيـثُ لا يَثْبُـتُ هـذا الطَّعْنُ في غـيرِ نُحورهـم، وذلك بأُسْـلوبِ «القَـصْر» الحاصل بالنَّفـيِ بـ «لا»، وبالاسـتثناء بـ «إلَّا».

وقَـصْرُ وقوعِ الطَّعْنِ على النُّحور قصْرُ صفةٍ على موصوفٍ في علمِ المعاني[1]؛ فنُحورهم مُتَّصِفَةٌ بوقوعِ الطَّعْنِ عليها لا غيرِها منهم، عند إقبالِهم على الكُفَّار وهم يَمشُون. فلو أَصَابَهم الأعداءُ بِطَعْنٍ، فإنَّه يَقعُ على النُّحورِ، ولَقَطَرَ الدَّمُ - إنْ قَطَرَ - وسَالَ على أقدامِهم، لا على أَعْقابِهم، كما قال القائلُ:

فَلَسْنَا على الأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُومُنا ولكِنْ على أَقْدَامِنا يَقْطُرُ الدَّمَا[2]

وذلك مِنْ شـجاعتِهم. فَلَزِمَ مِـنْ هذا القَصْرِ في صدْرِ البيتِ لكعبٍ شـجاعةُ هؤلاءِ الفِتْيَةِ الصَّحابة، على سبيلِ الكِنايةِ في علمِ البيان[3].

(ب) أمَّـا وجهُ إفـادة عَجزِ البيتِ تأكيـدًا لِـمُفادِ صَدْرِه، أنَّ هـؤلاءِ الصَّحابةَ الَّذين لا يقعُ الطَّعنُ إلَّا في نُحُورهم إنَّما ذلك لِشجاعَتِهِمْ. فهُمْ بتِلْكَ الشَّجاعةِ ليسَ

(١) «مفتاح العلوم» للسّكّاكيّ، ص: (٢٩٠)، و«موجز البلاغة» لابن عاشور، ص: (١٩).
(٢) «لسان العرب» (١٤/ ٢٦٨) دار صادر - بيروت -.
(٣) إذ قوله: «لا يقعُ الطَّعنُ إلَّا في نُحورهم»، أوقَعُ في نَفْسِ السَّامِعِ ممَّا لو جاءَ بما يَدُلُّ على صريحِ وَصْفِهم بالشَّجاعةِ. انظر: «دلائل الإعجاز» للجُرْجانيّ، ص: (٥٦).

لهم نُكُوصٌ على الأعْقَابِ، وفِرَارٌ عَنْ حِياضِ الموتِ. وذِكْرُ العَجُزِ بعد الصَّدْر وهما مُتماثِلانِ في معنى المَدْحِ بالشَّجاعةِ يُسَمَّى في علمِ البديع بـ «مُراعاةِ النَّظير»[١].

تكميـلٌ وتأصيلٌ: جرتْ عادةُ فُحُولِ شُعراءِ العربِ مِـن الجَاهلِيِّينَ وغيرِهم أنِ يُضيفـوا لفـظَ «حِيـاض» أو نحـوِه إلى «الموت»، في مَعْـرِضِ وَصْفِ الشُّـجْعانِ بالشَّـجاعة في مواطِنِ القِتالِ. فقال أهلُ العِلْـمِ بالعربيَّةِ: إنَّ هذا الـمُرَكَّبَ الإضافيَّ «حياض الموت» مَثَلٌ؛ إذِ المَثَلُ مِنْ معانيه في اللُّغة: «الشَّيءُ الّذي يُضْرَبُ لِشَيءٍ مَثَلًا، فَيُجْعَلُ مِثْلَهُ»[٢]. اهـ. فشَـجاعةُ شُـجاعٍ تُضْرِبُ مَثَلًا لِشَـجاعةِ آخَرَ، فيُجْعَلُ مِثْلَهُ لِاسْتِوائِهما في خوضِ حِياضِ الموتِ، سَلِمَ أو هَلَكَ.

ويَدُلُّ على أنَّ هذا الـمُرَكَّبَ الإضافيَّ مَثَلٌ عندَ العُلَماءِ إشـارَةُ ابنِ الأنبارِيِّ إلى ذلك، في قولِ طرفةَ بنِ العبدِ الجاهليّ في «مُعَلَّقَتِه» الـمَشْهُورَةِ:

وإنْ يَقْذِفُوا بالقَذْعِ عِرْضَكَ أَسْقِهم بِشُرْبِ حِيَاضِ الموتِ قَبْلَ التَّنَجُّدِ[٣]

قال ابـنُ الأنباريّ: «والحِياضُ جمعُ حوضٍ. وهذا مَثَـلٌ، أي أُورِدُهم حِياضَ الـمَهالِك»[٤]. اهـ والله أعلم.

---

(١) «مفتـاح العلـوم» للسَّـكّاكيّ، ص: (٤٢٤)، و«فيض الفتّاح شرح نـورِ الأقاح» (٢/ ٢٠٧ - ٢٠٨)، و«القول البديع في علم البديع»، ص: (١٢٤).

(٢) «لسان العرب» (١١/ ٦١١).

(٣) «شرح القصائد السّبع الطّوال الجاهليّات» لابن الأنباريّ، ص: (٢٠٦).

(٤) المرجع السَّابق.

....

تمَّ: «عُلُوُّ الكَعْبِ الأدَبيِّ شرحُ قَصيدَةِ كعبِ بنِ زُهَيرٍ الصَّحابيِّ». على يدِ واضِعِه - عفا الله عنه -: «عبدِ الرَّحمنِ بنِ عوف كُوني». والحمدُ لله حقَّ حمْدِه، وصلَّى الله وسلَّمَ على عبْدِه محمّد وعلى آله وصحبِه، ما انْبَلَجَ صُبْحٌ فاسْتَرَاحَ عنده السَّارِيْ. وذلك التّمامُ بالمدينةِ النَّبويَّةِ بتاريخِ (٠٨/ ٠٤/ ١٤٣٧هـ الموافق لـ ١٩/ ٠١/ ٢٠١٦م).



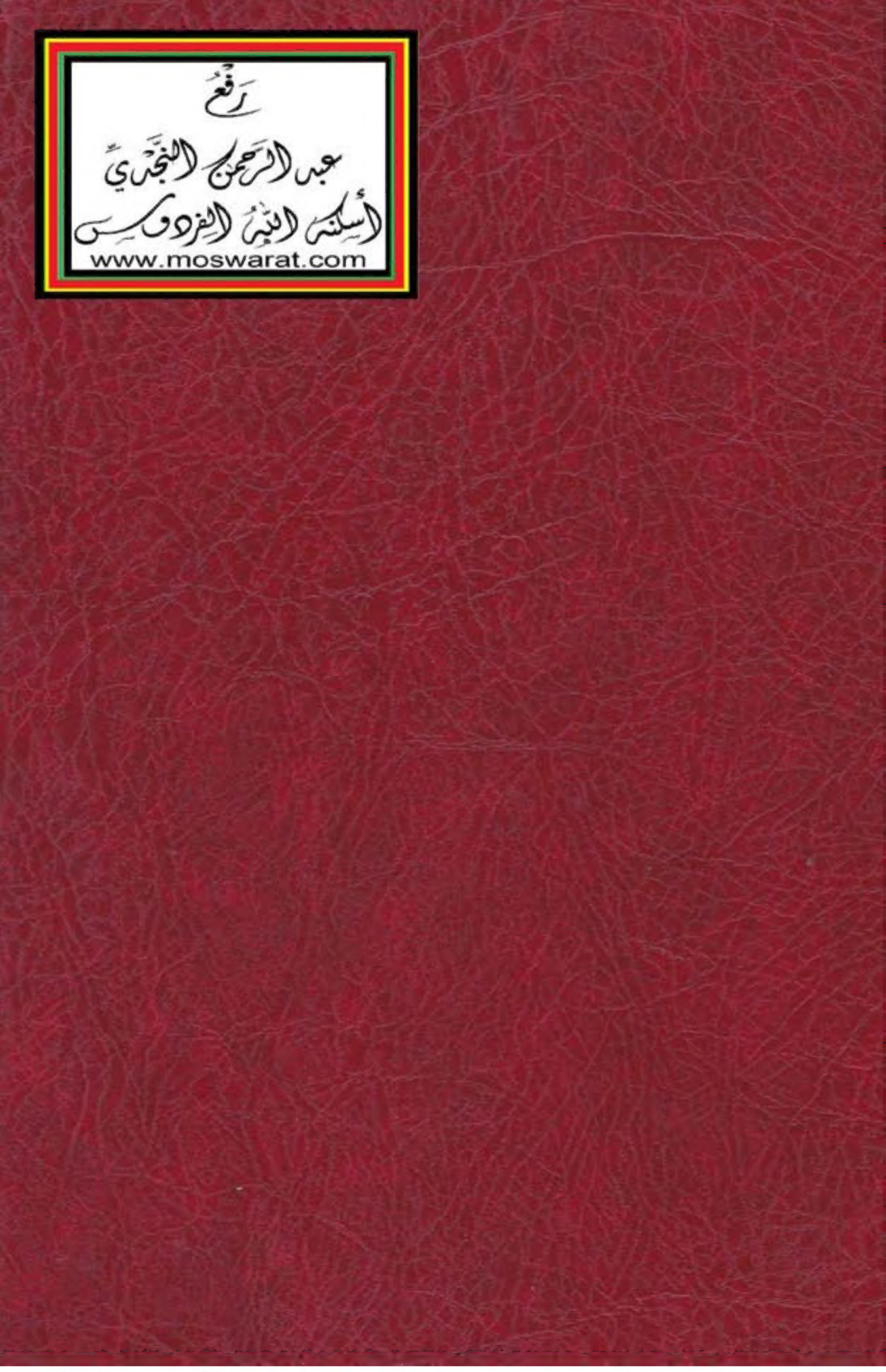


فهرس الموضوعات

❁❁❁



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com